وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قطب شتمة –
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

مالك بن نبي وموقفه من قضايا عصره

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

إعداد الطالب:
يوسف موساوي

إشراف الأستاذة:
شهرزاد شلبي

السنة الجامعية: 2012-2013

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح والدي الطاهرة

إلى والدتي وكل عائلتي

إلى شهداء الثورة الجزائرية الذين حققوا بدمائهم الأحلام التي

تعبر عنها هذه الصفحات

إلى روح فقيد الحضارة مالك بن نبي

شكر و عرفان

أتوجه بجزيل الشكر و الإمتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل المتواضع و اخص بالذكر الأستاذ المشرف : شلبي شهرزاد

إلى كل أساتذة و طلاب قسم التاريخ بجامعة محمد خيضر بسكرة

المقدمة

كثرت الأبحاث و الدراسات حول شخصيات الكثير من المفكرين و المصلحين خلال القرن العشرين ، وهناك قلة من الذين لم ينالوا حضهم من تلك الدراسات و الأبحاث ، و من بين هؤلاء المفكر الجزائري مالك بن نبي ، على الرغم من ريادته في إثارة العديد من القضايا و المشكلات الفكرية المعاصرة.

أن تتحدث عن مفكر مثل مالك بن نبي فإنك تتحدث عن شخصية متعددة الأبعاد ، متنوعة النشاطات متفتحة العقل ، متحركة المواقع ، فهو من المفكرين القلائل الذين طرحوا مشكلة الحضارة المعاصرة من منضور إسلامي مبرزا شروط قيامها ، و عناصرها و موانعها و عوامل انهيارها ، كما امعن مالك في الحفر حول مشكلات التخلف المزمنة، متجاوزا الظواهر الطافية على السطح إلى الجذور المتغلغلة في الأعماق، باحثا عن السنن و القوانين الكفيلة بتحول الشعوب من الكلالة و العجز إلى القدرة و الفعالية ، مستندا في سرد افكاره على التجارب التاريخية و حياة المجتمعات ، فهو يجزم بأن التجارب التاريخية العامة تؤكد أطوار الحضارات ، كما نجده يولي اهتماما كبيرا و عميقا بالإنسان بصفة عامة والإنسان المسلم بصفة خاصة ، متابعا في ذلك علله و نقائصه و محللا أبعاد الظواهر و المشكلات المحيطة به ، و مقترحا الحلول المناسبة ، لأن الإنسان يمثل الجوهر في الفكرة البنابية ، فهو صانع التاريخ ، و هذا في الحقيقة ما يكرمه و يعطيه مشروعية الاستخلاف .

<u>دوافع اختيار الموضوع:</u>

من أهم الأسباب التي دفعتني لإختيار هذا الموضوع هي:

– محاولة التعريف بعالم جزائري كرس حياته لخدمة الأمة الإسلامية عامة ووطنه الجزائر خاصة .

– عندما اخترت هذا الجانب الخاص من فكر مالك بن نبي إنما أردت أن أبرز البعد الإنساني التاريخي و العالمي لفكره و إجابته على انشغالات بشرية الغد و خاصة انشغالات الأمة الإسلامية .

– لقد ابتعد مالك بن نبي بفكره بشجاعة المؤمن و عزم الثائر عن الأفكار السائدة آنذاك، و تحرر من قوقعة الجمود التي طبعت تلك الفترة و هذا ما دفعني أكثر لاختيار الموضوع.

– كما أن اهتمامه بمستقبل الإنسان المسلم في سبيل أن يمارس دوره التاريخي و القيادي من جديد بدل الوقوف شاهدا على احداث التاريخ جعلني أختار فكر مالك بن نبي موضوعا لدراستي .

– إن الأمة الإسلامية هي اليوم أحوج من أي وقت آخر إلى فكر مالك بن نبي كي تعيد بناء نفسها و تستعيد فاعليتها و مكانتها بين الأمم.

إشكالية البحث

مالك بن نبي هو صاحب نظرية عميقة في البناء الحضاري ، حيث تركزت أفكاره في تحليل أهم قضايا العالم الإسلامي ، كالنهضة و التاريخ و الاستعمار ، فتناولها بالدراسة في كل مؤلفاته تقريبا ، و بكل ابعادها ، فأبدع في تحليلها و شرحها و طور بعض مفاهيمها ، كما اهتم بن نبي في كل أعماله بمحاولة معرفة أسباب خروج المجتمعات الإسلامية من دورة الحضارة و مسرى التاريخ ، محاولا إيجاد الحلول المناسبة لإعادة تلك المجتمعات الإسلامية إلى مسارها و موقها الصحيح ، لذلك حاولت من خلال هذه الدراسة ان أستقي جذور أفكار الإصلاح و التجديد في الفكر البنابي من خلال ثنائية التاريخ و الاستعمار، و لأن الإنسان يمثل جوهر الإصلاح و التجديد في الفكر البنابي فقد حاولت معالجة الإشكال التالي : **ماهي علاقة الإنسان بثنائية التاريخ والاستعمار في فكر مالك بن نبي** ؟ و للإجابة على هذا الإشكال يجب أولا الإجابة عن التساؤلات الفرعية التالية:

من هو مالك بن نبي ؟ وماهي أهم المؤثرات التي ساهمت في إثراء فكره و مكونات شخصيته؟ كيف يفسر مالك بن نبي فكرة التاريخ ؟ و ما هي إسهاماته الفكرية في هذا المجال ؟ وماهي أهم المحطات التاريخية التي توقف عندها مالك بن نبي؟ وما هو توجهه الثوري ؟ كيف نضر مالك بن نبي إلى مشكلة الاستعمار ؟ و كيف رأى سبل التخلص منه ؟ .

منهج البحث

للإجابة على كل هذه التساؤلات و الإلمام بجوانب الموضوع اعتمدت على منهجين أساسيين هما:

1- **المنهج التاريخي العام:** في سياق عرض بعض الوقائع التاريخية و سرد بعض الوقائع التاريخية ، و سرد عناصرها وكذا محاولة رصد و تسجيل أهم النصوص و الآراء والمواقف و التصريحات التي تهم موضوع الدراسة .
2- **المنهج التحليلي النقدي:** و قد سلكته في دراسة و تحليل و نقد بعض الأفكار الواردة في هذه الدراسة، سواء من خلال مصادرها الأساسية أو المراجع و الكتب التي تناولت تلك الأفكار .

نقد المصادر والمراجع :

و للإلمام بجوانب البحث اعتمدنا على جملة من المصادر و المراجع تختلف في اهميتها حسب صلتها بالموضوع و الأفكار التي تطرحها و أهم تلك المصادر هي التي تمثل الإنتاج الفكري لمالك بن نبي من كتب و مقالات و أهمها :

- **كتاب شاهد للقرن** : و الذي أصدره مالك سنة (1966) في الجزائر ، باللغة الفرنسية في جزئه الأول الطفل ثم اصدر الجزء الثاني في بداية السبعينات بعنوان الطالب ، و كانت استفادتي في تتبع مسيرة حياة مالك بن نبي كبيرة من خلاله ، كما لمست فيه أهمية تفوق سيرة رجل ، بل هو مصدر ممتاز في نظرنا بالنسبة للمؤرخ المعاصر ، خاصة في تاريخ الجزائر .
- **كتاب شروط النهضة** : و الذي صدر سنة (1948) و يعد من أهم ما جاد به فكر مالك بن نبي ، واعتمدت على هذا المصدر كونه يبرز مزايا و فضل الحركة الإصلاحية في الجزائر خاصة و في العالم الإسلامي بصفة عامة و إظهار نقاط الضعف فيها و رسم معالم الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية المنشودة .
- **كتاب الصراع الفكري في البلاد المستعمرة** : يعد هذا الكتاب بمثابة المنبه الذي لفت نظري إلى واقع الصراع الفكري وتلك الحرب الطاحنة التي تقودها مراصد الاستعمار ضد كل من يحاول إيقاظ و تنبيه كل غافل و نائم .

و على كل فلقد قدمت تلك المصادر تحليلات فكرية و نضرة سوسيولوجية للمشروع الثوري التحرري و الإصلاحي في الجزائر ، اتسمت بالكثير من العمق المنهجي ، و الأصالة التاريخية ، و المقاربة العلمية الموضوعية ، التي لم يسبقه إليها احد غيره –في تقديرنا – بهذا الاتجاه .

- أما عن المراجع : فلقد اعتمدت على دراسات و أبحاث الدكتور مولود عويمر خاصة كتابه : **مالك بن نبي رجل الحضارة** و الذي استفدت منه خاصة في إبراز العلاقة بين مالك بن نبي و باقي تيارات الحركة الوطنية المختلفة و بالأخص علاقته بالحركة الإصلاحية بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .
- كما لا يمكن أن نهمل في هذا المجال كذلك دور مؤلفات الدكتور أبو القاسم سعد الله مثل **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية** و كذلك **تاريخ الجزائر الثقافي**.

- بالإضافة إلى اعتمادي على بعض الرسائل و الأطروحات الجامعية مثل مذكرة الأخضر شريط : **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي** ، و كذلك مذكرة سعد الهلالي **الشيخ خير الدين و جهوده الإصلاحية في الجزائر 1993/1902** ،
- هذا بالإضافة إلى الملتقيات و الندوات الفكرية التي تخدم الموضوع على سبيل المثال : **أعمال الملتقى الدولي 18-19-20 أكتوبر 2003 بالجزائر، حول " مالك بن نبي فكره و أعماله"**
- كما اعتمدت في دراستي على مجموعة من الصحف و المجلات التي تناولت موضوع دراستي مثل : **جريدة البصائر و مجلة الفيصل.**

صعوبات البحث

بالنسبة للصعوبات التي واجهتها في إعداد هذه الدراسة فهي تنحصر في تلك العراقيل التي تواجه أي باحث أكاديمي خاصة في مجال حقل الدراسات التاريخية التي تتطلب بذل المجهود و الصبر في سبيل تحري صدق الحدث و امانته ، و تفحص النصوص ، و نقد الأقوال و الآراء و المواقف بمعزل عن التأثيرات الشخصية و القناعات الفكرية ، ذلك أن الكتابات الملتزمة أكاديميا تفرض على صاحبها ، كما يؤكد الأستاذ قنانش توخي الحداثة كأسلوب ، و الأصالة التاريخية كمضمون و الموضوعية كمنهج و خدمة الحقيقة التاريخية كهدف و غاية ، و عموما فإن أهم الصعوبات التي واجهتها هي :

1- نقص المادة التاريخية المتخصصة في موضوع دراستي ، بحكم ان الدراسات التي تناولت الموضوع في غالبيتها دراسات تخص مجالات غير التاريخ كعلم الاجتماع و الفلسفة و علوم الدين .

2- رغم أن مالك بن نبي قد كتب مذكراته في كتابه شاهد على القرن و تناول فيه مرحلتي الطفولة و الدراسة إلا أن مرحلة الإبداع و العطاء الفكري ، فغنها غير مدونة و هذا ما يشكل بالنسبة أي صعوبة في دراسة تلك الحقبة من حياة هذا المفكر .

3- إن تميز أسلوب مالك بن نبي و دقة و **عمق أفكاره** يتطلب بذل الجهد الكبير لفهم تلك الأفكار و تحليلها و شرحها .

خطة البحث : لقد تناولت البحث وفق الخطة المبينة أدناه ، بحيث قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة .

- **الفصل الأول: مالك بن نبي حياته و عصره** و قسمت هذا الفصل إلى مبحثين المبحث الأول حياته و تطرقت خلاله إلى سيرة مالك بن نبي الطفل ثم الطالب ثم فترة ما بعد الدراسة ، وحاولت التركيز على المحطات المهمة من حياته كظروف مولده و نشأته في مدينته قسنطينة و كذلك ظروف التعلم بين مدينة تبسة و قسنطينة ثم مغادرته إلى فرنسا ،كما حاولت إبراز أهم العوامل التي ساهمت في صقل موهبته الفكرية و تكوين شخصيته ، لتأتي بعدها المرحلة الأخيرة والتي تمثل مرحل العطاء الفكري أما في المبحث الثاني فقد تطرقت إلى عصره من خلال الوقوف على الواقع الثقافي و الحياة الإجتماعية و السياسية التي ميزت تلك الحقبة من تاريخ الجزائر المعاصر
- **الفصل الثاني :** وقفت فيه عند **فكرة التاريخ عند مالك بن نبي** من خلال التطرق إلى عوالم ثلاث هي الأساس في تكوين فكرة التاريخ عند مالك بن نبي وهي عوالم الأشياء و الأشخاص و الأفكار ، ثم تطرقت إلى أهم المصادر التاريخية التي اعتمد عليها مالك بن نبي في طرح أفكاره و تصوراته و درست بالشرح و التحليل نظرته تجاه تلك المصادر التاريخية و التي نجد من أهمها القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ، كما بينت في نقط أخرى تفسير مالك بن نبي لحركة التاريخ و العوامل المختلفة التي تتحكم في هذه الحركة ، أما في الجزء الأخير من هذا الفصل فقد عرجت على أهم المحطات التاريخية التي توقف عندها مالك بن نبي في نضاله الفكري الطويل فحددت توجهه المميز في الحركة الوطنية و الذي لم يسبقه إليه أحد في اعتقادنا ، كما وضحت موقفه من باقي اتجاهات الحركة الوطنية، خاصة الاتجاه الإصلاحي منها و المتمثل في جمعية العلماء المسلمين ، بالإضافة إلى ضبط مفهوم الثورة في الفكر البنابي محاولا إبراز العلاقة و مدى تطابق فكره الثوري مع ثورة التحرير الجزائرية وعلاقته بأبرز قادتها.
- **الفصل الثالث : مشكلة الاستعمار في فكر مالك بن نبي** وحاولت دراسة المشكلة من خلال تحديد تاريخية الاستعمار في فكر مالك بن نبي و لفهم الظاهرة بصورة أدق حاولت الغوص في سيكولوجية الاستعمار من خلال النظرة البنابية التي تكشف طبيعة الصراع الفكري و كيفية إدارته بدقة بالغة من طرف مراصد الاستعمار لتحكم سيطرتها على المستعمر لتجعل منه جسدا من دون عقل ولا روح ، و

الدارس لفكر الاستعمار عند مالك بن نبي لا يمكنه أن يمر دون أن تلفت انتباهه فكرته الشهيرة و هي فكرة القابلية للاستعمار ، فبن نبي يرى أن الاستعمار هو نتيجة لمرض أصاب الأمة في داخلها سماه مرض القابلية للاستعمار .

- وأنهيت دراستي بخاتمة تضمنت حوصلة للنتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة .

الفصل الأول : مالك بن نبي حياته و عصره.

المبحث الأول: حياتـه.

1- ظروف مولده ونشأتـه

2- ظروف التعلم

3- مساره المهني و عطاؤه الفكري

المبحث الثاني: عصره

1- الواقع الثقافي و العلمي

2- الحياة السياسية

3- التحولات الاجتماعية

[illegible]

نشر المفكر الجزائري مالك بن نبي مذكراته في منتصف الستينات وبداية السبعينات تناول فيها مرحلتين من حياته، الطفولة والدراسة الجامعية في فرنسا أما مرحلة الإبداع والعطاء الفكري فإنها غير مدونة أو مخطوطة لم تنشر بعد على حساب بعض الروايات.

وفي كلتا الحالتين، تظل هذه الفترة الممتدة بين 1973/1963 وراء الستار إلا ما ذكره بن نبي على هامش كتبه الاخرى او ما رواه بعض تلاميذه .

إن كل الدراسات على هذا المفكر لم تتطرق الى هذا الجانب الا قليلا إذ اهتمت في اغلب الأحيان بتحليل أفكاره الإصلاحية، ومناقشة نظرياته في الثقافة وفلسفة الحضارة، ومقارنته بفلاسفة وعلماء مسلمين وغربيين، ولعل طبيعة هذه الدراسات فلسفية– وفكرية– تفسر هذا الميل إذ على المؤرخين سد هذا الفراغ[1].

1- [illegible]: هو" مالك بن الحاج عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي" ولقد اشتهر باسم مالك بن نبي [2]، ولد مالك بن نبي بمدينة قسنطينة إحدى مدن الشرق الجزائري في 05 ذو القعدة1323هـ– الموافق لـ: 01 يناير 1905م وهو الابن الوحيد في أسرته الفقيرة، بالإضافة إلى ثلاث بنات توفيت إحداهن وهو صغير، عمل أبوه موظفا بسيطا في الإدارة الحكومية بتبسة برتبة خوجة، بينما كانت أمه السيدة " زهيرة حواس بنت محمد" تساعد والده في تحسين دخل البيت عن طريق العمل في الخياطة[3].

كان يمكن في هذا الزمن حسب رأيه [illegible]".

---

[1] مولود عويمر ، [illegible]، (الجزائر: دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع،2007)، ص11

[2] نور الدين مسعودان ، [illegible]، (الجزائر : دار النون للنشر و التوزيع ، ب ت) ، ص 3

[3] حسن موسى محمد العقبي، [illegible] ، رسالة ماجستير في العقيدة و المذاهب المعاصرة ، الجامعة الإسلامية غزة ، 2005 ، ص 28.

و الاتصال بالماضي عبر آخر من تبقى حيا من الشهود يمثل هنا وسيلة هامة وثمينة بالنسبة للأجيال اللاحقة لكي تثبت تاريخها، وتأثير ماضيها في شؤون حاضرها.

ومن بين الشهود الأوائل الذين تأثر مالك بن نبي بشهاداتهم وربطوه تاريخيا بحقائق الماضي، ماضي المجتمع الجزائري الذي ولد ونشأ بين أحضانه، والدة جدته لأمه والمسماة "بايا" التي عمرت طويلا، حتى إنها جاوزت سن المائة وماتت عندما كان هو في السنة الثالثة أو الرابعة من عمره على حد تقديره، ورغم انه لم يعرفها إلا انه يرى بأنها أورثت العائلة المسلمة المحافظة الكثير من مشاهداتها وذكرياتها القديمة [1] خاصة تلك المتعلقة بالطريقة أو الكيفية الغير شرعية، واللاإنسانية التي احتل بها الجيش الاستعماري الجزائر، ولا سيما مدينة قسنطينة التي كانت تقطن بها، وكيف كان رجال المدينة يحاولون إنقاذ شرفهم بإخراج نسائهم وبناتهم من على أسوار المدينة العالية من على جهة الوادي بواسطة الحبال فكانت منهن من تنجو ومنهن من تهوي إلى الوادي السحيق بينما قرر الرجال الموت تحت أسوار المدينة دفاعا عنها، لقد سطرت قسنطينة لمالك الصغير أساطير كثيرة، حيث كانت ملئ بالأساطير وبجروح سبعين عاما من الاحتلال، وفيها نشأ الوعي المترف لهذا الصبي، ولحسن حظ الجدة " بايا" كانت من الناجين هي وعائلتها التي لجأت إلى تونس لتعود فيما بعد[2].

إن مثل هذه المشاهدات والذكريات القديمة التي أورثتها هذه الشاهدة المعمرة " بايا" إلى العائلة قد انتقلت إلى مالك خاصة عن طريق ابنتها التي هي جدته لامه المسماة " زليخة" والتي هي أيضا عمرت طويلا، وكان يقول عنها: "بأنها امرأة كانت بارعة في قص الحكايات إذ كانت تشدنا إليها ونحن متحلقون حولها كانت هذه مدرستي الأولى فيها تكونت مداركي، وفيها تعرفت على الأخلاق الفاضلة ومعني التضحية والإيثار، إذ كما يقول:" سمعت الكثير من أقاصيصها وحكاياتها التي كان محورها العمل الصالح وما يليه من ثواب، وعمل السوء وما يتبعه من عقاب، لا أزال اذكر أنها اضطرت ذات يوم تحت ضغط الظروف المادية الصعبة التي كانت تعيشها العائلة أن تبيع سريرها الخاص مقابل دفع أجرة معلم القرآن الذي يتولى تدريسي.

---

[1] مالك بن نبي، [illegible] ، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط2 ، (دمشق: دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، 1984) ، ص15.

[2] قناة الجزيرة الوثائقية، [illegible]، http://www.youtube.com/ ،23-08-2012 /15:56

وحال الفقر التي كانت تعيشها العائلة هي حالة غالبية العائلات الجزائرية الأخرى آنذاك فالاستعمار الفرنسي حسب رأي مالك بن نبي ضيق على الجزائريين مصادر الكسب إلى درجة أن بعض المهن التقليدية في المجتمع مثل صناعة النسيج والجلود والتي كانت الكثير من شوارع قسنطينة القديمة لا تزال محتفظة بأسمائها القديمة– مثل" رحبة الصوف" و" حذاء شبارليه"[1] قد اختفت تدريجيا لتترك مكانها لما يستورد من السلع المصنوعة وقد ترتب عن هذا فضلا عن تضييق مصادر الكسب على الجزائريين، ظهور تغيير في مظهر المدن ففي شوارع مدينة قسنطينة مثلا بدأت تختفي حسب وصف بن نبي العمائم والبرانس والملابس المصنوعة من الاقمشة المطرزة والمخازن التي كانت تصنع فيها تلك السلع، كمخازن الصدارين، بدأت تقفل واحدة تلوى أخرى، وأخذت تظهر أكثر في هذه الشوارع البضائع الأوربية، وأحيانا الملابس المستعملة المستوردة من مرسيليا، مقابل ذلك فان تكاثر عدد المعمرين شيئا فشيئا من مختلف المناطق الأوربية وتجمعهم، أدى ذلك كله في نظر مالك بن نبي إلى أن تكون لهؤلاء مقاهيهم ومتاجرهم ومطاعمهم ومصارفهم وكهرباؤهم ومخازنهم ذات الواجهات الجميلة، هذا كله اخذ يضفي على المدينة طابعا جديدا، فحياة السكان الأصلية أخذت تتقلص لتتمثل في الشوارع الضيقة وزقاق" سيدي راشد" .

ولقد رافقت كل ذلك أيضا تغيرات اجتماعية تدريجية مست العديد من العادات والتقاليد في المجتمع مثل الاحتفالات، الزواج، مراسيم الدفن، والأعياد وغيرها ، وبدأت بوادر عدم التضامن بين أفراد المجتمع، وكذلك الانحراف الاجتماعي والأخلاقي مثل تعاطي الخمور تشيع شيئا فشيئا[2].

والملاحظ في هذا الصدد أن مثل هذه الأحداث والتغييرات التي مست المجتمع الجزائري وغيرها تعتبر بالنسبة لمالك بن نبي مهمة جدا إذ يقول في هذا الشأن : " ǅǿǢ ǎǳǟ ǞǬƄǳǟ ǯǋǳǟ ǝǳǬǳǟ Ǟǳ ǖǼǿǟ ǍǳǟǾǳǟ ǂƕǟ ǺǾǳ ǅǿǾǳǟ ...

ȄȋǳǴ ǳǬǳǟ ..."..

لقد آثر أبواه في هذا الوقت الاستقرار بمدينة تبسة وكان أبوه عاملا بالإدارة المحلية بها حيث أهلته دراساته بالمدرسة الرسمية ليشغل هذا المنصب ولم يلبث مالك طويلا حتى التحق بوالديه بتبسة بعد وفات عمه الأكبر

---

[1] حذاء شبارليه: أو الشبرلة نوع من أحذية النساء .

[2] مالك بن نبي ǅǿǢ ǎǳǟ ǞǬƄǳǟ ، مرجع سابق، ص16

الذي كان قد كفله بقسنطينة أثناء طفولته يقول في هذا الصدد:" لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر إذ مات عمي الأكبر في قسنطينة وكان قد تبناني منذ أمد بعيد، مما جعل زوجته تعيدني إلى أهلي في تبسة على الرغم مما خلق ذلك من أسى في نفسها وفي نفسي، لقد فعلت ذلك لأن مواردها لم تعد تسمح لها بإعالتي.

وإذا كانت قسنطينة قد ضلت بجوها العام تستقطب تفكيره طيلة سنوات طفولته، فإن تبسة أصبحت هي الأخرى مجال استقطاب آخر أضاف إلى ذاته طابعه النفسي، ففي هذه المنطقة لم تكن هذه النظم التقليدية تفسح المجال كثيرا كما هي الحال في الحواضر الكبرى، للمؤثرات الأخلاقية والاجتماعية عن الوجود الاستعماري، فسكانها لم يتخلوا عموما عن فضائلهم و تقاليدهم و بتحسن أوضاع العائلة المادية تمكن مالك بن نبي من الدخول إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية الوحيدة في تبسة [1].

2- ùĀîõ ýǂyǂǁä : إلتحق مالك بن نبي بالمدرسة الابتدائية الفرنسية الوحيدة بمدينة تبسة بعدما أضيف فيها فصل رابع خصص للصغار من أبناء الأهالي (Les petits indigènes) إلا انه في الوقت نفسه ثابر بالتردد على مدرسته السابقة لتعلم القرآن و في هذا الصدد يقول: "كنت اقصد مدرسة تعليم القران كل يوم في الصباح الباكر لأكون فيما بعد عند الثامنة صباحا في المدرسة الفرنسية"، لكنه فيما بعد انقطع عن مدرسة تعليم القرآن ليستمر بالمدرسة الفرنسية لأنه كما يرى لم يستطع على الرغم من السنوات الأربع التي قضاها فيها، سوى حفظ عدد قليل من السور القرآنية وذلك راجع حسب رأيه إلى عدة أسباب حيث يقول:" وكنت أجد في ذلك صعوبة كبيرة، أضف إلى هذا الفارق الذي كنت أحس به بين المدرستين والمعلمين، كان يجعلني لا أطيق هذا الوضع، فبدأت أتغيب عن مدرسة القرآن القديمة، مما كان يعرضني للعقاب المتواصل من أبي ومن معلم القرآن، وهذا زادني كرها لمدرسة القرآن واستمرار هذا الوضع جعل حالي تسوء في المدرستين، وهكذا اقتنع والدي فانقطعت عن مدرسة القرآن القديمة لكني ما زلت أحمل بعضا من ذكرياتي فيها، وأن من ذكريات تلك الأيام ما لا يزال في مخيلتي، فقد كنت كباقي التلاميذ اغسل لوحي الحجري كل صباح في بركة ماء صغيرة، تقع عند زاوية المدرسة، ومتى تشبعت مياه البركة بذلك الحبر الذي كنا نكتب به وهو الصماغ الذي كان يصنعه المعلم عادة بنفسه مستعملا دهن الخرفان، كنا نعمد إلى نقل المياه الملوثة

---

[1] مالك بن نبي، çâlíǆ ìljƑ ɭ bîŝǂǁ، ÙШîǆ úǤƑƨ، ص ص 17– 19

بدلو لطرحها في مكان خاص، شربت ورفاقي مرة من هذه المياه الملوثة لاعتقادنا أنها كانت ممزوجة بكلمة الله، وكان قصدنا من ذلك نبيلا ومؤثرا فما أردناه هو أن نشرب كلمة الله المقدسة بالذات[1].

وأثناء تواجده بالمدرسة الابتدائية الفرنسية كان مالك يتنقل إلى قسنطينة مسقط رأسه لزيارة عائلته، خاصة بعد أن عرفت الظروف المادية لزوجة عمه الأكبر بعض التحسن إثر حصولها على منصب شغل كأمينة صندوق في متجر، وعودة جده لأبيه رفقة بعض أفراد العائلة من طرابلس عقب احتلالها من طرف الاستعمار الإيطالي، ولقد أثرت فيه شخصية جده هنا الناقمة على الوضع العام للمجتمع، لاسيما وان هذا الأخير كان من المؤيدين لصالح بن مهنا[2] ، كما سمحت له الفرصة في تلك الحقبة التي كان فيها طالبا في المدرسة الابتدائية الفرنسية بمتابعة مجريات الأحداث الداخلية والخارجية عبر الصحف وبعض الكتابات التي توفرت له من خلال المكتبة الخاصة التي كان يمتلكها والده والتي كانت تضم كتبا قيمة باللغتين العربية والفرنسية إضافة إلى اطلاعه على صحيفتي الراية [3] والإقدام[4] ، اللتين كان أبوه دائم الاطلاع عليهما مما كان له أكبر الأثر في تكوين شخصيته فيما بعد، فهو في هذا الصدد يقول:" كنت أدرس بجد طيلة أيام الأسبوع، وبما أني كنت أحرص على كتابة وظائفي يوم السبت، فقد كنت أحصل على شيء من الحرية يوم الأحد، وبالتالي كنت أقضي يومي كله تقريبا في مخزن السيد الشريف برقوقة بقال الحي، وبسبب ظروف الحرب العالمية الأولى التي أدت إلى فقدان الورق التجاري المستعمل في لف المشتريات فقد أضطر كسائر زملائه إلى استبدال الورق المطبوع به.

كانت قضية الحرب آنذاك تظهر في أجزاء مطبوعة أجد معظم أعدادها الصادرة في مخزن السيد الشريف وكنت أغرق في قراءتها باهتمام بالغ.

نجح بن نبي في الحصول على شهادة الدراسة الابتدائية سنة 1918 بدرجة جيد كما وفق في اجتياز امتحان المنح الذي كان له أكثر من معنى بالنسبة لطفل من الأهالي لا يستطيع أهله أن يرسلوه إلى الثانوية.

---

[1] مالك بن نبي، þîśǂ ìǉ̧ꟻ ʅ çâlíǱ، مرجع سابق، ص ص 24-25

[2] صالح بن مهنا: احد رجال الإصلاح بالجزائر.

[3] ђĭâǁä ђžĭӨТ : (l ètendard) كان يصدرها في عنابة المقدم"dendan" و التي شاركت في حلبة الصراع الدائر بين الأمير خالد و رئيس بلدية قسنطينة آنذاك مورينو.

[4] ўäìƽǕä ђžĭӨТ : والتي كان يصدرها الأمير خالد ، يقول مالك انها وضعت في فكري الحدود السياسية الدقيقة.

فعن طريق هذه المنحة استطاع متابعة دروسه في المرحلة التكميلية بمدينة قسنطينة في مدرسة سيدي الجلي التي كان يتحضر فيها المرشحون إلى المدرسة الرسمية ، ودار المعلمين الابتدائيين، والمساعدون الطبيون، وكان بن نبي يعد نفسه تبعا للتوجيه الذي أرادته عائلته له واستقر عليه رأيه، للدخول إلى المدرسة الرسمية ليتخرج منها عونا قضائيا.

وقد اضطره ذلك إلى تسجيل نفسه في الدروس الخاصة للشيخ عبد المجيد[1] الذي كان أستاذا في هذه المدرسة، يعد فيها التلاميذ اللذين يختارون هذا الاتجاه وكانت هذه الدروس الخاصة التي تعنى بالنحو تقدم كل صباح في الساعة السابعة في المسجد أي قبل الالتحاق بمدرسة سيدي الجلي، وقد تأثر مالك بالشيخ عبد المجيد وآراءه مثلما يوضح في هذا الشأن قائلا: " وسرعان ما أدركنا عداءه لبعض التقاليد السائدة في المجتمع الإسلامي كالطرق الصوفية، وكراهيته لتجاوزات الإدارة الفرنسية وتصرفاتها" وقد شد ذلك انتباهه كثيرا.

كما تأثر مالك بن نبي بأستاذه مارتان martin حيث قال بشأنه :" انه كان يثري تلاميذه بالمفردات ويطبع في نفوسهم الذوق والفن في الكتابة، وكان يقرأ لنا أحيانا القطع الجيدة التي كتبها من هم أكبر منا والذين قضوا في مدرسته أكثر من سنة، لقد طبع في نفسي هذا الأستاذ تذوق القراءة، ففي مساء كل سبت كان يعير الكتب للتلاميذ وقد أتاح ذلك لمالك الاطلاع على كتب عديدة ومتنوعة ".

وفي نهاية السنة الدراسية تمكن بن نبي من اجتياز الامتحانات بنجاح بحيث كان من الفائزين الأوائل، وتم قبوله ابتداء من السنة الدراسية 1922/1921 في المدرسة الرسمية التي تخرج أعوان القضاء.

[1] الشيخ عبد المجيد: مدرس في معهد تكوين المعلمين مختص في قواعد اللغة العربية و النحو و الصرف و الشعر.

وفي هذا الوقت بالذات بدأ مالك يقرأ للعديد من المؤلفين الأوربيين والمسلمين على حد سواء من أمثال بيار لوتي pierre loti[1] و كلود فارير Farère Chloude[2] ولا سيما بيار بورجي Pierre borjier الذي كتب مؤلفا بعنوان التلميذ Le disciple والذي فتح أمامه عالم النفس الذي أتاح–كما يقول: " Ĭǂšyʅ Ăłʓ üšyǁ ǀþà Ăǂɑǂĭ þY ʅ Ĭ Þ þǅ ÀàǰFǰǈ ĀƨíäɯǂǈL ".

كما طالع مالك بن نبي رسالة التوحيد للأمام محمد عبده 1849–1905 وكتاب الإفلاس المعنوي للسياسة العربية في الشرق للكاتب التركي احمد رضا، وكتاب أم القرى للمصلح عبد الرحمن الكواكبي 1902/1849[3] الذي أقنعه بأن الإسلام بدأ ينضم صفوفه ليدافع عن نفسه ويقوم بحركة بعث جديد[4].

وقرأ في التاريخ الإسلامي "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمؤرخ المسعودي[5]، والمقدمة للعلامة عبد الرحمن ابن خلدون (1406/1332)[6] ، وصارت مرجعا له في معظم كتبه وأصبح ابن خلدون أستاذه الأول وملهمه الأكبر، كما تأثر مالك بن نبي كثيرا بصديقه حمودة بن الساعي[7]، واعترف مالك بذلك في مواضيع كثيرة

---

[1] بيير جوليان فيّو الملقب ببيير لوتي Pierre Loti1850 . 1923 كاتب فرنسي عمل ضابطاً في البحرية منذ عام 1867، وشارك في حملات كثيرة في السنغال وفي المحيط الهادئ، كما كان ضمن الكتيبة التي أُرسلت إلى الشرق الأقصى لقمع الاضطرابات في الصين عام 1900

[2] كلودفاريير: (1876–1957) اسم مستعار لتشارلز فريدريك بأرغون ، كاتب فرنسي فازت إحدى رواياته (الحضاري) على جائزة غونكور لعام 1905، تم تجنيده في الأكاديمية البحرية عام 1894 برتبة ملازم و تمت ترقيته إلى قائد عام 1918 ليستقيل من منصبه بعد عام و يتفرغ للكتابة.

[3] عبد الرحمان الكواكبي (1849–1902) مفكر و علامة سوري رائد من رواد التعليم و الحركة الإصلاحية العربية كاتب و مؤلف و محامي و فقيه شهير ترك تراثا ادبيا كبيرا مثل طبائع الاستبداد و أم القرى توفي بالقاهرة.

[4] مالك بن نبي ǅíǀâç ʅFǰǀì ǁǂšîþ، مرجع سابق، ص 42

[5] المسعودي : (896–957) هو ابو الحسين بن علي و كنيته ابو الحسن قطب الدين، عالم فلك و جغرافي ، ولد ببغداد و تعلم بها كان كثير السفر ، من اهم آثاره كتابه مروج الذهب و التنبيه و الإشراف يذكر فيه بأهمية العراق و بغداد توفي بالفسطاط.

[6] ابن خلدون:(1332–1406) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، مؤرخ مسلم ويعتبر من مؤسسي علم الاجتماع الحديث ، ترك تراثا مازال تأثيره قائما إلى اليوم توفي بمصر و دفن قرب باب النصر بالقاهرة.

[7] حمودة بن الساعي : تعرف عليه مالك عندما كان طالبا في قسم الفلسفة في جامعة السوربون و احد تلاميذ المستشرق الفرنسي المعروف لويس ماسينيون يتميز بن الساعي بذكاء كبير و واطلاع واسع على الثقافة و السياسة و قضايا العالم الإسلامي .

فيقول في ذلك:" þĭìà æìĀDžϴǁ þǴ ĬYƑƨǁä ĬǉƑɯƚƑǴ ƑǴƚƑl ƑTTɑƚDž Ĭʓ þĀáʅ ýǁƑyǁä "ĬDžúƨŰä þäĀÛ
ĬǁĀϴƚ þY Ĭƚƨâì ìƽ ìä LjƚǴϴTǴ ìdžDž çϴǴTÐdžà ƑDžƚNJDž ɦƻƨƚƻǁƑǴ ýƚYĀ öƑDžƚɯÚä ÛơĭîƑƚǁäĀ îklà þDž
. ĬDžƑDžƚǉä ĬìäĀDžǴ ɦƨîìDž Ĭlƚƨúǁä

وبين مالك كيف أصبح تأثره وأصبح قدوته الأولى: " ابن الساعي الذي يكبرني لم يكن مخلص ذكيا ومثقفا بالعربية والفرنسية فحسب بل هو شخص مثال وقدوة، فقد ترك في نفسي أثرا خاصا".

تأثر مالك بن نبي بالحياة الاجتماعية والثقافية السائدة في تبسة وقسنطينة وكانت المقاهي الملتقى في ظل غياب المراكز الثقافية لتبادل الأفكار وقراءة الصحف العربية والفرنسية الكبرى، والاستماع إلى المذياع للاطلاع على أخبار المسلمين في العالم، فتابع بشغف كبير انتصارات الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي (1963/1882) في الريف المغربي ضد الإسبان، ولما تدخل الجيش الفرنسي لقمع هذه الثورة، كتب بن نبي منشورا للتنديد بهذا التحالف الاستعماري، وعلقه في المساجد[1].

لقد كان مالك بن نبي يتردد مع زملائه على مقهى تسمى مقهى" بن يمينة" الموجودة بالحي العام الذي توجد به المدرسة، حيث تدور هناك نقاشات حول مسائل كثيرة تخص الوضع العام في الجزائر وفي غيرها من الدول[2]، وكان مكتب الشيخ" عبد الحميد بن باديس" على بعد خطوات من هذا المقهى، حيث كان يستقبل فيه كما يقول بن نبي أصدقائه وتلاميذه، ويدير مؤسسته الصغيرة التي اتخذت شكل شركة ذات أسهم تصدر مجلة " الشهاب" التي جاءت في أعقاب احتجاب" المنتقد" ولم تكن قد ظهرت إلا فترة قصيرة ثم منعت الإدارة المحلية صدورها[3].

---

[1] مولود عويمر Û ĬDžîɯU ƨƑǴú ، ص ص 12-13.

[2] عن دور المقاهي في تفعيل النضال السياسي في الجزائر انظر :

Omar carlierk ,**le café maure**, sociabilité masculine et efervescencecitoyenne,(Algérie xvII–xxsiecle) annales E.E.C n04, juillet, aout 1990,p ,97

[3] كان ذلك بعد عودة الشيخ بن باديس من المدينة المنورة إلى أرض الجزائر سنة 1913أين شرع في مشروعه الإصلاحي عبر عبر المساجد ثم لجأ إلى الصحافة بإصداره جريدة المنتقد عام 1925و التي توقف إصدارها بعد 18 عددا فأسس جريدة الشهاب الأسبوعية التي بث فيها آراءه الإصلاحية.

إذ كان حي الطلبة العام مجاورا لذلك المكان الذي سوف يصبح مهد حركة الإصلاح ،و كان مرور تلاميذ الشيخ " بن باديس " أمام مقهى بن يمينة أو مقهى الفكر كما يسميه مالك يوثق على الصلات بيننا و بينهم[1] و أصبح الحي العام قبلة لمن يريد أن يدلي بدلوه في المناقشات التي تدور هناك أو حتى من يريد اصطياد الأخبار الجديدة ، يقول مالك بن نبي :" كنا نلقي بما نقرأه في أتون تلك المناقشات الحادة المثيرة التي أعتدنا أن نجريها في مقهى بن يمينة ، يغذيها من ناحية التيار الفكري الباديسي ، ومن ناحية أخرى تيار المدرسة الفكري[2] ".

في نهاية السنة الدراسية (1922 – 1923) استطاع بن نبي اجتياز امتحانات آخر السنة بنجاح ، والتحق بعدها بأسرته في مدينة تبسة لقضاء العطلة الصيفية و قد تزامن ذلك مع عودة أحد رجالات الإصلاح من الأزهر في القاهرة و هو الشيخ العربي التبسي (1895–1957) و الذي عرف بدفاعه الشديد عن شخصية المجتمع الجزائري و وقوفه ضد الطرقية و الشعوذة.

و مع انقضاء العطلة الصيفية عاد بن نبي من جديد إلى قسنطينة لمتابعة دراسته بالمدرسة الرسمية و استمر من خلال هذه المرحلة الدراسية (1923 – 1924) في تقصي الأحداث الوطنية و الدولية من خلال مطالعاته الكثيرة خاصة للصحف و في هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن هناك صحيفة أخرى جديدة ناطقة باللغة العربية بدأ يطلع عليها في هذه الفترة و تسمى صحيفة " صدى الصحراء " و التي كانت تصدر بمدينة بسكرة و قد أسسها كل من الشيخ اللمودي و الشيخ الطيب العقبي و الذي عاد من المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت خلال السنة الدراسية (1924 – 1925) ، استمر مالك في تتبع الأحداث الوطنية من خلال مناقشاته العامة مع زملائه و مطالعته للصحف و مما هو جدير بالذكر في هذا الصدد هو أنه فضلا عما كان يفكر فيه في هذا الوقت بالذات كسائر زملائه الذين بلغوا السنة الرابعة من الدراسة ، ما هو العمل بعد التخرج من المدرسة ؟ ، كان مالك بن نبي يفكر أيضا في تأليف كتاب بعنوان " le livre proscrit" أو " الكتاب المنفي" لماذا هذا العنوان ؟ و ماذا سيكون محتواه ؟ تلك بعض الأسئلة التي قال بشأنها أنها كانت

---

[1] موسى لحرش ،[illegible] ، (عنابة الجزائر: جامعة باجي مختار ،2006) ، ص24 .

[2] يوسف حسين، [illegible] ،(الجزائر: دار التنوير للنشر والتوزيع ،2004) ، ص 55

تحرجني لو أن أحدا سألها و لكن الفكرة استهوتني[1] ، و يبدوا أن ذلك راجع إلى شعوره بالغربة في بلده ، أو بالظلم الذي كان يمارسه المستعمر الفرنسي على الجزائريين .

بعد اجتيازه لامتحانات آخر السنة الدراسية (1924–1925) بنجاح و تخرجه من المدرسة الرسمية ، فضل التنقل إلى فرنسا رفقة زميله بالمدرسة قاواو و ذلك للبحث عن عمل فزار مرسيليا و ليون و عرجا على باريس و لكنهما لم يحظيا بعمل مناسب فعادا إلى الجزائر .

/é ùĀÎıõ üĎŽyⅡä Ĭʓ îðä ШІä: بعد عودته إلى تبسة حاول العمل بالمحكمة كعون للقضاء لكن لم يتسنى له ذلك في البداية لأنه لم يبلغ بعد كجزائري أو " أهلي" السن القانونية لممارسة هذه الوظيفة و هو اثنان و عشرون سنة ، و لما كان له صديق في محكمة تبسة يشتغل هو الآخر كعون في القضاء فقد اتفق معه على أن يقوم بمساعدته بدون أجر مادي ، حتى لا يشعر من الناحية المعنوية بأنه بدون حركة أو نشاط إلىأن اعتمدته المحكمة في نهاية الأمر معاونا متطوعا و في ذلك يقول :" فهم وجدوا في ذلك فائدة أما بالنسبة لي فقد كانت الفائدة مؤكدة بالإضافة إلى الخبرة المهنية ، فقد كنت أرافق أعضاء المحكمة لتنفيذ الأحكام و الخروج مع أعضاء لجنة المحكمة إلى الريف التبسي مثل أولاد سيدي يحي و الكويف و الونزة أمر يستحق أكثر من التطوع فلو كنت أستطيع أن أدفع عليه مالا لفعلت ، إذ هناك يوجد الوجه الآخر للمجتمع الجزائري في مقابل المدينة في بعدها الحضاري لقد اكتشفت هناك بأن بعض الظواهر القديمة لم تزل بعد حية ، فالأفراد يدفعون فوق ضرائبهم الزمنية زكاة المنطقة بأسرها و يتميزون بالكرم ، و الفلاح يؤرخ لأحداثه في قبيلته أو في المنطقة الريفية التي يقطن بها بهذه الطريقة : عام الرز ، عام الجليد ، عام الجراد ، عام وفاة أو زواج فلان أو زيارة الشيخ فلان ، لكن الموجة الإصلاحية و السياسية التي بدأت تحرك تبسة لم تقتحم حدوده بعد –هذه الموجة الإصلاحية التي قال عنها " ففي تبسة منذ عام 1925 بدأت الروح الجماعية في البروز في وقائع محددة ،فإنشاء النادي كان أكثر تعبيرا في هذا الإطار من عشرة انتخابات يزورها الحاكم أو الزعيم ، فالمجتمع كان يعمل بنفسه على تأسيس نواديه و بناء المساجد و المدراس [2] .

---

[1] مالك بن نبي، þîš‡ ìljf˥ çâ1íĎŽ، مرجع سابق، ص 130.

[2] مالك بن نبي ،þîš‡ ìljf˥ çâ1íĎŽ ،مرجع سابق ،ص169.

هذا و لما بلغ سن الاثنين و العشرين سنة تم تعينه " كعون في القضاء " و ذلك ابتداء من شهر مارس 1927 و كان مكان عمله الأول آفلو[1]، حيث مكث فيها سنة كاملة يعمل في محكمتها و هناك اكتشف ميزة أهل المنطقة و هي الكرم و حسن الضيافة يقول:" كانت آفلو بالنسبة لي مدرسة تعلمت منها أن أدرك فضائل المجتمع الجزائري الذي لا يزال بكرا ،كانت هذه فضائله بالتأكيد في سائر أنحاء الجزائر قبل أن يفسد منها الاستعمار ، و يذكر مالك أنه كان أول من أدخل مجلة الشهاب إلى آفلو لأن الحركة الإصلاحية كانت لم تصلها بعد و كان الشيخ الإبراهيمي لم يصل إلى تلمسان القريبة من آفلو حيث يقوى نفوذ المرابطين أهل الطريقة " القادرية"[2] و" الرحمانية" [3]و ذلك بتزكية من الإدارة الاستعمارية وبإيعاز منها في غالب الأحيان ففي هذا الصدد يقول : "و من أجل أن تدخل الإدارة في رأس مستعمريها، أبناء البلاد تلك الجرعات من السذاجة الضرورية لمصالحها الخاصة كانت في تلك الفترة و خاصة في وهران تعمدت إلى حرق أكوام قمح أحد الأوربيين رفض إعارة أدواته ليحصد بها قمح سيدي المرابط الفلاني كان المعلق يقول : تلك كرامة سيدي فلان ، فالمعمر الذي رفض أن يعيره أدواته قد احترق موسمه، لكن بن نبي لم يخفي تفاؤله من حركة الإصلاح التي بدأت تدب في معظم أرجاء البلاد .

نقل مالك بن نبي إلى محكمة شلغوم العيد و التي كان اسمها آنذاك " شوتا دون" " château d'un" و لم يناسبه جو المنطقة آنذاك لأنه كما قال كانت هذه البلاد مركزا كبيرا للمستعمرين كل شيء فيها يخضع لقانون الاستعمار أما حياة السكان الأصليين فكانت نوعا من الإقامة في ارض أجنبية، كما أنه لم يعجبه تسلط كاتب محكمة الصلح " الكورسيكي" الأصل فانفجر خلاف بينهما انتهى بتقديم مالك بن نبي استقالته من الوظيفة، عاد بن نبي بعد ذلك إلى تبسة ليصبح شريكا في مطحنة مع صهره زوج أخته الكبرى و صديق آخر ولكن لم يحالفه الحظ في التجارة طويلا حيث تأثر مشروعه بالأزمة الاقتصادية العالمية 1929 والتي أدت إلى ارتفاع أسعار "البنزين، القمح، الشعير " فقرر هو وصهره التخلي عن العمل بالمطحنة ، فاقترح

---

[1] Ā‡ʒß hudžĩĩĭDŽ :كانت تابعة إداريا إلى عمالة وهران ، ثم ولاية تيارت أما حاليا فهي تابعة لولاية الأغواط، أثارت ظاهرة التصحر في المنطقة انتباه مالك بن نبي فاقترح إقامة السد الأخضر لذي يعتبر فكرة بنابية خالصة.

[2] الطريقة القادرية : إحدى الطرق الصوفية و التي تنسب إلى عبد القادر الجيلاني (471-561هـ) و ينتشر اتباعها في كل من مصر و العراق و بلاد الشام و شمال و شرق إفريقيا وكان لرجالها الدور البارز في نشر الإسلام في قارة إفريقيا .

[3] الطريقة الرحمانية : إحدى الطرق الصوفية تأسست في 1774م من قبل سيدي محمد بو قبرين في الجزائر ثم توسعت في باقي مناطق شمال إفريقيا .

عليه والده بعدها السفر إلى فرنسا ثانية و لكن هذه المرة من أجل إكمال دراسته و الالتحاق بكلية الحقوق و تعهد والده في هذا الصدد بتأمين حاجاته المادية هناك شهريا[1] .

قرأ مالك بن نبي في تلك الفترة كل ما وقع بين يديه حيث حاول دفن كل همومه في الكتب قرأ عن الفكر و السياسة و مسح الأراضي و حتى عن تربية النحل كانت مطالعته موسوعية كأنه أراد أن يكفي أمته كل ما تخاذلت عنه من معرفة في شتى الميادين [2] .

ƑƨǆîǮ Ĭǫ ĬǤǆ þǤ ûǁƑĎ ôƑɿǆ /ì : سافر بن نبي إلى فرنسا و نزل بالضبط في " باريس " في شهر سبتمبر من العام " 1930" و بعد وصوله قام مباشرة بالتسجيل في قائمة الطلبة المعنيين بالمشاركة في امتحان القبول بمعهد الدراسات الشرقية وهو معهد يجب أن يدرس فيه غير الفرنسيين مدة عام قبل الالتحاق بكلية الحقوق [3] و في هذه المدينة الفرنسية بدأ يتعرف شيئا فشيئا هذه المرة و بصورة عملية ، عن جوانب من حياة المجتمع الأوروبي و تاريخه خاصة المجتمع الفرنسي ، فهو يقول في هذا الصدد مثلا "لقد صفا الجو لاهتماماتي الاستطلاعية و تجولاتي الاستكشافية التي ساقتني إلى متحف الفنون والصناعات بقرب "سان دوني" حيث وقفت تلك العشية أفكر لأول مرة في الجوانب التكنولوجية للحضارة، وأنا اشاهد بين روائع المتحف، القاطرة الأولى التي تحركت بالطاقة البخارية، والطائرة التي عبر بها " بليرويو"[4] بحر" المانش"[5].

وفق مالك بن نبي في اجتياز الامتحان الكتابي لكنه لم يوفق في اجتياز المقابلة الشفاهية، لان الدخول في هذا المعهد كان يخضع في نظره خاصة بالنسبة لمسلم جزائري مثله إلى مقياس غير علمي فهو يقول في هذا الصدد:" ÛîĎǓä Ĭǫ ƑĎ ül äílj ð ĭǁĀ!! ŋɯǆä ýǁ üĎà hɷǤĭƣ çǆƑl þlǁĀ çâƑǤƚƣǀÚä Ĭǫ hɷǤĀƴƬ Ăà Ĭǁ ìǤƚ ýǁ

---

[1] مالك بن نبي þîŧǂ ìljƑɿ çâlíĎǓÛ ، مرجع سابق ،ص 196.

[2] الجزيرة الوثائقية ، LjĎĀƽ Ĭǫ üĀNJɯĎǁä ĬǤǆ þǤ ûǁƑĎ، مرجع سابق .

[3] مالك بن نبي ، þîŧǂ ìljƑɿ çâlíĎ ، مرجع سابق ، ص ص 203-204 .

[4] بليرويو : louis– Blériot (1872-1936) رائد طيران و مهندس فرنسي، اول من عبر بحر المانش بطائرته ، وساهم بشكل كبير في تطوير الطيران التجاري.

[5] بحر المانش : جزء من المحيط الأطلسي يفصل بريطانيا عن فرنسا و يربط بحر الشمال بالمحيط الأطلسي يبلغ طوله حوالي 563كم و عرضه 240كم

üĀɊìllä Ă‡Ƴ îâṬŮä þĎž āĀìɯllä ýìyĞ ĬďĞîƴʅĭ öîʅ îĀƽĀllä ǇĞɫlĎž ÞĀìlj ĬʓĀ ìǋyĎžllä îĭìĎž ĬďĞ‡ô ìƽll üĞ
." ǇĴìǋyĎž Ăllâ

إذن فالأمر واضح، فالأمور تتعدى العلم والمعرفة، كان من يقوم بتلك المقابلة مختصين في علم النفس، وكانت الأسئلة دقيقة بحيث تمكنهم من معرفة قناعات هؤلاء الطلبة، فوجدوا في مالك الشاب الذي يحمل قضايا وهموم شعبه ويملك طموحات تفوق سنه وتتجاوز الحدود التي رسمها له الاستعمار فمنع من تحقيق طموحه، لذلك كان عليه الاكتفاء بالتسجيل في معهد اللاسلكي والإقامة بنزل صغير مقابل المعهد في شارع القمر كان نزلا رخيص الثمن في حي مشهور بكل أنواع الموبقات، وكان عندما ينزل عبر شارع القمر ليلا يرى مظاهر الحياة الغربية، التي صدمت مشاعر المسلم الشاب، والتي تسببت في أحداث هزت نفسيته ، و تسببت له في نفور شديد، لما سماه مالك "ÞäĀɊllä ĬθĀîllä hŭďĞîĎž‡ll hŭĬĞîƸllä"، وهذا ما سيؤثر على شخصيته وفكره فيما بعد، وسيولد لديه فكرة أن الدين جزء لا يتجزأ من المشروع الحضاري[1].

ورغم ذلك كان لتواجده في معهد اللاسلكي تأثير على شخصية مالك بن نبي حيث يقول في هذا الصدد : الساعات التي كنت اقضيها في الورشة لم تكن مجرد لعب ، بل كانت ممتلئة بشعور الوارد على دين جديد ، يقوم بطقوسه في معبد هذه الحضارة الآلية التقنية ، ولم تكن أيضا تخلو من ملاحظات و بواكير لتفكير اجتماعي بدأت تخامر عقلي ، فبينما تلك الأدوات البسيطة في يدي ، أشعر بأنها ليست لمجرد اللعب ، بل هي دلائل على مقدار تطور المجتمع.

لقد حرك فيه ذلك هاجس البحث أكثر على سبيل تطوير مجتمعه و التحاقه بالركب الحضاري خاصة و أنه لم يكن في هذه الفترة بعيدا عن ذاكرته ، وبقي يربطه بها رابط روحي قوي ، الى درجة أنه كان يدافع عن شخصيته و يعبر عن أفكاره الوطنية الداعية الى الاستقلال و يجهر بموقفه ضد الاستعمار في فرنسا ذاتها على الرغم من المخاطر التي كان من الممكن أن يتعرض لها بسبب ذلك الموقف من قبل الاستعمار[2] .

---

[1] الجزيرة الوثائقية ، ǇĴĎžĀƽ ĬʓüĀǋɯĎžllä ĬĞďþĞ ûllFĎž ، مرجع سابق

[2] موسى لحرش Û hŭɯĭłâłƨä ùɣďθłƨä ÞFďĞllä ĂîɈṬθllä ýllFy‡ll ĬĎžůƨŮä ، مرجع سابق ،ص ص37-38

كان مالك بن نبي في تلك الفترة يتردد كثيرا على جمعية " الوحدة المسيحية للشباب الباريسيين " [1] الواقعة في شارع تريفيز Trèves في الحي التاسع و نجد هذا الميل إلى حضور نشاطات الجمعية المسيحية أيضا عند "سيد قطب" (1906-1666) خلال إقامته في أمريكا ما بين (1948 و 1950)[2].

ويظهر تأثير ذلك فيما بعد على مالك بن نبي حين يستشهد مرارا في كتبه بنصوص من الإنجيل و التوراة ، خاصة في كتابه الظاهرة القرآنية حيث خصص فصلا كاملا للمقارنة بين القرآن و الإنجيل في دراسته لسورة يوسف عليه السلام.

و أكثر من ذلك فانه في الحي اللاتيني حيث كان يسكن العديد من العرب المغاربة و المشارقة و حيث يوجد أيضا مقر " مركز طلبة شمال إفريقيا المسلمين" [3] ،كان يدعوا رفقة زميله الجزائري " حمودة بن ساعي " و الوزير الأول التونسي الأسبق في عهد الاستقلال " الهادي نويرة " إلى الوحدة المغاربية و العربية و الإسلامية.

في مكتبة " سانت جون فيف" تعرف على " بوليت " مرأة فرنسية مسيحية تزوج بها عام 1931 بعد أن أسلمت و سمت نفسها خديجة ، والتي كانت له سندا قويا في حياته فهو في هذا الصدد يقول " þà îĀƬŧà þĎ ùîýŧǓ Ĭǁ Ĭǀj ƑǊŧîǬƨ ìƽ Ȗ ýǘƨǕä ĂǂƳ ƑǊŧôƨǞǤ ƕǕǐìǬ çǯîýŧ Ȗ ƕǂĭƨĀl ĬǭŧîǬƨ Ĭŧǁä îäìƽǓä ƕĭƨǭîƻǁä ǣƑƮƟǂǁ üĭƬǓä ǈǕĀǁä ĂǂƳ ƑǊǁǘǬ ."

ويضيف مالك بن نبي " وان خديجة لو ولدت رجلا كما قال بن نبي لكانت فنانا ماهرا في فن التجميل و ربما تفوقه بما تضع بيدها من آيات من الذوق ببعض خشب و بعض قماش مزركش من نوع الكريتون الرخيص

---

[1] جمعية الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين –union chrétienne de jeunes gens de paris– و التي كان يديرها هنري نازيل و زوجته و التي تضم شبابا مهتمين بالتبشير المسيحي ، هذا الاحتكاك بالجمعية المسيحية سمح له بالاطلاع على هذه الديانة و أثرها على الإنسان المتدين المسيحي.

[2] سيد قطب:(1906-1966) كاتب و أديب و منضر إسلامي مصري لجماعة الإخوان المسلمين حوكم بتهمة التآمر على النظام و أعدم سنة 1966.

[3]جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين: تأسست في باريس في كانون الأول 1927على يد الطلبة التونسيين و الجزائريين والمغاربة و برزت بأنشطتها الإصلاحية و الثقافية و الاجتماعية و مواقفها الوطنية .

جدا ، أني أذكر هذه التفاصيل لأني أعدها دالة على التطور النفسي الذي يجعلني أشد الناس نفورا لكل ما يسيء لذوق الجمال.

و عن مناقشاته مع زوجته يقول مالك بن نبي :" و أتجاذب الحديث مع خديجة حول القضية الجزائرية أو حول الدين ، و كان يروق لها بعد ما أصلي المغرب أن تستمع لما أتلوا من القرآن دون أن تفهم بطبيعة الحال ، غير أنها تتذوق جرس التلاوة ، و يحدث أن تطرح بهذا الصدد سؤال المريد المبتدأ ، أو تبدي رأيها في موازنة بين الإسلام و المسيحية بطريقة تفيدني أحيانا[1].

كان مالك بن نبي كثير النشاط و صار مراقبا من طرف مصالح الأمن الاستعمارية خاصة بعد مشاركته في نشاط الحزب الوطني الجزائري " نجم شمال إفريقيا " و جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا " التي انتخبته نائبا للرئيس ، وجمعية الوحدة العربية السرية التي أسسها " فريد زين الدين " أحد المقربين من الأمير " شكيب أرسلان"(1869-1946) . رفض مالك أخيرا المشي وراء هذه الجمعيات لأنه كإنسان (متمرد) لم يكن في يوم من الأيام، راضيا عن الحالة التي كان يعيشها هو أو وطنه الأم الجزائر أو أمته الإسلامية.

ألقى بن نبي محاضرته الأولى في ديسمبر 1931 وكان عنوانها " لماذا نحن مسلمون؟ " كانت مفتاح شهرته و جلبت إليه أنضار الوسط الثقافي خاصة أن مالك قد أدخل عليها مفاهيم فلسفية ، متأثرا من دراسته للكتب الفلسفية حيث أثارت عبارة " الروح تصنع المادة " انتباه الحاضرين حيث أظهر اتجاهه المثالي في الفلسفة المعارض للاتجاه المادي ، حينها اكتشفه المستشرق المعروف في الفكر الإسلامي" لويس ماسينيون"[2] و قدم له دعوة ليتناقش معه في بعض القضايا الإسلامية، لكن مالك بن نبي رفض الدعوة ، و من يومها أطلق على مالك بن نبي زعيم الوحدة المغاربية[3] .

---

[1] يوسف حسين ، [illegible] ، مرجع سابق ، ص ص59-60

[2] لويس ماسينيون: إضافة لنشاطه العلمي في ميدان التصوف البدعي و نشاطه التجسسي في مصر و العراق و لبنان فهو كذلك صاحب مشروع (الإسلام الجزائري) الذي يدعم الوجود الفرنسي في الجزائر بإشاعته أن مقاومة الاحتلال الفرنسي ووجوده هو تحد لقضاء الله و قدره.

[3] مولود عويمر [illegible] ، ص ص14-15 .

بعد عودته إلى الجزائر في صيف 1933 لقضاء العطلة الصيفية بين الأهل لاحظ مالك بن نبي أن وتيرة الحركة الإصلاحية قد عرفت تسارعا ، بحيث فقدت الطرقية مكانتها الأولى في صفوف أفراد المجتمع، و بدا هناك اهتمام بإنشاء النوادي و المدارس و معارضته الاستعمار بشكل منظم ، و بعد عودته إلى فرنسا بقي مكثفا لمجهوداته في الدراسة في الوقت نفسه راصدا للتطورات الفكرية و السياسية الحاصلة في أوروبا و العالم الإسلامي و في الجزائر خاصة .

خلال العام الدراسي (1933–1934) و قبل نهايته بقليل و صله نبأ وفاة أمه فأثر ذلك في نفسه بالغ الأثر و لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة مسيرته و العمل بنشاط لإكمال دراسته كمهندس ، و متابعا لمناقشاته المتنوعة مع زملائه بالحي اللاتيني و كذا بالبيت خاصة مع " حمودة بن ساعي" [1] ، و بشأن مناقشته مع صديقه حمودة بن ساعي يقول مالك بن نبي: " فقد ترك في نفسي أثرا خاصا حينما تعرفت عليه شخصيا بعدعدة أشهر ، ففي نزهة معه ، بين غابات الصنوبر كنت أستمتع بطريقته في توجيهه الآيات القرآنية لتتخذ تفسيرا اجتماعيا لحالة المجتمع الإسلامي الحاضرة و كان ذلك يؤثر في نفسي كثيرا ".

ووصل حمودة بن الساعي إلى باريس (فحمدت الله على وجود صديقي بين ظهرانينا لأنني أستطيع معه القيام بمهمات لا يعينني عليها غيره ، و بصحبته أصبحت مهتما بالفلسفة و علم الاجتماع و التاريخ أكثر من اهتمامي بمدرسة اللاسلكي.

و كانت هذه المناقشات بين مالك بن نبي و صديقه حمودة بن الساعي ، متنوعة علمية أحيانا و سياسية أخرى و دينية اجتماعية غالبا ، أو عملية نقد لتسيير الأمور في الجزائر من طرف المسؤولين عن الحركة الإصلاحية أو عن الحركة الوطنية ، ولكن المناقشات كلها كانت تدور حول محور الإسلام ،الأمر الذي جعله استفيد كثيرا من خبرة صديقي و سعة اطلاعه في الموضوع ، لأنه قلما كان يغيب عنه أمر في الميدان الذي يعنى به معهد الدراسات الإسلامية في السوربون[2] .

---

[1] موسى لحرش úǴƑƨ UWĩDŽ Û ، ص ص 41–43 .

[2] جامعة السوربون :جامعة باريسية رفيعة المستوى تأسست سنة (1253م) بفضل جهود " روب ردي سوربون" المرشد الروحي للملك لويس التاسع ملك فرنسا تعد من أقدم و ارقى الجامعات في العالم.

ويعلن مالك بن نبي عن تأثير حمودة بن الساعي في توجيهه الفكري فيقول " ولكن بعد أربعين سنة عندما تعود لي اليوم بعض ذكريات تلك الفترة ، أدرك أنني على أية حال أدين لحمودة بن الساعي باتجاهي كاتبا متخصصا في شؤون العالم الإسلامي حتى لوأنني لم أنجز معه أي عمل بعيد المدى[1].

كما تعرف مالك بن نبي في تلك الفترة على عديد من المفكرين و العلماء مثل محمد عبد الله دراز و محمد المبارك و صبحي الصالح ، وساعد بعضهم على تعلم اللغة الفرنسية و تعرف من خلالهم على المشرق العربي ، و استفاد من ثقافتهم العربية الإسلامية الواسعة[2] .

وفي سنة 1935 أتم دراسته للكهرباء و لكن السلطات الفرنسية حرمته من استلام شهادته الجامعية ، حيث تسببت كتابات الرجل و موقفه في إغلاق كل سبل العيش الكريم في وجه سواء في فرنسا أو الجزائر المستعمرة وحتى المستقلة و صارت الوظيفة بالنسبة لمالك حلما مستحيلا ، و بان بن نبي متأكدا في قرارة نفسه أن الفرنسيين قد قرروا معاقبته مدى الحياة ، وطيلة السنوات الكثيرة سيضطر الشاب المهندس الخجول المولع بالفلسفة و المثقل بهموم وطنه و أمته إلى العمل في كل شيء لكي يعيش في كل المهن البسيطة و العفيفة التي لا تحتاج إلى كل المعارف التي كافح لتحصيلها ، مهن يمارسها في فرنسا أبناء المستعمرات الفارين من الاستعمار إلى الاستعباد و من فقر إلى فقر آخر. اشتغل ككاتب في بلدية drue، ومدرسا للغة للجالية المغاربية في مرسيليا ، وعند رجوعه إلى الجزائر بين الحين و الآخر يقوم بإعطاء دروس خصوصية للتلاميذ في بيوتهم.

ككل المفكرين الثائرين كانت المحنة فرصة بن نبي كي يكتب عن المحن كلها عن الثقافة التي ضاعت ، و المستقبل الذي يبدو مجهولا ، وتزوير التاريخ و تحريفه ، و أفق المقاومة ، وشروط النهضة [3].

3- ĂîIƻIIă LăƑôY Ā ĬdžNJDŽIIă LĴƑøƨDŽ : فكر بن نبي بعد تخرجه من مدرسة اللاسلكي، الهجرة إلى ألمانيا لكن تراجع فيما بعد ، فاستقر به المقام في فرنسا إلى حين ، و راوده السؤال الذي طالما طرحه بن نبي ما العمل ؟.

---

[1] يوسف حسين، úƓƑƨ UWîDŽ، ص ص 58–59.

[2] مولود عويمر ÛUWîDŽ úƓƑƨ ، ص ص 16–17 .

[3] الجزيرة الوثائقية، ûIIƑDŽ þƓ ĬƓdž üĀNJWDŽIIă Ĭʒ LjDŽĀƽ، مرجع سابق

بدأ في هذه الفترة بالذات يطالع بكل إمعان و اهتمام كتب " بلزاك" فكانت مطالعتي هذه تزيدني – كما يقول– كثيرا في معلوماته عن حياة المجتمع الفرنسي عندما بدأت بعد العهد النابليوني ، انطلاقته في العهد الصناعي " لقد كانت هذه المطالعات و الملاحظات و الموازنات كلها – كما يقول – حقلا خصبا لأفكاري الاجتماعية الناشئة " ، كما أنه لم يتوان في الوقت نفسه عن البحث عن عمل فقصد قسم هندسة المدفعية بوزارة الدفاع الفرنسية لإجراء امتحان خاص باختيار أساتذة لتدريس الرياضيات في هذا القسم و جاءه الجواب بعد أيام قليلة أنكم لم تستوفوا شروط الامتحان ، وطرق باب المستشرق الفرنسي " ماسينيون " فأجابه بأنك تطلب شيئا هاما ، و بلغه أن الإدارة بتونس قد شرعت في فتح طريق بالجنوب التونسي و أنها تطلب تقنيين من أجل انجازه ، غير أنه على الرغم من تدخل ممثل الجمهورية التونسية الثالثة لتأييد طلب مالك بن نبي للعمل فقد جاءه هاذ الرد السلبي " أننا لا نستطيع التصديق على هذا الطلب لان الطريق المشروع في انجازه طريق عسكري " لتراوده فكرة السفر مجددا إلى الحجاز أو مصر أو أفغانستان أو ايطاليا لكن محاولاته باءت بالفشل.

و أخيرا تعاقد بن نبي مع دار باريسية للنشر تخصصت في طباعة و توزيع الكتب العلمية المبسطة ، و ذلك بتدخل من أسرة كانت تزورهم في بيتهم من حين لأخر ، ورأت هذه الدار أن من مصلحتها مد نشاطاتها إلى الجزائر فأرسلت مالك بن نبي إلى الجزائر العاصمة قصد ترويج مطبوعاتها واشتغل كموزع كتب ليومين أو ثلاثة لكنه استأذن من زميله في العمل و سافر إلى تبسة بعد أن تأكد بأن عملا مثل هذا يستحيل عليه في مجتمع صنعه الاستعمار في كل جزئية من كيانه[1] و في مدينة تبسة قضى مدة سنة إلى جوار " الشيخ التبسي (1891 – 1957) يساعده في نشاطات نادي الشبيبة الإسلامية .

في سنة 1938 أسس بعض العمال الجزائريين بمدينة مرسيليا نادي لتعليم العمال الأميين عشية يوم السبت ، و يلقي محاضرة عامة للجمهور مساء يوم الأحد لكن سرعان ما شعرت السلطات الفرنسية بخطر هذا العمل ، فأوقفته بذريعة عدم امتلاك المؤهلات الكافية للتدريس ، لكن السبب الرئيسي هو تحول النادي بالإضافة إلى كونه مركزا تعليميا إلى مركز سياسي يدعوا للمطالبة بحقوق العمال المغتربين و مساندتهم

[1] موسى لحرش ، úGfƨ UШÎDŽ ، ص ص 43–44 .

لبعض القضايا الإسلامية الحساسة كقضية فلسطين ، كما تذرعت السلطات الفرنسية بنقص التهوية في القاعة .

هكذا انتهى دور مالك بن نبي بمرسيليا فعاد إلى تبسة و لكن سرعان ما بدأت الأسعار ترتفع في الأسواق و البضائع تختفي أنها الحرب العالمية الثانية فشعر مالك بن نبي الذي بقي عاطلا عن العمل في تبسة أن لا مفر من الرجوع إلى فرنسا فغادر من عنابة باتجاه فرنسايوم22 سبتمبر1939.

وفي باريس و بعد دخول الألمان إليها حاول مالك بن نبي مع بعض المناضلين من الشباب تكوين حركة لتحرير شمال إفريقيا فألقي القبض عليه شهر أوت سنة 1944 ، و أدخل السجن فمكث فيه إلى غاية شهر مايو من سنة 1945 ، ثم ارجع إليه اثر مجازر مايو 1945 المروعة [1].

منذ 1946 بدأت مؤلفات مالك بن نبي في الصدور تباعا مما يدل على أنه اتجه إلى البحث و التأليف بعد سفره إلى فرنسا مباشرة فكان من بواكير ما صدر له كتاب الظاهرة القرآنية و روايته الوحيدة لبيك و شروط النهضة.

و في عام 1948 زار مالك بن نبي الجزائر و ألقى بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة محاضرة باللغة العربية عن كتابه " شروط النهضة " ، كما القى محاضرة ثانية باللغة الفرنسية أمام جمع من النخبة المثقفة تحدث فيها عن شروط الإنسان الحضاري .

و في حدود عام 1951 غادر مالك بن نبي إلى باريس ليقيم في قرية ، درو على بعد 120 كلم من باريس و ذلك فرارا من مضايقة الجمهوريين الفرنسيين و اليهود ومكث فيها إلى سنة 1956 و هي السنة التي هاجر فيها إلى القاهرة كلاجئ حاملا معه مخطوط كتابه" فكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر بان دونغ " ، قصد طبعه تاركا وراءه زوجته التي بقي و فيا لها ، يراسلها و تراسله[2] .

[1] مجازر ماي 1945: و التي قال فيها الشيخ البشير الإبراهيمي: لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقالمة وخراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله .

[2] يوسف حسين ، [illegible] ، ص12 .

îTDž Ĭƶ ĬGž þG ûǁFDž /à: سافر مالك بن نبي إلى مصر عام 1956 بعد أن زارها زيارات سريعة في سنوات سابقة و استقر بالقاهرة ، كانت العاصمة المصرية في الخمسينيات قبلة المثقفين العرب و المسلمين و وجهة للحركات التحررية .

حرص مالك بن نبي منذ وصوله إلى القاهرة على الاتصال بالصحافة و المفكرين و العلماء و السياسيين المصريين و العرب المقيمين في القاهرة ، فهو يعلم أن الاحتكاك المباشر بهذه النخبة هي مفتاح الدخول لعالم الفكر و الثقافة في مصر ، خاصة أنه قصدها للتعريف بكتبه و بالأخص كتابه " فكرة الآفرو آسيوية "بعد نجاح مؤتمر بان دونغ[1] الذي شارك فيه بقوة الرئيس المصري جمال عبد الناصر (1918–1970) .

وقد كان للحوار الذي أجراه مع الكاتب الصحفي " إحسان عبد القدوس[2] " (1919–1990) و المنشور في مجلة " روز اليوسف" صدى كبيرا في أوساط الطلبة العرب في مصر و عن طريقه سمع الكثير منهم لأول مرة عن هذا المفكر الجزائري المتألق صاحب فكرة " القابلية للاستعمار " التي استهوته كثيرا ، وقد كان عنوان المقال " الاستعمار في أنفسنا ".

شارك مالك بن نبي في مختلف النشاطات التي تزخر بها الحياة السياسية و الثقافية في القاهرة ، و كان حرصه أكثر على حضور الندوة الأسبوعية التي كانت تنعقد في دار العالم الكبير محمود شاكر (1909–1997) ، والتي تجمع نخبة من المفكرين و السياسيين نذكر منهم " علال الفاسي" (1910–1974) صالح بن يوسف ، يحي حقي ، إحسان عباس (1920–2003) ، و كانت مكتبة محمود محمد شاكر غنية بالمصادر و الكتب القيمة و الثمينة ، يطالع فيها الزوار ، وقد استفاد منها ابن نبي كثيرا.

---

[1] مؤتمر باندونج : عقد في مدينة بان دونغ الإندونيسية عام (1955) وشارك فيه الرئيس المصري جمال عبد الناصر و رئيس وزراء الهند جواهر لآل نهرو و جوزيف تيتو رئيس يوغسلافيا ، تبنى المؤتمر عدة قرارات لصالح قضايا دول العالم الثالث وضد الاستعمار .

[2] إحسان عبد القدوس (1919–1990) صحفي وروائي مصري وهو ابن السيدة " روز اليوسف" اللبنانية المولد و المربى و تركية الأصل وهي مؤسسة جريدة " روز اليوسف" ومجلة " صباح الخير" و يعتبر إحسان عبد القدوس من الروائيين العرب القلائل الدين ترجمت أعمالهم الروائية إلى لغات عالمية ، كما تحولت أغلب قصصه إلى أفلام سنيمائية .

و دأب مالك بن نبي على عقد ندوات فكرية في بيته صبيحة يوم الجمعة ، يحضرها الطلاب من مختلف الجنسيات الإسلامية من " طنجة إلى جاكرتا "نعرف اليوم الكثير عن هذه الندوات بفضل شهادات تلاميذه فكتب عنها الدكتور عبد السلام الهراس و الدكتور عمار طالبي و تحدث عنها الأستاذ فوزي الحسين .

وصف الدكتور "عمار طالبي" الذي كان طالبا في الجامعة القاهرة في تلك الفترة الجو العام الذي كان يسود ندوة مالك بن نبي في القاهرة بهذا الشكل :" استيقظ ذهني على المشكلات الجوهرية و اتجه اتجاها لم توجهه إليه الجامعة التي كنت أدرس بها ، تجري المناقشات الحية، و التحليلات الدقيقة، و توضع المشكلات على أسس علمية، في رحاب واقعي و علمي، فاستيقظت عقول، و تنبهت أذهان، و برزت حقائق كما صدرت لمالك في تلك الفترة بعض الأعمال مثل: الظاهرة القرآنية باللغة العربية، و كذلك شروط النهضة في يوليو 1957 عن مكتبة دار العروبة بالقاهرة [1] و ذلك بالتعاون مع الكثير من الطلبة و بعض المحسنين لأن مالك لم يكن يملك المال الكافي ، و كان لها رواجا كبيرا فكانت مفتاح الشهرة، فاستدعاه محمد أنور السادات (1918-1981) [2] الأمين العام للمؤتمر الإسلامي آنذاك الذي أعجبه كتاب "شروط النهضة" ليكون مستشارا له مقابل خمسين أو ستين جنيها كما قام مالك بن نبي في تلك الفترة برحلات إلى المشرق العربي لبنان و سوريا و ألقى عدة محاضرات، وواصل إنتاجه الفكري في مصر، و أصدر عدة كتب و نشر عدة مقالات في عديد المجلات المشرقية المعروفة مثل: مجلة الآداب 1957 و مجلة "الأزهر" 1961 .

رغم شهرته التي لاحت في الآفاق، بقي بن نبي زاهدا في الحياة و متواضعا مع تلاميذه، كما تجنب مالك دائما الانضمام أو الانخراط في أي هيئة أو جمعية أو حزب سياسي و ابتعد عن كل ماله علاقة بالسياسة.

[1] كما انتهى مالك في تلك الفترة من كتابة ميلاد مجتمع في جوان 1963 الذي ترجمه عبد الصبور شاهين و نشرته مكتبة دار العلوم بالقاهرة في عام 1962.

[2] محمد أنور السادات : (25 ديسمبر 1918 – 6 أكتوبر 1981)، ثالث رئيس لجمهورية مصر العربية في الفترة من 28 سبتمبر 1970 وحتى 6 أكتوبر 1981.

هل اتصل مالك بن نبي بالإخوان في مصر؟ ان الشيء المؤكد منه، هو أن بن نبي كان قبل وصوله مصر من المعجبين بشخصية الإمام الحسن البنا (1903-1949)[1] ، و خصص له صفحات مشرقة في كتابه "وجهة العالم الإسلامي" خاصة في طبعته الفرنسية التي لم تتعرض للمراقبة و الحذف و مقالة في جريدة "الشباب المسلم"، و جريدة "الجمهورية الجزائرية " ، يصفه مالك فيقول : " فهو مصلح و عالم مجدد بعث في الناس إسلاما خلع عنه سدول التاريخ ، و يؤثر تأثيرا عميقا في سامعيه فما ذلك إلا لأنه لم يكن يفسر القرآن، بل كان يوحيه إلى الضمائر التي يزلزل كيانها، فالقرآن لم يكن على شفتيه وثيقة باردة، أو قانونا محررا، بل كان يتفجر كلاما حيا " .

يرى مالك بن نبي في حركة الإخوان المسلمين مصدرا التفاؤل في مستقبل الإسلام لأنها اهتمت بجميع ميادين الحياة فلم تكن دينية بل تعدى نشاطها إلى الخدمات الاجتماعية و النشاطات الثقافية و الاستثمارات الاقتصادية ، كل كتب مالك بن نبي التي طُبعت في القاهرة كانت في دار العروبة التابعة للإخوان المسلمين، كانوا يحترمونه ويتداولون مؤلفاته، كما طالع مالك بن نبي كتب السيد قطب لكنه خالف السيد قطب في مسألة الحضارة وأثار ثورة فكرية بانتقاده للسيد قطب عندما قال أن الإنسان يمكن أن يكون مسلما وغير متحضّر، وهو قول أحدث تصادما مع فكر السيد قطب، لكن عموما وقف مالك بن نبي ضد إعدام السيد قطب بقوة، وقدم هو و بعض اصدقائه الجزائريين في مصر احتجاجا أزعج السلطات الجزائرية والمصرية عندما قرر جمال عبد الناصر إعدام السيد قطب[2] .

/å ûǁFDŽ þǴ ĬǴǅ Ĭʒ îƏäǐƜǁä hŧšŧƨDŽǁä : عاد بن نبي إلى الجزائر عام 1963 ، فعين مديرا عاما للتعليم العالي[3]، كتب مقالات ما بين 1964 و 1968 ، في المجلة الأسبوعية الثورة الإفريقية، و صحيفة المجاهد

---

[1] الإمام البنا : 14 أكتوبر 1906 – 12 فبراير 1949 ، أسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام 1928م. نقل إلي مدينة قنا بقرار إداري عام 1941م. ترك مهنة التدريس في عام 1946م ليتفرغ لإدارة جريدة الشهاب. اغتيل في 12 فبراير عام 1949 .

[2] عمار طالبي ،<u>ĬDŽĀĭǁä úĀî٦ŧǁ ĬǴǅ þǴ ûǁFDŽ UDŽ Ljŧƽäì T þY èìƟŧĭ ĬǴǁFô îFDŽY îĀŧlìǁä</u> ، (جريدة الشروق اليومي : العدد 3969، 2013/03/19) ، ص 19

[3] كانت تسمى آنذاك مديرية التعليم العالي وكانت لا تتوفر الجزائر سوى على جامعة واحدة ، كما أن عدد الطلاب كان قليلا ، بالإضافة إلى عدم الاهتمام بهذا القطاع من طرف الدولة .

التابعتين لحزب جبهة التحرير الوطني، و كانت تلك الكتابات لا تخلو من نقد الأوضاع الداخلية و سوء تسيير شؤون البلاد في مختلف القطاعات في تلك الفترة[1].

و في عام 1967، استقال مالك بن نبي من منصبه بعد أن تعرض لعدة مضايقات من بعض رجال السلطة القائمة [2]، و تفرغ للعمل الفكري و فتح بيته الواقع في شارع روزفلت للطلبة ، و خلال الأسبوع كان يقوم بإلقاء المحاضرات في مختلف الجامعات الجزائرية، و المراكز الثقافية[3] .

و يرجع الفضل لله عز و جل ثم مالك بن نبي في إنجاز أمرين كان لهما الأثر الطيب في الجزائر و هما:

ÚĀà: التوفيق في فتح مسجد الطلبة بجامعة الجزائر، و قد يقول قائل و هل في فتح مسجد ما يعتبر انجازا لصاحبه؟ و لهذا القائل نقول لهم أن ذلك آنذاك لم يكن أمرا هينا ، و لكنه كان كمن يطلب الفص من اللص و قد يذهب الخيال فيتصور المسجد واسع الأرجاء، عالي الصوامع، جيد التجهيز و الحقيقة أنه عبارة عن قاعة صغيرة جدا، أقتطع الجزء الخلفي منها لتؤدي فيه الطالبات الصلاة، بينما كان الذكور يؤدون الصلاة في ساحة صغيرة بجانبه، و قد كان الأستاذ مالك يزور هذا المسجد الذي بارك الله فيه، فيأتي علينا دررا من الفكر غاليات و نصوص من الحكم بديعات، لا نفقه كثيرا منها، و نتخذ من القليل الذي نفهمه ، عدة نواجه بها مختلف الآفات المنتشرة في الجامعة آنذاك ، و مما يزال عالقا في ذهني من تلك الأيام أنه كان رحمة الله عليه أكره ما يكره أن يقوم أي شخص بعد أن يبدأ حديثه، و أغلب من كانوا يفعلون ذلك هم أولئك العمال الطيبون الذين ما كانوا يفقهون شيئا مما يقول، فكان إذا نهض شخص يتوقف عن الحديث و يقول في أسلوب لا يجرح: من لا يسمح له وقته بالبقاء معنا أوله عمل ينتظره فليتفضل بالانصراف لأن حديثنا قد يطول ، فيجد أولئك مبررا للخروج حتى لا يبقى إلا الطلبة الذي تتفاوت نسبة إدراكهم لما يقول. ومما أذكره

---

[1] صدرت بعض هذه المحاضرات في شكل كتاب بعنوان ĥŬĨƏäШ ÚƑʒß عن مكتبة النهضة و ذلك عام 1964 و هو يقع في 80 صفحة و يضم ثلاثة محاضرات عن الإيديولوجية و الحضارة و الثقافة، ألقاها مالك بن نبي على الطلبة في مركز التوجيه الثقافي بالجزائر العاصمة.

[2] في حوار أجرته معه جريدة ĬĎĂĬǁä ÚĀÎˡǁä في عددها 3969بتاريخ : 2013/03/19 يؤكد الدكتور عمار طالبي أن السيد طالب الإبراهيمي هو من اقال مالك من منصبه و طرده من الجامعة ، كما تعرض مالك إلى أشد المضايقات من طرف الماركسيين و اليساريين و كانوا يجهرون بعدائهم له .

[3] مولود عويمر ، ÚǴƨ ՍШĨĎ ، ص 27

أيضا أنني، حضرت له درسا في مسجد الطلبة في يوم شديد البرودة، فرأيت جبينه يتصبب عرقا، فأدركت – فيما بعد – مبلغ الجهد الفكري الذي كان يبذله.

ƑĬǆƑķ : الأمر الثاني الذي كان له أثره في إثراء الساحة الثقافية و العلمية بالجزائر فهو فكرة ملتقيات (التعرف على الفكر الإسلامي) التي بارك الله فيها هي الأخرى، فقد بدأت صغيرة كبذرة طيبة سرعان ما ثبت أصلها و نما فرعها، و آتت أكلها و صارت ملآى و مسمع العالم و بصره، و كانت مخابر الصراع الفكري شرقا و غربا ترصد جداول عمالها، و تحصي أفكارها، و تقدر نتائجها، و قد كانت هذه الملتقيات لله فدامت واتصلت أربعة و عشرين ملتقى و الله ندعو أن يعيدها كما أنشأها أول مرة و لم تك شيئا[1].

تحولت ندوة مالك بن نبي الأسبوعية في عام 1968 إلى ملتقى للفكر الإسلامي، و انعقد المؤتمر الأول في ثانوية عمارة رشيد بمدينة بن عكنون بالجزائر العاصمة في ديسمبر في العام نفسه، و في سنة 1970 تبنت وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية الملتقى ماديا و معنويا، بفضل جهود تلامذته القائمين على شؤون هذه الوزارة خاصة رشيد بن عيسى و عبد الوهاب حمودة، صار الملتقى السنوي للفكر الإسلامي صرحا علميا كبيرا شارك فيه كبار العلماء و المفكرين المسلمين و الغربيين، على غرار محمد متولي الشعراوي، محمد أبو زهرة، محمد الغزالي ، محمد سعيد رمضان البوطي، يوسف القرضاوي، محمد المبارك، محمد حميد الله ، محمد محمود الصواف ، أنور الجندي ، رجاء جارودي، زغريد هونكه ، موريس بوكاي ، مونتغمري وات .

عانى مالك بن نبي في أواخر حياته إرهاقا كبيرا ، و ألاما في عينيه و رأسه بعد سقوطه من على الأدراج ، عند خروجه من منزله الواقع في شارع روزفلت بالجزائر العاصمة ، و رغم علاجه في الخارج ، بقي متأثرا بهذه الحادثة إلى أن توفي في 31 أكتوبر 1973م في الجزائر [2] ، توفي مالك بن نبي في صمت وبعيدا عن الأضواء و في هذا الصدد يذكر الدكتور عمار طالبي : " أن مالك بن نبي حرم حتى من جنازة في مقام

[1] محمد الهادي الحسني ، (ĿȋIƺ ƥǅ ÇƑƨǤ Ā ĿɉƑĬƟ ƥǅ ÇƑƟǅǁ) ǏǤ ƥǤ ûǁƑǅ ، مجلة الموافقات ، العدد الثالث ، الجزائر ، ص ص 283–284

[2] موسى لحرش ، úǤƑƨ ƲǁĨǅ ، ص 50

الرجل حيث قمنا بنقل جثمان بن نبي إلى الجامعة ، حيث مكانته الحقيقية و صلينا عليه بجامعة الجزائر و تم تشييع جثمانه بمقبرة سيدي محمد و تكفلت بقراءة تأبينيته و التي نشرتها مجلة الثقافة [1].

[1] الدكتورعمارطالبي يتحدث عن صداقته مع مالك بن نبي للشروق اليومي ، http://www.binnabi.net، 2013/05/15، 11:03

ĽΎΤΥ : Ĭ ǭƑƙƖƀ èΘǴǱƖƀ

1 - ƱƽƀƖƀ ĬǯƑŝƙƖƀ ĬǱǂƴƖƀ : كانت الأوضاع الثقافية في الجزائر صورة حية لسياسة التجهيل التي انتهجتها السلطات الاستعمارية منذ 1830 ، متوخية منذ البداية القضاء على الثقافة العربية الاسلامية تمهيدا لدمج الجزائريين في الكيان الفرنسي [1]، حيث أعلن الدوق دومال سنة 1844 أن المدرسة هي جزء من آلية الحرب الفرنسية وينقل عنه د وكريو (DeCrieu) المقولة التالية: " ƿâ ƞǂǯ ƱƨΪƖǱ ƱƴƨǯΪǯ ǘƙƑǱƴ ƱǱǴƽ ƱǴΪǂƖ ƱƟǂƖǂƖ "**L'ouverture d'une école vaut autant qu'un bataillon pour la** . " ìǂǴƖƀ ăíƖj **pacification de ce pays**" .

وبعد خمسين عاما من الاحتلال وأكذوبة التمدين أنشأت فرنسا عشرة مدارس فقط ستة للذكور و أربعة للبنات في عموم القطر ، ويذكر (ج بونوا G Benoit 1886) أن عدد المنخرطين فيها خمسة عشر عاما بعد إنشاءها لم يتجاوز 700 تلميذ ، تم توجيه أغلبيتهم إلى مصالح الشؤون الأهلية والخدمات في جيش الاحتلال [2]، كما عملت الإدارة الفرنسية على اضطهاد المدرسين والطلبة منذ بداية الغزو فتُعرِّض بعضهم إلى القتل والبعض الآخر إلى النفي ، حتى كادت تختفي الطبقة المثقفة في المرحلة الأولى بصفة خاصة ، وفي المقابل أوجدت مؤسسات فرنسية أقيمت خصيصا للمجموعة الفرنسية منها المدارس الفرنسية العربية [3]، les écoles franco-arabes والتي ظهرت منذ بداية 1850 في كل من قسنطينة ، الجزائر ، تلمسان

---

[1] رابح تركي ، ƀƖƴǂƟƖƀ ĬǱƀƖƽƀ ƱǯǱǯƖƀ 1939/1956، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،1981) ، ص 88 .

[2] محمد العربي ولد خليفة ، ƀƖǱƴƖƀ ƱǯƑŝƙƖƀ ƀǴƟƀƖǂƀ ƿƑƨǂƖƀ ƀƖƀǴǱǱ ، (الجزائر : منشورات ثالة ، 2007)، ص 213.

[3] المدارس العربية الفرنسية هي مدارس مزدوجة الثقافة أنشأتها فرنسا للمترجمين والموالين لها ، أنظر (أبو القاسم لسعد الله، ƀƖΘǱƱ ƀƖƽƀǯƱ ƀƖƟǂƀǱƱ، ج2 ، ص 66).

ووهران.[1] والتي اعتبرت خطرا على الوجود الكولونيالي حسب وصف الحاكم العام (دو قيدون)Deguidon في قوله : "ƑNJǁĐǴ ǖkĎǂ ïlâĎ èǴƣllä ÅƬyǂllǟ Û ÞǟĀ ÞǐǖîƣǂĎllä ƑNJǁĎ ì5 àƬƷǟÄ Ällâ ǂyƬǴNJý ƣôâ ßƣî ĀljĀ ýNJǁà ǟàìǴ ƑǁǟĀƷîyĭ".

كان من وراء العناية المتأخرة بالأمازيغية خطة ذات ابعاد جهنمية عبر عنها الدكتور بو ديشون[2] بقوله " ûƑǁlj ìŠθ üƬžĭ ÞĭǴ ƬǁY Þĭî ƑĎŽlj üǝƑǴ5 åîyllä üǝƑǴ5Ā hǐĭîǴîǴllä Û ĀljĀ îĎǐà ĬƸǴǁĭ LjĎŽYì ĂǂYĀ ƑƨǁîƷ Þà ŨƷìǂ ìĭïĎll ÞĎŽ îθƑǁǂllä ÞǟĀ ìĭžǂƨǂ LjǁĎŽ".

كما تعرضت الجزائر بالإضافة للإبادة والنهب إلى حرب دينية ، تذكر بالحملات الصليبية القديمة ، وأشد منها ، ولن نشير إلى انتهاكات حرمات المساجد و المقامات وإلحاق شؤون العبادة بإدارة الاحتلال (لائكية معكوسة تلحق الدين بالدولة) بل نقتطف فقرات صغيرة من الخطط التنفيذية لأساطين الاحتلال على النحو التالي :

- كقول لويس فويو رفيق لافيجري[3] في كتابه " ƑƨǁîƷ ĬƷ îǝǟǖllä 1869 " ما نصه : " آخر أيام الاسلام ، هذا الركام من العقائد المنحطة والمتوحشة قد اقترب ، الجزائر في عشرين عاما لن يكون فيها إله آخر غير المسيح ، لنكمل حربنا الصليبية ".

---

[1] محمد العربي ولد خليفة ، ŨǖîĎŽ Ljƨžǁ، ص 213.

[2] بو ديشون : يعتبر من الشخصيات المحترمة عند الجمهوريين من دعاة إبادة كل الجزائريين .

[3] لا فيجري : (1825 – 1892) كاردينال فرنسي ولد في بآيون بألبيرني الأطلنطية ، عمل أستاذ تاريخ بجامعة السوربون كان من الناشطين في حركة التبشير عن طريق التعليم.

- ويحدد الدكتور دوبوي المهمة الأولى لبلاده في الجزائر في دراسة نشرها سنة 1882 في صورة توصية إلى كامبيطا بعنوان مقالة في السياسة الوضعية كما يلي : " إن المهمة الأولى لحكومة الجمهورية في الجزائر هي الأمن والدفاع ضد عدونا الوراثي الأكبر ، الإسلام ".
- أما دوبرمنت قائد الحملة الفرنسية فقال للقساوسة :" إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا ، و لنا أمل أن تصبح فرنسا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع " [1].
- كما استغل الكاردينال "لافيجري" المتعصب سنوات المجاعة وعمليات التنكيل والقمع التي أعقبت الانتفاضات ، فجمع في سنتي (1867 و 1868) عددا من الأطفال الأيتام ، أكثرهم لا يزيد عمرهم عن العشر سنوات وكان عددهم الإجمالي حوالي (1750) طفلا من الصبية والبنات لغرض تمسيحهم . لكن العملية أثارت موجة غضب وصل صداها إلى باريس وعندئذ تدخلت السلطة الكولونيالية لإعادة الأطفال المختطفين بعدما توفي منهم حوالي 600 وتم تهريب 300 منهم إلى فرنسا.[2]

ولقد عبر الزعيم المصري محمد فريد[3]، أثناء زيارة للجزائر عام1901 عن الوضع الثقافي المزري الذي أضحى عليه المجتمع الجزائري بقوله : «إن حالة التعليم في الجزائر سيئة جدا ، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات ، بل ربما لا تُدرّس العربية بالمرة مع مِضي الزمن ، فلا الحكومة تسعى إلى حفظها ولا هي تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس ، خوفا من أن تستغل جمعياتهم بالسياسة وهي حالة تخالف ما عرف به الفرنسيون من أنهم

---

[1] Mahfoud kadache, **Histoire du Nationalisme Algérienne questions National et politique Algérienne 1919- 1951**. CNED. Alger 1980. T1, p 30-31

[2] محمد العربي ولد خليفة ، مرجع سابق ، ص ص 214 ، 215.

[3] محمد فريد : محمد فريد بك (1868 - 1919) محام ومؤرخ مصري وأحد كبار الزعماء الوطنيين ترأس الحزب الوطني بعد وفاة مصطفى كامل ، أنفق ثروته في سبيل القضية المصرية ، من أشهر ما كتب (تاريخ الدولة العثمانية).

رجال العلم والنور والحرية » ، إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية ، بل وأصبحت اللغة الفرنساوية هي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران ، قسنطينة وعنابة وغيرها ". [1]

هذا الجدول رقم (1) يبين بوضوح العدد الضئيل من التلاميذ المسلمين الذين واصلوا تعليمهم في المدارس والجامعات الفرنسية. المصدر :(منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1996) .

*ììY ƕƓǂôllä þĭĭîəäʊllä þĭƓƨƚǆDžllä Ăllâ çƑyDžƑɯllä Ā ìǈƑyDžllä ƕĭəàìƚƓǕä Ā ðîàìDžllä Ƒî‡yllä Ǐʒ Ƒƨǆîʒ

السنة	عدد الطلبة	ملاحظة
1884	06	بما في ذلك الأقسام التي تهيء للدخول للمدارس العليا 480 في المدارس العليا. 750 في الجامعات موزعين على الاختصاصات التالية : 1- الأدب : 95 2- الحقوق : 100 3- العلوم : 190 4-الطب و الصيدلة : 750
1908	50	
1910	25	
1916	61	
1932	100	
1941	142	
1950	360	
1981	386	
1952	442	
1953	572	
1954	513	
1955	584	
1959	1230	

* ììY üƑƺôǗä þĭĭîəäʊllä Ǐʒ ðîàìDžllä ƕĭîƑDžyƚƨǕä

السنة	عدد التلاميذ	النسب المؤوية لعدد التلاميذ الذين وصلوا إلى سن التمدرس
1880	1150	
1884	2150	%01,9
1908	33400	%04 ,3
1914	47200	%05
1930	68000	%08,8
1944	11000	%14,6
1953	302000	%15,4
1954	307000	%15,4

[1] أحمد الخطيب ، ƕĭyDžɯ ÞƑDž‡yllä þĭDž‡ƨDžllä ƑǉƙĀ ǏƟǗƬǕä Ǐʒ îəäʊllä ، (الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985) ، ص 64.

مع مطلع القرن العشرين بدأت تتبلور ملامح الحركة الوطنية الجزائرية ، نتيجة تفاعل الانسان الجزائري مع بيئته الثقافية ، واطلاعه على الثقافة الإنسانية التي كانت سائدة في تلك الفترة سواء في المشرق و في اوروبا، فالنخبة المثقفة المتنورة الواعية هي أعظم من القائد العسكري والسياسي لأنها تشكل الوجه الحقيقي المعبر عن طموح وضمير أي أمة ، فالأمم تقاس عظمتها بعلمائها ومخترعيها ومثقفيها.

لقد تنوعت المصادر الثقافية لدى النخبة في مطلع القرن العشرين تلك الطبقة المثقفة التي درست كلا من الحضار العربية و الفرنسية [1]و تنقسم إلى : فئة ȟǴƣǆllä[2] ومثقفين باللغة العربية أو فئة þĭõǯFӨĎžllä[3] ، ولكن اللغة والمصادر الثقافية المتنوعة لم تكن آنذاك تشكل عائقا أمام توحيد الرؤى الثقافية ، والجهود للوقوف أمام سياسة الاحتلال، فالإسلام هو القاسم المشترك بينهما ، وهو الغالب على الثقافة الجزائرية من جميع جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية [4]. وإدراكا لهذه المعطيات الجديدة استطاعت الطبقة المثقفة الجزائرية أن تجد من الأسباب القوية ما يدفعها إلى تطوير أساليب النضال بما يكفل لها الإفادة من تجارب الماضي ، وما أحاط بها من تطورات معاصرة هامة وتتلخص تلك الأسباب فيما يلي :

1- فشل الثورات الشعبية
2- القمع الاستعماري للثورات الشعبية
3- ظهورالنخبة المثقفة التي حاولت إعطاء محتوى جديد للحركة الوطنية و فرضت تغييرا في المناورات.

---

[1] ALI MERAD, **LES REFORMISTES MUSULMANS EN ALGERIE DE 1925à1940**,ED, MOUTION ET CO LA HAYE , PARIS1967, P : 47.

[2] فئة النخبة : (l'élite) أو (les intellectual's) المثقفين أو (les évolués) المتطورين عرفها إبن حبيلس وهو أحد أعضاءها بقوله : "إنها ثريات الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير ، وأن يصنعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين".

[3] فئة المحافظين: عرفها أبو القاسم سعد الله لهذه بقوله: نعني بالمحافظين كتلة من الجزائريين تتكون أساسا من المثقفين التقليديين أو العلماء من المحاربين القدماء وزعماء الدين في بعض الإقطاعيين والمرابطين. وكانوا ينادون بالإبقاء على النظم الاسلامية والتعليم العربي والقيم القديمة.

[4] عز الدين معزة ، ǯçƑӨĩ ðƑǴƳ ĹĴĀìĀ Ĭǯ ȟlĩӨllä ȟĭďôĀllä ȟǂӨĩĎŽĀ üǘšłƨǕä 1899 ו 1985 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2005، ص 22.

4- ظهور إيديولوجيات جديدة على المسرح العالمي مثل الجامعة الاسلامية في المشرق والاشتراكية في أوروبا وتنافس الدول الكبرى الامبريالية على المسرح العالمي[1] .

كل تلك العوامل أدت إلى بروز انبعاث ثقافي في الجزائر مع بداية القرن العشرين في عدة أشكال ومظاهر أهمها:

à/ ɵîlɥ äǁƬƟƑʓɥ äǁɯäəîĭɥ : قد أثبت الواقع التاريخي أن المثقفين الجزائريين على اختلاف طبيعة تكوينهم ، تمكنوا خلال هذا العقد الأول من القرن العشرين من خلق صحافة مؤثرة بلغتهم الخاصة ، وقد كانت قسنطينة والجزائر ووهران مراكز النشاط الصحافي خلال هذا العهد ولا شك أن شكل وتخطيط الصحافة الجزائرية الأولى كانا يفتقران إلى شيء من التنظيم ، ولكن روحها واتجاهاتها والقضايا المدروسة ، كانت هامة كثيرا في بلورة القضية الوطنية للرأي العام الجزائري ، إيمانامنهم أن الصحافة رسالة حضارية ، وهكذا صدرت في الجزائر مع بداية القرن العديد من الجرائد يمكن تقسيمها إلى قسمين :

- äǁƨƨý äŮĂü: يتضمن الجرائد الراغبة في نشر الأخبار والمعارف العربية والغربية، وهذا القسم من الجرائد قد مدت الحكومة الفرنسية عمرها و أعانتها أحيانا على تكاليف الطبع.
- äǁƨƨý ǁƙƑĬ: يشمل الجرائد الراغبة في إيقاظ الشعور الوطني وبعث أفكار سياسة فلم تجد هذه الجرائد من الحكومة الفرنسية إلا المراقبة الشديدة والمنع والعقاب. إن الاحتكار الفرنسي للصحافة انتهى عندما خلق بعض الرواد الجزائريين صحافة وطنية في فاتح القرن العشرين ، وقد كان أحد هؤلاء الرواد العربي فخار الذي أنشأ "ɯîĭæ äǁǍƬƓƑê" ذات اللسانين والتي كانت تتخذ شعار"جريدة إفريقيا الصغرى" ، وكان هدف هذه الجريدة الإسهام في التفاهم بين المجموعة الجزائرية والفرنسية ، وهناك رائد آخر هو الصادق دندان الذي كان يحرر صحيفة "äŮƨǘý" المؤثرة سنة 1912 ذات اللسانين أيضا ، والرائد الثالث هو عمر راسم الذي كان يحرر جريدة "äǁɯäəî" الشهرية ذات اللسان العربي فقط وكان هدفها هو توعية وتثقيف وتعليم الجزائريين وإعطاءهم صورة عن الوضع العالمي [2].

---

[1] خيثر عبد النور ، ǅƊƋôƨƨFŞç Ă àƨ ð äǁɵîl äǁÂôƊĭɥ äǁɯäəîĭɥ 1830-1954، (الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، 2007) ، ص 86.

[2] خيثر عبد النور ، ǅƊɯǁU ƨƑǘú، ص 106.

وفي نفس الفترة تقريبا ظهر العدد الأول من جريدة úÃîƑžllä [1](يوم الجمعة 22 ربيع الأول 1331) (28 فبراير 1913) وهي جريدة إسلامية ، علمية ، اجتماعية ، وأدبية ، تصدر كل أسبوع باللغة العربية ونهجها كما حدده عمر بن قدور على أنها جريدة إسلامية تهتم بشؤون المسلمين وتتناول قضاياهم مع مراعاة الاعتدال الذي انتقته مشربا لها ، وعنوانها يرمي إلى معنيين ، أولهما إحياء ذكرى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والثاني أن تكون بمشربها الاعتدالي فارقة بين الحق والباطل ، كما عملت على تحقيق هدف آخر هو خدمة اللغة العربية والدين الإسلامي [2] .

كانت جريدة ìŠŧŭĎžllä طليعة صحافة الحركة الاصلاحية وقد استوحت اسمها من الشعار الطرقي السائد في تلك الفترة اعتقد ولا تنتقد وصدرت المنتقد سنة 1925 ولم يظهر من هذه الجريدة سوى ثمانية عشرة عددا قبل منع السلطات الاستعمارية الجريدة من الصدور ومن بين أهم المساهمين فيها نجد ، مبارك الميلي [3] الذي نشر مقالا بعنوان : "العقل الجزائري في خطر" ، كما تميز الطيب العقبي بكتاباته القيمة وبعد منع المنتقد من الصدور أنشأ ابن باديس سنة 1925 أيضا" åƑŊǐllä" التي كانت من أكبر المجلات الجزائرية تأثيرا خلال عقدين من الزمن حيث نشرت للعديد من الكتاب والشعراء الجزائريين والمفكرين في العالم العربي ، ولم تكن الشهاب الجريدة الرسمية للعلماء حتى بعد خلق جمعيتهم ولكنها كانت ميدانا لكل المؤيدين المهتمين بالإصلاح في الجزائر ، كما أنشأت الجمعية عدة جرائد نذكر من بينها ، جريدة السنة وجريدة الشريعة المحمدية والصراط السوي وكلها كانت تهدف إلى دفع حركة الاصلاح. [(4)]

å / ôƑǐŭ ÇƑîýĎžŴllä ÀìÄŭllÄ ħŭĭǯƑŠkllä : عرفت الجزائر في الفترة بين (1890 – 1914) إنشاء عددمن النوادي والجمعيات الثقافية التي كانت تؤدي وظيفة المدرسة وخلوة الأحاديث وملتقى اجتماعي

---

[1] تحتفظ المكتبة الوطنية (باريس) ملحقة فرساي بمجموع أعداد الجريدة.

[2] جمال قنان ،ýĭŧýŧllä ǰljŬä Ĭǯ îĕäŴllä Ĭǯ ìŊÝ îƑĎýŧƨÛä، (الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين ، 2009)، ص 93.

[3] مبارك الميلي : (1895 – 1945) من مواليد قرية (أورمامن) بجبال الميلية في شرق الجزائر ، كان عضوًا نشيطا خصوصا في الكتابة الصحفية حيث نشر في العديد من الصحف الجزائرية الناطقة باللغة العربية وتميز أسلوبه بالقوة والوضوح ، كما استلم إدارة جريدة البصائر عام (1935) خلفا للشيخ الطيب العقبي.

[4] – خيثر عبد النور ، *مرجع سابق* ، ص ص 124 – 125.

ورياضي للتدريب على ممارسة الاسعافات الأولية ، وكذلك نادي للكشافة ، إذا فهي مقرات للنشاط الثقافي الذي يتدحرج تدريجيا إلى أن يصبح حركة سياسية .

تعتبر الجمعيات والنوادي الثقافية في الجزائر وليدة بداية القرن العشرين وقد تزامنت مع ظهور حركة الشباب الجزائريين ، فعلى غرار الجمعيات الثقافية والعلمية التونسية كالخلدونية 1896 والصادقية 1905 ظهرت في الجزائر في البداية جمعيات مختلطة أهلية [(1)]، بالإضافة إلى هذا فإن بروز هذه الجمعيات في هذا الوقت بالذات يعود بدون شك إلى توفر بعض العوامل المناسبة في بداية القرن ويتمثل ذلك أساسا حسب مراد علي في وجود الحاكم العام شارل جونار الذي انتهج سياسة اللين ، أما تاريخ ظهور هذه الجمعيات والنوادي فيعود إلى نهاية القرن التاسع عشر وذلك بتأسيس أول جمعية تعاونية سنة 1897 في مدينة الجزائر تحت رئاسة علي الشريف ، إلا أن هذه الأخيرة لم تعد تقم بدورها كما يجب [2] ومما لا شك فيه أن الجزائريين أرادوا اقتفاء الطريق الذي سارت عليه المجموعة الأوروبية والاستفادة من التشريع الجديد الذي صدر في 1جويلية 1901 وهو قانون ينظم تأسيس الجمعيات الثقافية والخيرية صدر بفرنسا وأصبح ساري المفعول بمستعمراتها [3]ومن هنا جاء ميلاد عديد الجمعيات الثقافية والخيرية والرياضية التي كانت تظهر بين الحين والآخر وانتشرت في كل القطر الجزائري و التي نذكر منها [4]:

- ĥĭĭĭĵĩĭļă ĥĭÿĎžŴŴă : أول جمعية حقيقية برزت إلى الوجود سنة 1908 وهي جمعية ودادية لقدماء تلاميذ المدارس العربية الفرنسية لمدينة الجزائر وقد أُسست سنة 1894 من طرف السيد سروري مدير مدرسة أهلية بالعاصمة [5]دفها تقديم المعونة لأعضائها خاصة تشجيعهم على التعلم ، كان للرشيدية عدة فروع في أنحاء الجزائر وكان فرع مدينة الجزائر يضم 251 عضوا سنة 1910[6].

Charles – robert Ageron, **histoire de l’Algérie contemporaine**, paris:p v f, 1979 ,p 103.

[2] أحمد صاري ĥĭĭĭĵĩĭ ĥĭĭĭĭĭĭĭ ĥĭĭĭĭĭ، (الجزائر: المطبعة العربية، 2004)، ص ص 108 – 109.

[3] رابح تركي، ûĞƨ ŲŴĩĎž، ص 39.

[4] أبو القاسم سعد الله، ĥĭĭĭĭŴŴă ĥĭĭĭÃŴă ĥĭĭĭŴă، ج 2،مرجع سابق، ص 137.

[5] أحمد صاري، ûĞƨ ŲŴĩĎž، ص 110.

[6] أبو القاسم سعد الله، ĥĭĭĭĭŴŴă ĥĭĭĭÃŴă ĥĭĭĭŴă، ج 2، مرجع نفسه ، ص ص139–140.

وكانت تضم بين أعضائها أشخاص مثل ابن التهامي بلقاسم والدكتور ابن بريهمات بالإضافة إلى بعض الأعضاء الشرفيين من الفرنسيين [1] .

- ĥŭšĭǯĀŧǁä ĥŭÿŊžШǁä : تأسست هذه الجمعية سنة 1908 بالجزائر العاصمة وتم تجديدها سنة 1911 كانت جمعية تهدف إلى جمع أولئك الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم العلمية والاجتماعية وكان يرأسها الدكتور ابن التهامي بلقاسم وكل من السيدين صوالح محمد أستاذ بثانوية الجزائر ، وبرانكي محمد المدرس نائبين له[2].
- ĂƒƓ ηǁƑΤ Ăìƒű : تأسس عام 1907 في قسنطينة باسم الدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية ، كان يرأسه موظف فرنسي يدعى "أريب" ومن بين أعضائه، بن الموهوب و مصطفى بشطارزي و ابن باديس وغيرهم [3] بلغ أعضاء النادي سنة 1910 حوالي1700 عضو منهم 500 عضو مسجل للدراسة بينما كان عدد أعضائه سنة 1908 ، 700 عضو كانت له فروع كثيرة في عديد المدن الجزائرية.
- ƑĩšĭĩǯâüƑŊžɿ þĭŊž‡ƨŊžǁä ĭĩŊžǘŧǂǁ ĥŭĩàìĀǁä ĥŭÿŊžШǁä : تأسست هذه الجمعية في 19 مارس 1919 في الجزائر العاصمة متشكلة من السادة بلقاسم حبيلس[4] الطالب في الحقوق رئيسا لها ، الحاج بن سمايا طالب في العلوم نائبا له ، الجيلالي بن تهامي طالب في كلية الطب كاتبا لها [5] والقصد من تكوينها هو الدفاع عن مصالح الطلبة ومساعدة التلاميذ المحتاجين[6].
- ĥŭĩƏäǘШǁä ææĀƍǓä ĥŭÿŊžШ : تأسست بمدينة الجزائر سنة 1922 مشكلة من السادة ،الأمير خالد رئيسا لها، والدكتور إبن التهامي والدكتور بالعربي نائبا له ، كان هدف تأسيسها البحث على الوسائل للدفاع وتحسين أحوال المجتمع الجزائري ، المادية والمعنوية والفكرية والاقتصادية والسياسية ،

---

[1] أحمد صاري، مرجع نفسه، ص 111.

[2] أحمد صاري ، ǘƓƨ ƱШĩŊž، ص 111 .

[3] Ageron,op.cit , p 1034

[4]– بلقاسم حبيلس : من أبرز عناصر حركة الشبان الجزائريين تولى وظيفة القضاء بعد حصوله على الدكتوراه في القانون وهو من المثقفين القلائل الذين برزوا في هذه الحركة.

[5] خيثر عبد النور ، ǘƓƨ ƱШĩŊž ، ص 148 .

[6] Mahfoud Kaddache**, la vie politique à Alger de 1919 / 1939**, (S.N.E.D, Alger, 1970), p 58

برنامجها السياسي المتمثل في القيام بعمل مضاد بدون إستكانة أو ضعف للتخلص من الإجحاف والجور وعدم المساواة.[1]

- ĂìƑ Ĭ ŝî ŀlä : جاء نتيجة تحمس أعيان حركة الإصلاح الإسلامية ، وكان على رأس هذه الحركة الاصلاحية الوطنية نخبة من رجال العلم و ذوي الجاه والإيمان ، نذكر من بينهم الحاج زواوي والحاج محفوظ بن التركي ، و السي قدور بودوسي ، وإبراهيم بشطارزي ، ومحمد بن حفاق ، وغيرهم من المحسنين الذين كان لهم دور فعال بالعاصمة مدفوعين بدافع ديني قوي حيث أنشأوا في العشرينيات مدارس خاصة لتعليم أبناء المسلمين وأنشأوا الملاجئ للفقراء والأيتام والمساكين وختموا جهودهم بإنشاء نادي الترقي1926 الذي صادف تأسيسه مرور قرن على الحصار الفرنسي للجزائر[2].

/é ýƑĎŀǰÚä ƶlƑGlä hƓƑŀIǴ ơĭîƑŀlä ĬƋôĀllä : إن ظهور Ĭ ŧĭĎŽllä في هذا الصدد كأول مؤرخ جزائري حديث لم يكن محل استغراب فلقد حاول تلميذ بن باديس أن يعيد كتابة التاريخ الجزائري على أساس وطني ، وقد ظهر الجزء الأول من كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث سنة 1928 ، وباعتبار Ĭ ŧĭĎŽllä عضوا من العلماء ركز على فكرتي الإصلاح والوطنية في كتاباته وقد أهدى كتابه إلى شعوب الجزائر خاصة والمغرب العربي عامة ، بالإضافة إلى الشباب المفكر ورجال العمل في المنطقة [(3)] ، وصدر الجزء الأول من كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" سنة (1347هـ / 1923م) وتم طبعه بالمطبعة الاسلامية الجزائرية لقسنطينة العاصمة الثقافية عندئذ وحيث بدأت حركة العرائض والاحتجاج منذ القرن الماضي ، ونشر الجزء الثاني كذلك في نفس المكان والمطبعة سنة (1350هـ – 1932م). [(4)]

---

[1] Mahfoud kaddache, op.cit, p. 58

[2] الطاهر بن عيشة ، <u>ĂìƑ Ĭ ŝî ŀlä hƖîƟllĀ hŏƟǘƬÚä Û ơĭĩllä åĭôllä ĬƓyllä ơĭĩllĀ ìĭýƨllä Ăîljällä</u> (جريدة المحقق ، السلسلة الثانية ، العدد 58 ، 27 أفريل 2007) ، ص 15.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، <u>ơĭîƑŀ îôäĭllä ĬǯƑƸkllä</u> Û7é ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ،1998) ، ص 425.

[4] – أبو القاسم سعد الله ، مرجع نفسه ، ص ص (426 – 427). (أنظر في هذا المجال دراسة) :

BEN CHNEB, " **<u>quelque historiens arabes modernes de l</u>** ", revue africaine, n°91 année 1947, p p 475 – 499 Algérie)

والحديث عن Ĭ‡ĭDžllä يؤدي بنا إلى الحديث عن Ĭǿìƿžllä ůĭǯĀƗ ìƿžɵà ، وكتابه المعروف "كتاب الجزائر" ولعل عدم إقبال الميلي على معالجة تاريخ الجزائر الحاضر هو الذي جعل المدني يتولى ذلك ويركز على العهد الفرنسي أكثر من العهود الأخرى السابقة له ، وأن يجعل "كتاب الجزائر" نوعا من كتاب الجيب لتاريخ الجزائر في العهد الفرنسي إلى سنة 1930، كما ألف المدني عدة كتب أخرى نذكر منها الجزآن الرابع والخامس من تقويم المنصور (1926 – 1929) طبعه في تونس ، وكذلك تاريخ شمال إفريقيا أو قرطاجنة في أربعة عصور تونس 1927، محمد عثمان باشا وخلاصة تاريخ الأتراك بالجزائر (الجزائر 1938) وكذلك كتاب (جغرافيا القطر الجزائري ، الجزائر 1948م)) كما لا يمكننا إغفال مجهود þƑƿžɵîllä ìǴƳ ĬllŭĭƜllä في نفس السياق حيث ظهر له كتاب "ýƒƴllä îɘăƜllä ơĭîƑƗ" أوائل الخمسينيات 1953 وهو في جزأين وقد تناول التاريخ من أقدم العصور إلى العهد العثماني وكان دافعه أيضا وطنيا فقد أهداه إلى عقبة بن نافع وإلى الشباب فربط الماضي بالحاضر فعقبة رمز الفتح الإسلامي والشباب رمز اليقظة الوطنية ، وهي إشارة إلى الاقتداء بالسلف وعدم الانغماس في الحضارة الغربية الأجنبية [1] لقد كانت كتابات الجزائريين ردا على الكتابات الفرنسية ، وتوجيها للأمة في مواجهة الاستعمار، فخدموا البلاد

بكتابة تاريخها ، فكانت خير معبر برؤية وطنية صادقة على الرغم من النقص و الضعف و الاعتماد على العاطفة ، إلا أنها كانت موضوعية ولو بالمفهوم الضيق مقارنة بالمؤلفات الاستعمارية[2].

2- æƑĭɵllä ƕĭƨƑĭƨllä : إذا كان الشعور الوطني في الجزائر قد أدى إلى مقاومة شعبية مسلحة فإنه بالمقابل أنشأ مقاومة سياسية نشطت مع بداية القرن العشرين وتطورت بفعل عوامل داخلية وخارجية مكنت بعض الزعماء من تكوين أحزاب وجمعيات أنصبت مطالبها على ضمان حقوق الفرد الجزائري والتنديد بالإجراءات الفرنسية المتواصلة ضد الوطنيين الجزائريين [3] ووقوف ضد السياسة الفرنسية الرامية إلى بسط

---

[1]– أبو القاسم سعد الله ،ơĭîƑƗ îɘăƜllä ĬǯƑŝllä ، ج 7 ، ص ص 423 – 425 .

[2]ميسوم بلقاسم ، þƿ ýɘăƜ ŮǻƨƗƴƑƿî Ĭƨǿƨllä (ƗĭĭĭŨ ơĭîƑƗ îɘăƜllä)، ملتقى حول جرائم الاحتلال الفرنسي، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2010 .

[3]– عبد الرحمن بن العقون ، êƑƨllä ĬƿĂŝllä ĀƨƑĭƨllä Ĭ þƿ ŮŬŭ ƿíƖlĉâ ƿŽƑT î1920 / 1936 ، ج1 ،(الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984) ، ص 24 .

نفوذها بالجزائر ، حيث عمدت إلى إصدار جملة من القوانين ، والإجراءات الممهدة لمشروعها الاستيطاني الذي يسمح لها بابتلاع الجزائر وجعلها جزءا من فرنسا.[1]

ففي 22 جويلية 1834 أصدرت الحكومة الفرنسية قرارها المشهور الذي اعترف بالاحتلال كحقيقة واقعة وأن الجزائر أرض فرنسية ، وأنشأت لذلك منصب حاكم عام لإدارة الممتلكات الفرنسية في إفريقيا الشمالية ، واتبع هذا القرار بتصريح دستور 1848 الذي نص على أن الجزائر جزء مكمل لفرنسا ، ومن ناحية أخرى أكدت الحكومة الفرنسية دعمها المادي والمعنوي للمعمرين للاستقرار في هذه الأرض الشاغرة حسبها [2].

ومع بداية عهد الإمبراطورية الثانية بزعامة "نابليون الثالث" (1852 – 1870)[3] ، خضع الأهالي لقوانين استثنائية وفي مقدمتها قانون مجلس الشيوخ senatus consulte [4] الذي صدر في 14 جويلية 1865 وذلك في عهد الحاكم العام مكماهون(1864 - 1870)، وقد نص على منح الجزائريين الجنسية الفرنسية بشرط تخليهم عن أحوالهم الشخصية الإسلامية [5] وفي عهد الجمهورية الثالثة (1870 - 1930) قامت الحكومة الفرنسية أيضا بإصدار تشريعات جديدة تخدم مصالح الأوروبيين من بينها قرار إنشاء منصب حاكم عام مدني ، وقرار آخر يلحق الجزائر بفرنسا وذلك عن طريق دمج شؤونها في مختلف الوزارات الفرنسية بباريس، بالإضافة إلى قانون "كريميو" "cremieux" الذي صدر في 14 أكتوبر 1870 وبموجبه تم منح الجنسية الفرنسية لليهود بالجزائر دون مطالبتهم بالتخلي عن أحوالهم الشخصية. [6]

وإلى جانب هذه القرارات سنت قوانين أخرى كان أهمها قانون الإدماج Assimilation والذي يعني في قاموس السياسة الفرنسية إلحاق الجزائر بفرنسا وجعلها مقاطعة من مقاطعاتها وقد شرع في تطبيق هذه

---

[1]– عمار بوحوش ، σĩĩƑłlä Ĭ ƨƑĩƨlä îəäŴłl þĎž hĭăìĜlä hĭƑƐlĀ ý1962، ط1 ، (، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1997) ، ص 198.

[2]– يحي بوعزيز ، hƨƑĩƨ ô‡ƨłlä ĂĩƑĎžýłƨŰä hlîθllĀ hĭđôĀllä ý1954/1830 ، ط1 ، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، 1991) ، ص 24.

[3] نابليون الثالث : تشارلز نابليون بونابرت (1808–1873) كان رئيسا لفرنسامن (1848إلى 1852) ثم إمبراطورا لفرنسا تحت اسم نابليون الثالث حتى عام 1870 .

[4] Pierre Bourdieu, **sociologie de lalgerie** , Ed,p.u.f.paris,1980,p :106

[5]– أبو القاسم سعد الله ، hlîθllä hĭđôĀllä hĭĩəäŴllä Û 1930/1900 ، ج2 ، مرجع سابق ، ص 20.

[6]– بلاح البشير ، ĭŴĀĎž σĩĩƑł îəäŴllä èĭìθllä îΤƑýĎžllĀ 1889/1830 ، (الجزائر: دار المعرفة ، 1999) ، ص 53.

السياسة بعد مرسوم 30 جوان 1870، حيث قسمت الجزائر ثلاث ولايات في الشمال الجزائر ، قسنطينة ، وهران، كانت تابعة إداريا لوزارة الداخلية الفرنسية وقد تعززت القوانين الاستثنائية الفرنسية بقانون الأهالي الذي صدر سنة 1881 ، في عهد الحاكم العام ألبرت قريفي ، وتدعم سنة 1886، في عهد تيرمان (1891/1886) ، ومن خلاله أعطيت للسلطات الاستعمارية صلاحيات استثنائية مما كرس المزيد من الهيمنة على الجزائريين [1].

كما نجد أن الجزائريين كانوا محرومين من حقوقهم السياسية ، ومجردين بشكل سافر من ممتلكاتهم ، وتشدد عليهم الخناق في كل المجالات ، ونجد المعمرين يتمكنون في العقد الأخير من القرن 19 من إقناع الحكومة المركزية بإعطاء الجزائر نوع من الحرية في تسيير شؤونها بنفسها بسبب اختلاف الوضعية الداخلية لسكان الجزائر عن وضعية سكان فرنسا [2].

وفعلا فقد كان لسكان الجزائر ميزانية خاصة مستقلة إبتداءا من سنة 1900 ، يسيرها المجلس المالي الذي أنشأ سنة 1889 ، وأصبح الحاكم العام هو الذي يتخذ القرار النهائي ، لتنفيذ مقترحات المجلس المالي ، مما زاد في قوة المعمرين في التحكم في مصير الشعب الجزائري والهيمنة على الميزانية التي تعد الركن الأساسي في تسيير شؤون الدولة [3] ، هذه القوانين والمراسيم الاستثنائية الفرنسية كانت بمثابة تحد أبداه الفرنسيون للجزائريين وقد تولدت عنه ردود فعل مختلفة من المقاومة الجزائرية.[4]

بدأت اليقظة السياسية في الجزائر بالتشكل منذ مطلع القرن العشرين [5] إذ عاشت الجزائر خلال العقد الأول من هذا القرن فترة غنية بالأحداث السياسية الداخلية كان لها الأثر الكبير في نمو الوعي الوطني عند الجزائريين وتبلوره على شكل مقاومة وطنية [6] ، وإذا كان أجيرون قد أرجع تلك اليقظة السياسية إلى الثقافة

1– عبد المجيد بن عدة ، [illegible] ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 1993 ، ص 10.

2– صالح العقاد ، [illegible] ، ط3 ، (القاهرة :المكتبة الأنجلو مصرية ، 1969) ،ص 71 .

3– فرحات عباس، [illegible]، تعريب أبو بكر رحال، (المغرب: مطبعة المحمدية، 2002)، ص 95.

4– أبو القاسم سعد الله، [illegible] ، ج1 ، ص 107.

Charles robert Agéron, **les algériens musulmans et la France : 1871–1919**, t2, p.u.f. 4 paris, 1968.p : 1025

6– عبد الرحمن بن ابراهيم العقون ، [illegible] (1936/1920) ، ج1 ، (الجزائر (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984) ، ص 24 .

الأوروبية و خاصة الفرنسية التي تلقاها الجزائريون في المدارس الفرنسية اللآئكية ، فإننا نجد الوقائع التاريخية تشير إلى الدور البارز الذي لعبته ƕŏƋǆǗƨǗä ƕƴƋǅƜƜä ، و التي تعد من جملة الأسباب الخارجية التي تأثرت بها حركة التحرر الجزائرية ،خاصة في دعوتها إلى المحافظة على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية وكذا دعوتها إلى وحدة العالم الإسلامي وقد وصلت أفكار الجامعة الاسلامية إلى الجزائر عن طريق الحجاج والطلبة في المشرق العربي [(1)]، من الممكن تعريفها بأنها حركة تدعو إلى التضامن بين المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الاستعماري الأوروبي ، أما وسائلها فتقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي وذلك بتمجيد العقل والعودة إلى مذهب السلف الصالح ، أي العصر الذهبي للإسلام ، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين ، ومن الشائع أن هذه الحركة بدأت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ومن أهم أصحاب هذه الحركة جمال الدين الأفغاني[2] (1838 – 1897) وتابعه محمد عبده (1849 – 1905)[3] ورشيد رضا (1865 – 1935)[4] ، أما على المستوى الرسمي فإن عبد الحميد الثاني (1876 – 1909)[5] سلطان الدولة العثمانية ، هو الذي بنى حركة الجامعة

---

[1]– قريري سليمان ، <u>ÎĀôŧ ǇƑƜŧǗä ĂîĀƙƜä ĂĀìƟĀƜäĀ Ĭȥ ƕƖîƟƜä ƕŏǆôĀƜä ƕŏƮəäƜƜä 1940 ، 1954</u> ، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة الحاج لخضر باتنة 2010 – 2011 ، ص 48 .

[2]– ولد ǖƑDŽƜ þŏìƜä ĬǆƑƸȥǓä في مدينة أسعد أباد في أفغانستان سنة (1839) وتوفي سنة (1897) ، تجول شرقا وغربا واكتسب ثقافة واسعة من خلال رحلاته واطلاعهالواسع ، دعا إلى تحقيق الوحدة الاسلامية ، من أهم كتاباته " إبطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم". أنظر أبو الصفصاف عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، الطبعة الأولى ، دار اللغة ، الجزائر ، 1981 ، ص 60.

[3]ìDŽƟDŽ ǇìƓY : (1849– 1905) داعية و مجدد إسلامي مصري ، و احد أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث ومن دعاة الإصلاح و أعلام النهضة الإسلامية من اهم مؤلفاته (رسالة التوحيد و العروة الوثقى) .

[4]ìDŽƟDŽ îʅŏì îƮƑ بن علي ولد بلبنان سنة (1865) و توفي بمصر (1935) ،مفكر و و صحفي و أديب لغوي ومن اهم رجال الإصلاح في العالم الإسلامي و أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده.

[5] ƜƨǂôƑþ ìƓY ìŏDŽƟƜä ǆƑƙƜä : (1876–1909) السلطان الخامس و الثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية أصدر اول دستور عثماني و فقدت الدولة خلال عهده أجزاءا من أراضيها في البلقان .

الاسلامية واستغلها ، ومن المعروف أن الهدف الرئيسي للجامعة الإسلامية هو وحدة المسلمين تحت خلافة قوية ، ولهذا السبب رأى عبد الحميد الثاني أنه الرمز الروحي والسياسي لهذه الحركة. [(1)]

هذا الشق الأول من الدور الذي لعبته الجامعة الإسلامية وهو دور تعليمي في إطار ديني كوسيلة لنهضة الشعوب الإسلامية ، أما عن الشق الثاني فقد اتخذ النهج السياسي من أجل إثارة الشعور والحماس الوطنيين المطعمين بالروح الإسلامية لاسترجاع حرية الشعوب واستقلالها ، وقد تزعم هذا التيار الأمير " شكيب أرسلان[2] " منذ بداية القرن العشرين حيث اتصل بمجموعة من علماء مصر الذين أخذوا من أفكاره ، وقد ساهم من مقره في جنيف بسويسرا في نشر الوعي عن طريق محاضراته ونشرياته المطبوعة وعلى رأسها مجلة الأمة العربية LANATION ARABE[3] التي كانت تصدر باللغة الفرنسية ، وكان بحق من الأوائل الذين حركوا فترة الجمود الفكري والسياسي في أرجاء العالم الإسلامي [(4)] ، ويقول عنه شارل أندري جوليان Charles André Julien:" إنها شخصية عجيبة تلك التي يمتلكها هذا الإقطاعي اللبناني الذي بث طيلة ثمانية عشر عاما من مكتبه بجنيف تعليماته الإسلامية في دول حوض البحر المتوسط ، وبرز ككاتب وداعية ، وكان متضلعا في اللغة العربية حتى لقب بأمير البيان (Le prince du manifeste)[5].

ويقول فيه مالك بن نبي في كتابه مذكرات شاهد القرن: " كان شكيب أرسلان في هذه الفترة لاجئا في جنيف ، فقد كان يواصل صراعه البطولي دون أن يكل أو يمل ويصدر مع رفيق محنة من مصر جريدة الأمة العربية، فتصل بعض أعدادها الجزائر حيث قرأتها". كانت أمنية شكيب أرسلان تأسيس جمعية الطلبة

---

[1]– خيثر عبد النور ، سعدي مزيان ، بوقجاني أحمد ، ħŷĭîəäïɯlä ħŷĭďôĀlä ħlîɵlä ð ƨàĀ çFšŧôďĎž (1830 - 1954) ، (الجزائر :سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954) ، ص 87.

[2]– ɭ åĭl þŰƨîà : (1869–1946) كاتب و اديب و مفكر عربي لقب بأمير البيان من اشهر مؤلفاته (الحلل السندسية ، لماذا تاخر المسلمون و تقدم غيرهم) .

[3] ħŷĭĜŷlä ħDŽŬä æìĭĩɯ : التي يصفها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسيال قائلا " كانت هده المجلة محررة بالفرنسية ليس من أجل تأمين مكانة بين أوساط السياسيين في اوربا فحسب ،بل كان الهدف هو إيصالها إلى القراء المسلمين الذين لا يحسنون القراءة باللغة العربية ".

[4]– قريري سليمان، مرجع سابق، ص 49.

[5]– شارل أندري جوليان ، ĩĭƨŧ ħŷĭFĎžɭlä Fĭšĭĩǯâ، ترجمة : محمد مزالي وآخرون ،(تونس: الدار التونسية للنشر ، 1976)،)، ص 32 .

العرب بفرنسا لذلك قام بتكليف الشاب فريد زين الدين الطالب في الحقوق بجامعة لسوربون.
يقول مالك بن نبي : " كان فريد زين الدين على صلة به مكلفا من طرفه ، بدعوة الطلبة العرب الموجودين بالعاصمة الفرنسية لتشكيل جمعية الوحدة العربية، وكأنما كانت هذه الدعوة كما يتبين للقارئ مقدمة للجامعة العربية الحالية ، فشرع من أجل ذلك يتصل بالطلبة المغاربة، وفي نهاية المطاف أصبح محمد الفاسي و بلفريج والطوريس يمثلون مراكش في الوحدة وبن ميلاد مع بعض مواطنيه يمثلون تونس ، وأصبحت أنا أمثل الجزائر ".[1]

يرى أبو القاسم سعد الله أن الجامعة الإسلامية الجزائرية قد واجهت عدة عراقيل ، ما اضطرها في معظم الأحيان إلى أن تقوم بنشاطاتها في الخارج ، وبذلك اختلطت المساهمة الجزائرية بالجامعة الإسلامية المشرقية في شكلها العام ، لذلك مازال هنالك لبس وغموض بخصوص ميلاد الجامعة الاسلامية في الجزائر أكان في الجزائر أم في الخارج ؟.

ويرجع ابو القاسم سعد الله هذا الغموض بسبب كتابة تاريخ العالمين العربي والإسلامي حيث كتب حتى الآن بطريقة مجزأة بسبب الأحوال السياسية في كل بلد وهذا ما يدعو لإعادة كتابة تاريخ كل البلاد الإسلامية والعربية بطريقة متكاملة وعندما يتحقق ذلك فمن الممكن أن يوضع مشكل التاريخ لحركة الجامعة الإسلامية في ضوء ومحتوى جديدين.

ومهما كان ميلادها ، فقد كان للجامعة الإسلامية وقع هام على الحركة الوطنية الجزائرية ، فنجد مثلا أن السلطات الفرنسية قد لامت الجامعة الإسلامية على ثورتي عين التركي[2] سنة 1901 و عين بسام[3] سنة 1906 ، كما قام ǅƟǅŽì ƓYìǇ بزيارة الجزائر سنة 1903 حيث تكلم أمام بعض الجزائريين عن الإصلاح الإسلامي والنهضة وتضامن المسلمين وقد تركت اتصالاته مع بعض الجزائريين ، ولاسيما العناصر

---

[1]– مالك بن نبي ، ǅíÌâç ̨FǉÌ ǂŝîþ ، مرجع سابق ، ص 249 .

[2]ثورة عين التركي : (1901) تعرف كذلك بثورة مارغريت او ثورة مليانة التي تبعد بسبعين ميلا عن العاصمة الجزائر ، و تذكر المصادر الفرنسية عدة اسباب لقيام تلك الثورة منها الجامعة الإسلامية و التعصب و الحالة الاقتصادية و حتى دور المخبرين الإنجليز فيها .

[3] ثورة عين بسام :(1906)حيث هاجم الجزائريون مراكز الاستعمار في المنطقة منادين بحقهم في ان يكونوا أسياد في بلدهم لكن السلطات اتهمت التعصب و الجامعة الإسلامية كالعادة .

المحافظة ، انطباعا استمر طويلا ويقال أن ÝĜÌǇ كان قد اصطدم وحزن من مظاهر التدهور الواضحة بين مسلمي الجزائر ولاسيما من مظهر اختفاء اللغة العربية.[1]

كما ظهرت أفكار الجامعة الإسلامية كقوة مؤثرة ظهر مفعولها جليا على الجزائريين بظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 ، وبناء على رأي أبو القاسم سعد الله فإن من نتائج أفكار الجامعة الإسلامية على الجزائريين أن أصبح الصراع بين الجامعة و فرنسا كما قدمت للحركة الوطنية أفكار جديدة من خلال الكتب والصحافة ، وكذلك تشجيع الجزائريين على الهجرة نحو المشرق كما عملت على بث فكرة رفض التجنيس ، كما نقلت القضية الجزائرية إلى مجال أوسع.[2]

أ/ õŊĀî äŬӨäå ällɛǐƑɛǐh ʓĬ ällШäǝî Ā äŧШƑǉƑŧNJƑ : لقد بدأت الحركة السياسية في الجزائر تظهر جليا بمفهومها الحديث بعد صدور قانون التجنيد الاجباري سنة 1912[3].

وقد ظهرت خلال بدايات القرن العشرين مجموعة من الاتجاهات الوطنية التي مثلت الجزائريين ويقسمها الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى ستة اتجاهات هي :

1- الاتجاه المحافظ ويمثله مجموعة من الإقطاعيين الجزائريين.

2- الاتجاه المعتدل ويمثله مجموعة من النخبة المثقفة ثقافة فرنسية.

3- الاتجاه اللبرالي وكان يضم القسم الباقي من النخبة.

4- الاتجاه الثوري وقد تطور من الأخير.

5- الاتجاه الإصلاحي العربي الإسلامي وتمثله جمعية العلماء.

6- الاشتراكيون والشيوعيون وقد بدأت أفكار هؤلاء تظهر من خلال الحزبين الاشتراكي والشيوعي الفرنسيين.[4]

---

[1] أبو القاسم سعد الله ،ällӨîlɥ ällĀôǆĭɥ ällШäǝîǐɥ ، ج2 ، مرجع سابق ، ص ص 110 – 115.

[2]– قريري سليمان ، مرجع سابق ، ص 51 .

[3]– قريري سليمان ، مرجع نفسه، ص ص 58 – 59 .

[4]– أبو القاسم سعد الله Û ällӨîlɥ ällĀôǆĭɥ Ûé2 ، مرجع سابق ، ص ص 228 – 229 .

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى شهدت الجزائر ظهور اتجاه مقاومة جديد بأسلوب مميز استنبطه الزعماء الجزائريون من خلال تجاربهم السياسية وثقافتهم الفرنسية ، وكذا العربية الإسلامية التي فتحت أعينهم على ما جرى في العالم وكذلك التجربة العسكرية التي خاضها كثير من أفراد الشعب الجزائري من خلال مشاركاتهم في الحرب العالمية الأولى ، وأول حركة سياسية مميزة يمكن الإشارة إليها ، هي حركة الأمير خالد[1] الذي عارض بشدة كل ما يتعلق بشروط التخلي عن قوانين الشريعة الإسلامية من أجل تطبيق قوانين (4 فبراير 1919) ، وقد أطلق سعد الله على هذه الحركة اسم " الحزب الاصلاحي "، وأطلق عليها البعض الآخر خاصة الكتاب الفرنسيين (الحزب الوطني الاسلامي الاشتراكيPNMS) ، كما أطلق عليها إسم (كتلة المنتخبين الجزائريين FEA)[2]، كافح الأمير خالد على ثلاث مستويات مختلفة ومتكاملة :

1- داخل المؤسسات التمثيلية المحلية.

2- وعلى الجبهة الإعلامية من خلال جريدة الإقدام وفي إطار جمعية الأخوة الجزائرية التي أسسها.

ومن خلال القيام بإلقاء محاضرات وتنظيم زيارات هادئة لمختلف مدن البلاد قصد نشر الوعي وتثقيف الجماهير وتحسيسها بالمشاكل التي تتخبط فيها وتوعيتها بأساليب العمل المجدي على المدى المتوسط والبعيد إلى جانب التركيز على ضرورة التشبث والمحافظة على مقومات شخصيتها الوطنية والحضارية التي لا يوجد بديلا عنها[3] ، وقد بعث الأمير خالد بمذكرة إلى الرئيس الأمريكي "ÞĀƨǂǏĀ"[4] يشرح فيها القضية الجزائرية ، كما تضمنت جملة من المطالب تجعل من الأمير خالد أول شخصية جزائرية مثلت الاتجاه الاستقلالي باستعمال الوسائل السياسية[5] ، كانت المعارك السياسية للأمير خالد في الساحة الوطنية في مواجهة دعاة التجنيس والاندماج ، وتزامنت أولى تلك المعارك مع انتخابات المجلس البلدي في العاصمة في نوفمبر 1919، وهي الانتخابات التي أقرتها الإصلاحات الاستعمارية في فيفري من نفس

---

[1] ÌǁFÇǁ ÎȋDžǓä : هو خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر ولد في دمشق سنة 1875 تخرج من الكلية العسكرية الفرنسية برتبة نقيب و عمل في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى .

[2]– قريري سليمان، ÚǴFƨ ƲǖÎDž، ص 60.

[3]– جمال قنان، ÎƑDžǰƗƨǗä ÌǊǋ Ǐƺ ÎǝǟǖǄä Ǐƺ ǏǂǇǓä ǵǏǂǰƗǄä، مرجع سابق، ص 114.

[4]ويلسون : رودرو ويلسون (28 ديسمبر 1856 / 3 فبراير 1924) و المعروف بصاحب المبادئ "14" الرئيس الثامن و العشرين للوم أمن 4 مارس 1913إلى 04 مارس 1921 حاز سنة 1919 على جائزة نوبل للسلام .

[5]– قريري سليمان، ǇǰƨƵǆ ƲǖÎDž، ص 60.

السنة عندما واجه الأمير خالد قائمة انتخابية ثانية وهي قائمة الجناح اللبرالي الاندماجي التي أطلقت عليها تسمية رابطة العمل الفرنسية الاسلامية.

حقق الأمير خالد تقدما سياسيا كبيرا على منافسيه من الاندماجيين في الانتخابات للمجلس البلدي في العاصمة في نوفمبر 1919 ، وفي انتخابات أفريل و جوان 1920 ، الخاصة بالمجالس المالية والعامة ، وفي انتخابات المستشارين للبلديات في جويلية 1921، وأدى ذلك النجاح الذي لقيته حركته إلى تزايد الاحتجاجات من طرف خصومه وعلى رأسهم ابن التهامي[1] ، وأنصاره الذين اتهموه بممارسة نفوذه الديني والسياسي الذي توارثه عن جده الأمير عبد القادر، ولم تنظر الادارة الاستعمارية المدعومة لصحافة الكولون في الجزائر إلى المكاسب السياسية للأمير خالد بعين الرضا ، فقامت بكيل الاتهامات له بالتعصب الديني والانتماء للشيوعية والجامعة الإسلامية والقومية العربية.

حذرت أبواق الصحافة الاستعمارية من الأخطار التي كانت تشكلها حركة الأمير خالد ، فسارعت الحكومة العامة في الجزائر إلى التضييق على نشاطه ، ثم قررت نفيه من الجزائر سنة 1923 ، وعلى الرغم من ذلك حاول الأمير خالد مواصلة العمل السياسي في فرنسا ذاتها إلى أن اصطدم بالمواقف الاستعمارية نفسها لدى اليساريين الذين وصلوا إلى سدة الحكم في فرنسا في عام 1924 ، فقرر التراجع إلى مصر ثم إلى سوريا حيث توفي سنة 1936.

رأت سنة 1926 ، حادثين عظيمين كان لهما التأثير الأكبر على مستقبل القطر الجزائري أولها تأسيس جمعية نجم شمال إفريقيا في باريس ، وثانيهما تأسيس نادي الترقي بعاصمة الجزائر [2].

ýWdž ỉ üFDŽ ẑâ ĭîšĭﬁ : بين 1919 و 1925 اتبعت فرنسا في الجزائر سياسة قمعية ضد القوات الوطنية الناهضة ، ونتيجة لذلك كان على الحركة الوطنية إما أن تعمل في الخفاء وإما أن تخرج من الجزائر وتلتجئ إلى فرنسا نفسها ، وقد أصبحت باريس خصوصا ملجأ للوطنيين الجزائريين خلال هذا العهد ، حين وجد

---

[1] þGä ǁǂNJFŽDĬ : ولد بمدينة مستغانم 1873 ، ظهر نشاطه السياسي بعد الحرب العالمية الأولى إذ تزعم حركة الشباب الجزائري كان من دعاة الإدماج ضمانا لمزيد من الحقوق السياسية للجزائريين إلى جانب السماح لهم بالتجنيد في الجيش ، توفي سنة 1937.

[2] أحمد توفيق المدني، ǰíǰ ǰĬ ǟWäǝÎ، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1957)، ص 164.

هؤلاء الوطنيين أعضاء نشطين من بين العمال الجزائريين كانوا هناك منذ العقود السابقة ، بالإضافة إلى عدد من الجنود المسرحين و مشجعين من الأحزاب اليسارية الفرنسية ومن اللاجئين السياسيين الأجانب ، متمتعين بحرية أكثر مما في وطنهم ، فقاموا بسلسلة من الحملات ضد الحكم الفرنسي في الجزائر ، وعندما نفي الأمير خالد من الجزائر سنة 1923، رحب به أتباعه في فرنسا حيث بقي بعض الوقت ، وكان أول اجتماع هام تحقق هو انعقاد مؤتمر الشمال إفريقيين في ديسمبر 1924 ، وكل من حزب الأمير خالد الاصلاحي ومؤتمر الشمال إفريقيين أعطى نجم إفريقية الشمالية نموذجا وقاعدة.[1]

ويورد محفوظ قداش بعض الأمور المتعلقة بالتحضير لتكوين الحزب حسب رواية أحد أقطابه وهو "بومعزة علي" الذي ذكر أنه في سنة 1924، أقيم حفل استقبال للأمير خالد في باريس وأثناءه تم اللقاء بين الحاج علي عبد القادر[2] و مصالي الحاج[3] ، اللذان كانا ينتميان للحزب الشيوعي الفرنسي وقد اتفقنا على تكوين رابطة تهتم بشؤون إفريقيا الشمالية والتي ولدت بالفعل سنة 1926، بعد الاجتماع التحضيري الذي عقد في الثاني من مارس من السنة نفسها ، وأطلق على هذه الرابطة اسم"حزب نجم شمال إفريقيا"، وفي بيانه التأسيسي ركز النجم على استقلال دول المغرب العربي والتصريح بتكوين جبهة وطنية داخلية هدفها الأساسي خلق تيار ثوري يقود بلدان المغرب العربي نحو الاستقلال[4] ، وقد أعلن عن الأمير خالد رئيسا شرفيا له ، ولكن شيئا فشيئا فقد النجم أعضاءه التونسيين والمغاربة وأصبح منظمة جزائرية خالصة ، وكان جل أعضائها من العمال والجنود السابقين، وطلبة إفريقيا الشمالية الذين كانوا يعيشون في فرنسا.[5]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، hŭĩǝăiШllä hŭĭďôĀllä hŭlîθllä (1900 - 1930)، مرجع سابق، 372.

[2] éƒθllä Ĭ‡Ύ ìĜΎ îìƑŝllä ، ولد بدوار سيدي ويس بغليزان في 23 / 12 / 1883 هاجر إلى فرنسا وحصل على الجنسية الفرنسية ، شارك في الحرب العالمية الأولى وانخرط في صفوف اليسار الفرنسي ، كما رشحه الحزب الشيوعي في الانتخابات التشريعية سنة 1924 وكان له دور كبير في انضمام مصالي الحاج إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي وساهم رفقته في تأسيس نجم شمال إفريقيا 1926 ، توفي سنة 1957.

[3] ĬǁƑƬDž éƒθllä : من مواليد 1898 بتلمسان شارك في الحرب العالمية 1 في الجيش الفرنسي ، أسس حزب نجم شمال إفريقيا وأصبح رئيسا له ثم حزب الشعب (1937 – 1939) ثم حركة الانتصار للحريات الديموقراطية ، توفي سنة 1974 بفرنسا.

[4] قريري سليمان، ÜШîDž úĜƑƨ، ص ص 73 – 74.

[5] أبو القاسم سعد الله، hŭĩǝăiШllä hŭĭďôĀllä hŭlîθllä (1900 - 1930)، مرجع سابق، ص 372.

عرف النجم أزمة داخلية بفعل صراع وتجاذب تيارين شكلا منذ البداية أهم أجنحته ، وهما التيار اليساري بزعامة الحاج علي عبد القادر والذي كان يحظى بدعم الحزب الشيوعي الفرنسي وحركة الكومنترن ، أما التيار الوطني المنافس داخل النجم فقد تزعمه أحمد مصالي الحاج وأنصاره الذين كانوا يرغبون في إخراج الحزب من دائرة الوصاية الشيوعية المزدوجة في فرنسا[1]، وبعد تولي مصالي الحاج زعامة النجم في سنة 1928 ، نجحت القيادة الوطنية للحزب في التخلص تدريجيا من محاولات الوصاية والتوجيه من طرف اليسار الفرنسي ، وفي الواقع أن مطالب مصالي الحاج في مؤتمر بروكسل [2](10- 15 فيفري 1927) والذي اعتبر أكبر حدث سياسي عالمي في تلك السنة ، كانت بمثابة الإعلان عن التوجهات الوطنية داخل الحزب ، وفي هذا السياق يمكن إعتبار الاجتماع العام للحزب الذي عقد في (05 أفريل 1928) بباريس بمثابة انقلاب العناصر الوطنية على القيادة والعناصر الشيوعية في هرم الحزب ، ولم تكن الادارة الفرنسية بمعزل عما كان يحدث داخل النجم من تطور في توجهاته الوطنية ومطالبه الاستقلالية ، وسرعة انتشاره في أوساط الطبقة العاملة المهاجرة الجزائرية لذلك أصدرت في 20 نوفمبر1929 ، قرارا يقضي بحل الحزب بتهمة المساس بوحدة التراب الوطني ، ويشير أبو القاسم سعد الله إلى أن خلفية الاتهامات تعود إلى تعاون النجم مع جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا ، وإلى اعتبار الإدارة الفرنسية للنجم كحزب شيوعي يعمل في سرية و مخالف للقوانين السارية على الجمعيات السياسية [3] لكن بالرغم من حل الحزب إلا أن زعماءه واصلوا العمل بصفة غير رسمية حتى سنة 1932 حيث أعيد تشكيل الحزب تحت إسم " نجم إفريقيا الشمالية المجيد " و قد جاء في برنامج الحزب بعد إعادة تكوينه مجموعة من المطالب لا تختلف عن مطالبه سنة 1926 والمتعلقة بالاستقلال التام والتعليم الإجباري باللغة العربية واعتبارها لغة البلاد الرسمية وجلاء الجيوش الأجنبية وتكوين جيش قوي ، ونفس المطالب أكدها في مؤتمره الذي عقد في باريس سنة 1933 والتي

---

[1]و يقصد بها كل من الحركة الشيوعية العالمية المعروفة بالأممية الثالث أو الكومنترن و يمثلها في فرنسا كل من الحزب الشيوعي الفرنسي PCF و النقابة العامة للعمال CGT

[2]مؤتمر بروكسل 10-15 فيفري 1927 و الذي دعت إليه الجمعية المناهضة للاضطهاد و الاستعمار أقيم ببروكسل بقصر أقمون ، شارك فيه مصالي الحاج من خلال تقديمه لبرنامج حزب نجم شمال إفريقيا .

[3]خيثرعبد النور ، úǤꞙƨ ՄШՈĎž ، ص 250.

نشرتها صحيفة الأمة[1] ، الناطقة باسم الحزب سنة 1934 وعندما وصلت الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا سنة 1935 ، قدم الحزب عريضة على شكل رسالة مفتوحة موجهة للحكومة الفرنسية تدعوها إلى إعطاء حقوق الجزائريين وتمكينهم من تقرير مصيرهم ، واستطاع حزب النجم أن يكوّن قاعدة عريضة من الجماهير التي التفت حوله ، وهذا ما ظهر واضحا في التجمع الذي عقد بملعب العناصر بالعاصمة سنة 1936 ، والذي ألقى خلاله مصالي الحاج خطابا شرح فيه مبادئ الحزب وأهدافه من خلال فكرة الاستقلال كقاعدة أساسية تعمل على إستقطاب الجماهير وتوعيتها.

وقد بين مصالي موقف الحزب من المؤتمر الإسلامي[2] ، الذي عقد سنة 1936 ، والذي لا تعبر مطالبه عن القضية الجزائرية مطلقا حسب منظور الحزب ، ونتيجة لنجاحات الحزب على المستوى الجماهيري داخل الجزائر صدر قرار وزاري بحله من جديد سنة 1936، ولكن نشاطه لم يتوقف بل استمر باسم "أحباب الأمة" نسبة إلى جريدة الحزب ، وفي مارس من نفس السنة تأسس حزب جديد وهو حزب الشعب الجزائري في اجتماع عقد بنانتير (NANTERRE) في باريس.[3]

Ăîəăɯⅲä åɣʅⅲä åïɵ : ولد هذا الحزب يوم 11 مارس سنة 1937 ، وكان قرار إنشاءه قد تم بالاتفاق مع أعضاء فرع الجزائر للنجم وأعضاء اللجنة المركزية الذين منهم : مصالي ،وعيماش، وراجف، وموساوي رابح ، وكحال محمد أرزقي.

وكانت أهدافه لا تختلف في جوهرها عن أهداف النجم بعيدة المدى وهي إنشاء حكومة وطنية وبرلمان ، واحترام الأمة الجزائرية واحترام العربية والإسلام[4] مع إدخال تعديلات جزئية على برنامج الحزب الجديد ، فقد وضع ميثاقا اقتصاديا وأصبح يركز على التجارة والفلاحة ولعل الهدف الرئيسي من هذا التغيير هو منافسة

---

[1] ɦǷǏŬä ɦƨĭɵ Ƭ : لسان حال النجم ، أصدرت حوالي 170 عددا من (1933/07/21 إلى 1938/06/06) ، فكانت أحد أهم المصادر المالية للحزب ، كان لها مركز في باريس 19 شارع داغير ، وكانت توزع سنة 1934 حوالي 44000 نسخة.

[2] ÎǷǏúƨŰä îǷǏłáǷⅲä 1936 : انعقد في 07 جوان 1936 بقاعة سينما الماجستيك بالجزائر العاصمة (الأطلس حاليا) باب الوادي ، حضرته جل التيارات السياسية من اليمين إلى اليسار باستثناء النجم وترأسه بن جلول واستطاع المؤتمر أن يحقق نجاحا بتوحيده جل أقطاب الحركة الوطنية وذلك لأول مرة حول مطالب واحدة.

[3] قريري سليمان ، úǴƨ ÜɯîǷ ، ص ص 75 – 76.

[4] أبو القاسم سعد الله ،ɦĭîəăɯⅲä ɦĭǆôĀⅲä ɦÌîɵⅲä 1945-1930 3é ، ص 144

جمعية العلماء والحصول على دعم التجار البورجوازيين وفسح المجال لجميع الفئات أن تشارك في الحزب وبذلك كون الحزب قاعدة شعبية عريضة وخاصة في الجزائر التي أصبح يتنافس فيها مع الأحزاب ذات القاعدة الاجتماعية العريضة ، وكان الشعار الجديد للحزب هو : "Ú ǖllǖ ìǮFé Û Ú ǖllǖ Ƭ2ƑǖÛ llþ ýÿǆ îîθŧǂ " ونستخلص من هذا الشعار أن مصالي الحاج قد اختار طريق المرونة السياسية والابتعاد عن المواجهات السياسية التي قد تحطم حزبه ، وكذا تخلى عن استعمال كلمة الإستقلال وركز جهوده على مسألة تحرير البلاد من الهيمنة الفرنسية[1]. إن مطالب وشعارات الحزب جذبت اليه الشعب الجزائري الذي كان يعاني من تعسف الإدارة الفرنسية والكولون ويحلم بمن يخلصه من هذا الكابوس ، وقد عمل رجال هذا الحزب على تأطير هؤلاء المناضلين و المتأثرين بدعاية الحزب في خلايا سرية وتنظيم هرمي محكم ، وعندما إستقر مصالي لبعض الوقت بالجزائر إزداد عدد المنخرطين في حركته ، ولعل هذه الشعبية هي التي شجعت مصالي الحاج على قرار مشاركة حزبه في الانتخابات البلدية التي جرت في سنة 1937 ، ومع أن هذا الحزب لم يفز على قائمة منافسيه المشكلة من الشيوعيين والأعيان إلا أن الأصوات التي أحرز عليها تدل على مدى سرعة تغلغل هذا الحزب الجديد في الأوساط الجزائرية، وقد شجعه على ذلك توسع هذه الشعبية بالخطب والمهرجانات والمشاركة في المظاهرات.

وعلى كل حال فان مصالي وأنصاره قد قاموا بحملة واسعة ضد الإدارة الفرنسية وقد أنشأ الحزب أول جريدة له بالعربية في الجزائر بعنوان "الشعب[2]" ، بالإضافة إلى جريدة الأمة ، التي كانت تصدر بالفرنسية في باريس ، كما قام الحزب الجديد بمظاهرة كبيرة يوم 14 يوليو 1937 برفع العلم الجزائري لأول مرة مميزا نفسه عن مظاهرة الجبهة الشعبية التي جرت في نفس الوقت. ولكن السلطات كانت لهم بالمرصاد ، ففي السابع والعشرين من اغسطس اعتقلت زعماء الحزب بتهمة القيام بحملة معادية لفرنسا وإعادة العمل لحزب منحل ، وقد حكم على مصالي خاصة بالسجن لسنتين وكذلك على خمسة آخرين من أتباعه ، وأثار قرار الاعتقال موجة احتجاج أخرى من العلماء وأنصار فرحات عباس ، وتظاهر أنصار حزب الشعب امام سجن بربروس[3]، حيث مصالي الحاج وزملاؤه الخمسة ، لكن السلطات الفرنسية لم تغير رأيها بل قدمت مصالي

---

[1] – عمار بوحوش، ǟŧƑîǒơ ǟƨǐƑƨ Ǐ ǂŧɯǟəî Ǆþ ǟǴìǟǒɦ ĀǟƐƸǒɦ 1962، مرجع سابق، ص 302

[2] – ɯǐǐìæ ǟǂ ɣýå : جريدة نصف شهرية يديرها مصالي الحاج ويرأس تحريرها مفدي زكريا ثم خلفه عليها السيد محمد قنانش

[3] ƨɯþ ǴîǴÂð : يعد من أقدم و اشهر السجون الجزائرية يعرف حاليا بإسم سركاجي و يقع في أعالي العاصمة الجزائرية .

للمحاكمة ، ووقف مصالي أمام المحكمة في مدينة الجزائر خلال نوفمبر 1937 ، وهنالك أعلن أن الهدف الأساسي لحزبه هو إحلال برلمان جزائري محل مجلس الوفود المالية وانتخاب البرلمان المذكور بطريقة الإقتراع العام.

وحذر مصالي فرنسا في شمالي إفريقيا من معية الخطر الفاشيستي، وتساءل هل يعد ضد فرنسا من طالب باستقلال الجزائر ؟ أو لسنا هنا في وطننا في الجزائر؟ وقال بأن حزبه سيعمل على تحقيق حرية الجزائر بمساعدة فرنسا، وأضاف بأن لدينا حضارتنا وديننا وكل مانريده هو أن نكون شعبا مستقلا، ورغم كل هذه التوضيحات وحتى التنازلات ، فإن المحكمة قد أصدرت حكما بالسجن سنتين على مصالي ورفاقه الخمسة، وكانت سنة 1938 في الواقع فترة همود بالنسبة لنشاط حزب الشعب، ذلك لأن الإدارة الفرنسية قد لاحقت أعضاءه حتى حققت نوعا من الهدوء والإستقرار كما طالب بهما المعمرون.

غير أن السنة الموالية كانت أكثر نجاحا، فقد فاز مرشح الحزب وهو السيد محمد دوار[1] ، في إنتخابات 1939 ، وأنشأ الحزب جريدة بعنوان "البرلمان الجزائري"[2] .

وخلال صيف سنة 1939 ، ومع تلبد سحب الحرب العالمية الثانية ، سيطر الخوف على الفرنسيين وقضوا على حركة حزب الشعب تماما ، على الأقل باسم القانون ، ففي يونيو اتخذت إجراءات في باريس ضد جريدة "الأمة " لأنها نشرت مقالا هاجمت فيه سلطة فرنسا في المناطق التي تمارس فيها هذه السلطة ، لذلك صودرت هذه الجريدة في مقرها وحجزت وثائق هامة هناك.

ورغم أن مصالي قد أطلق سراحه بعد استيفاء المدة المقررة ، في 25 اغسطس سنة 1939 فإنه سرعان ما اعتقل من جديد اكتوبر 1939 ، كما صدر قرار بحل حزب الشعب نفسه ومنع جريدة الأمة من الصدور في سبتمبر 1939.

---

[1] ïŝƨlä ïDŽƟDŽ îäĀì : قيد على السجن وتوفي في سجنه .

[2] ɯîĭìæ älǤîlŽDƑþ älɯĭəîĂ : هي جريدة وطنية نصف شهرية تدافع عن حقوق الجزائر العربية تصدر باللغة الفرنسية.

وهكذا عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية كان حزب الشعب منحلا وقادته في السجن وصحفه ممنوعة في الجزائر التي كان القانون الفرنسي يعتبرها جزءا لا يتجزأ من فرنسا الديمقراطية.[1]

þĭĭîƏäẄİİä þĭĎžŧƨĎžİİä ÞƑĎžŧyĬĬä ĥŭĭŷĎžẄ: تعود فكرة تأسيس هيئة تجمع شمل علماء الدين المسلمين الجزائريين حسب رأي بعض الباحثين الى سنة 1913 وذلك حينما التقى ابن باديس بارض الحجاز في موسم الحج بالشيخين الطيب العقبي[2] ومحمد البشير الابراهيمي[3] فتباحث معهما أوضاع الجزائر المزرية وكيفية إخراجها منها فكانت نتيجة تلك الإجتماعات المتوالية هي إدراك ضرورة القيام بنهضة شاملة وعامة تستهدف التغيير في الحياة السياسية والدينية والفكرية والاجتماعية وفي ذلك يقول الإبراهيمي : " وأشهد الله ان تلك الليالي من عام 1913هي التي وضعت فيها الاسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين، والتي لم تبرز للوجود الا في عام 1931".

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم الخامس من مايو سنة 1931 بالعاصمة ، وقد ضمت 72 عالما جزائريا جاؤوا من مختلف أنحاء القطر ومن مختلف الاتجاهات الدينية ، فكان فيهم المتطرفون وهم المصلحون عندئذ ، وفيهم الرجعيون وهم غير المصلحين من رجال الدين الجزائريين ، وقد تكونت في العاصمة لجنة تأسيسية برئاسة السيد عمر إسماعيل ووجهت الدعوات للحضور ووحدت التاريخ ومكان نادي البركة للاجتماع ، وتألف المجلس الاداري من ثلاثة عشر عضوا على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي لم يحضر إلا في اليوم الثالث والأخير للاجتماع ، فكان انتخابه غيابيا [4]. يذكر ابو القاسم سعد الله ان عوامل وظروف ظهور الجمعية ماتزال غير مدروسة لحد الساعة [5]رغم ان معظم الباحثين يستندون الى

---

[1] – ابو القاسم سعد الله، ĥŭĭîƏäẄİİä ĥŭĭűôÃİİä ĥŭİîƟİİä ، ج3 ، ص ص144 – 147.

[2]الشيخ الطيب العقبي : (1888–1960) من مواليد مدينة سيدي عقبة ببسكرة هاجرمع أسرته إلى المدينة المنورة سنة 1895، تولى رئاسة تحرير جريدة القبلة و إدارة المطبعة الأميرية في مكة ، انضم إلى جمعية العلماء المسلمين ليصبح من أهم رجال الإصلاح في الجزائر.

[3]الشيخ الإبراهيمي : (1898–1965) من اعلام الفكر و الأدب في العالم العربي ، رفيق الشيخ بن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية الجزائرية ونائبه ثم خليفته في رئاسة الجمعية .

[4] ابو القاسم سعد الله ، ĥŭĭűôÃİİä ĥŭİîƟİİä ، مرجع سابق،ج3 ، ص 83 .

[5] يذكر توفيق المدني في مذكراته " حياة كفاح ج 2 " بأنه كان من دعاة تأسيس جمعية العلماء المسلمين .

المقولة التي ترشح ان الجمعية ظهرت كرد فعل على الاحتفالات المئوية للاحتلال[1] ، خصوصا بعد المقولة المصرحة من قبل بعض الفرنسيين " إن هذا الاحتفال أقيم لنصلي صلاة الجنازة على الاسلام والعربية في الجزائر "[2].

ولم يكن ميلاد جمعية العلماء ميلاد الاصلاح كما يتوهم البعض، بل ان ميلادها على النحو الذي تأسست به كان خدمة للاتجاهات الاخرى غير الاصلاحية التي كانت تشعر بأنها اصبحت خارج التيار الاجتماعي فأرادت ان تستعيد نفوذها عن طريق الجمعية ، كما ان الادارة الفرنسية كانت تطمع من وراء الجمعية الى ملأ الفراغ الذي كان الاهالي يحسون به ولاسيما بعد القضاء على حركة الامير خالد ، وحل نجم شمال افريقيا الشمالية . وما يضير الادارة ان تأسس جمعية دينية تجمع كلمة رجال الدين في الجزائر فمن كان منهم معها فأمره واضح ومن كان منهم حرا فأمره سهل اذ سرعان ما يتغلب الموالون على الاحرار وتكون الرابحة في النهاية[3]. وقد كان المصلحون يعرفون من جهتهم بهذه النوايا ، وكذلك اخفوا في البداية اهدافهم البعيدة وسالموا عصمتهم الا ان لم يعد هناك مجال للمسالمة[4] ورغم ان الجمعية اعلنت في بيان تكوينها انها جمعية اجتماعية ثقافية وغير مهتمة بالسياسة الا ان اهدافها جعلت منها اهم تشكيل وطني حارب الاستعمار في هذه الفترة ، وذلك عن طر يق غير مباشر بإتباع اسلوب التنوير والعودة بالمجتمع الى اصوله العربية الاسلامية والدفاع عن اللغة العربية والتقاليد ومحاربة الخرافات التي ساعد على انتشارها رجال الطرق الصوفية بتشجيع من الاستعمار . كما حاربت الجمعية بشدة سياسة التجنيس والاندماج والتنصير بالمسيحية وكل ما من شانه القضاء على الشخصية القومية للشعب الجزائري[5]. ولعل اهم تعبير عن اهداف القومية ومبادئها ما جاء على لسان الشيخ عبد الحميد بن باديس وأوردته مجلة الشهاب لسان حال الجمعية سنة

---

[1] أقيم بتلك المناسبة احتفال ضخم تم التحضير له طيلة ثلاث سنوات حضره رئيس الجمهورية الفرنسية شخصيا Gaston–Doumergue و العديد من السياسيين و رجال الدين من مختلف بلدان العالم و خصص له مبلغ سبعة ملايين فرنك فرنسي ، و أعيد استعراض الهجوم البحري لاستعادة ذكرى نزول الجيش الفرنسي على سواحل سيدي فرج .

[2] عبد الرحمن بن العقون ، ÚǴFƨ ÚÚÎĎŽ ، ص ص 306،305

[3] هذا لا يعني ان فرنسا قد وافقت على إنشاء الجمعية ببساطة فالحاكم العام فيوليت رفض الفكرة لأنها حسب نضره ستحدث هزة في الفكر الاجتماعي و الديني السائد في الجزائر . أنضر (أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين و أثرها الإصلاحي في الجزائر)

[4] – ابو القاسم سعد الله ، hŬĬďžôĀllä hŬlÎΘllä ،ج3 ، مرجع سابق ، ص 85

[5] – شارل اندري جوليان ، مرجع سابق ، ص 135

1937حين قال " العروبة والإسلام والعلم والفضيلة ، هذه اركان لقضيتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا فما زالت هذه الجمعية كما كانت تفهمنا في الدين وتنيرنا بالعلم وتحيلنا بالأخلاق الاسلامية العالية والفضيلة وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطنيتنا العربية الاسلامية ."[1]

كما لعبت صحف الجمعية ، دورا كبيرا في الدفاع عن مبادئها خاصة حول قضية التجنيس وأحكامها الشرعية على نحوما ورد في صحيفة البصائر سنة 1954، في مقالة للشيخ العقبي احد اقطاب الجمعية حيث قال : " التجنيس بمعناه المعروف في شمال افريقيا حرام ، والإقدام عليه غير جائز بأي وجه من الوجوه "[2].

غير ان اهم تعبير عن موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حول التجنيس والإدماج ما رد به الشيخ عبد الحميد بن باديس على فرحات عباس حيث قال : " hŭĭDŽĀŝllä þY ñŧʒ Ljdžä þĭNJƓdžllä åäĀdžllä ìϴä üƑ5 ìŝll FdždžäĀ îkä Ă‡Y FNJll îkyĭ ý‡ʒ â̂ƮFϴllä hullFϴllä Ǐʒ FNJdžY ñŧʒĀ Û â̂kä FNJll ìɯĭ ý‡ʒ oĭîFŧllä þĀôƓ Ǐʒ hŭĭîəäɯllä hudžĀlŧDŽ huDŽ‡ƨDŽllä hŭĭîəäɯllä huDŽǗä FdžìɯĀʒ â̂ƮFϴllä hullFϴllä Ǐʒ Fdžʅŧʒ Ā oĭîFŧllä ùϴƬ Ǐʒ Fdžʅŧʒ þϴdž æìĀɯĀDŽ FDŽl çdžĀlŧ çìɯĀĀ ül ýDŽä Fĭdžìllä"[3] .

وكانت اكبر مظاهرة سياسية شاركت فيها الجمعية هي المؤتمر الاسلامي، الذي دعا اليه رئيسها نفسه ، وهي المشاركة التي ماتزال حتى الآن بين اخذ ورد في اقلام الكتاب و الباحثين ، اذ يرى بعضهم ان الجمعية بذلك اخطأت رسالتها ومنهجها في الاصلاح ، ويرى آخرون انها دخلت السياسة من بابها الواسع وليس من قانونها فاستحقت الاتهام بتدبيراغتيال الشيخ كحول[4] والهجوم الكاسح ضدها من الطرقية والنواب وغلاة الاستعمار، والمعروف ان الجمعية دافعت عندئذ عن موقفها وبررته بشتى المبررات ، منها ان السياسة تعني

---

[1] – قريري سليمان، مرجع سابق، ص 68

[2] صحيفة البصائر، عدد 22، 1936، ص2

[3] قريري سليمان، úƓƨ ƱɯîDŽ ، ص 70

[4] محمد بن دالي المدعو كحول من مواليد مدينة قسنطينة سنة 1870 كان مدرسا للفقه الإسلامي و اللغة العربية و تفسير القرآن كما اشتغل في الصحافة و أصدر كتابا سنة 1911 بعنوان التقويم الجزائري عين إماما في مسجد سيدي محمد بالعاصمة ثم بمسجد سيدي رمضان بحي القصبة ثم مفتيا حنفيا توفي سنة 1936 حيث راح ضحية مؤامرةاستعمارية واتهم الطيب العقبي بتدبير العملية.

الامة كلها وان الجمعية جزء من الامة ، فالبقاء بعيدا عن سير الاحداث يعد هروبا من الواجب الوطني وليس ذلك من شيمها [1]وعلى كل فان الجمعية كانت كالسحاب الذي ساقه الله الى بلد ميت على رأي ابنها الابراهيمي ، فلا يقلع حتى يغيثه واذا كان احياء المطرللأرض معنى فوق التحديد فكذلك معنى هذه الجمعية وان سائق المطر للبلد الميت هو سائق هذه الجمعية لهذا الوطن المشرف على الموت ، وان جاعل المطر سببا في احياء الارض هو جاعل هذه الجمعية سببا في احياء هذا الوطن[2] وجاء بيان 07 جانفي 1956 بالعاصمة حيث اعلن قادة جمعية العلماء المسلمين بعد اجتماع عقدوه عن تأييدهم الكامل لثورة نوفمبر 1954 رغم ان العديد من مناضلي الجمعية قد انضمواالى الثورة قبل هذا التاريخ.

åïϴŀä ĭŶĀĭľŀä Ăîěăïŵŀä : أسس الحزب الشيوعي الفرنسي فرعا له بالجزائر ابتداء من عام 1924[3] وكانت أهم الفدراليات في الجزائر تلك التي يوجد مقرها في مدينة بلعباس[4] .

لقد كان الحزب الشيوعي الفرنسي هو المسؤول عن خلق تحالف بين الزملاء العرب والزملاء الشيوعيين في المستعمرات الفرنسية لغاية 1930 ، وبما أنه لم يقم بهذا الدور على احسن وجه ، فان قادة الحزب الشيوعي الفرنسي قرروا منذ 1931 ، انشاء أحزاب شيوعية في كل من تونس والجزائر والمغرب لأن الأحزاب الوطنية في هذه الأقطار الخاضعة للهيمنة الفرنسية بدأت تبتعد عن الحزب الشيوعي الفرنسي وأعضاؤها يعملون بقصد نيل الاستقلال والانفصال عن فرنسا وبالفعل ففي الجزائر قام مصالي الحاج بالانفصال عن الحزب الشيوعي الفرنسي وبدأ يطالب بالاستقلال وبكل جرأة هاجم مصالي الحاج قادة الحزب الشيوعي الفرنسي ، وأكد مصالي الحاج لأعضاء حزبه أننا تركنا شيوعية الموت وتمسكنا بالوطنية التي هي رمز الحياة[5]وفي هذا السياق شرع قادة الحزب الشيوعي في الجزائر ،في شن حملة واسعة النطاق ضد النجم ولم يهدأ لهم بال حتى أقدمت حكومة الجبهة الشعبية على حله ، وتواصلت الحملة ضد حزب الشعب بعده والذي قالت عنه

---

[1] ابو القاسم سعد الله ، èƒϴǴä ÞâßĀ Ĭƺ ơĭîƑ îϴăïŵŀä ، ج4،(بيروت : دار الغرب الاسلامي 1996)، ص ص 145،146

[2] احمد طالب الابراهيمي ، îƑkß ýƑDžÚä ìDžϴDž ĭĭľǴŀä ĭDžĭljâǴÚä ، ج1 ، (بيروت : دار الغرب الاسلامي ، 1997)، ص 138.

[3] عمورة عمار ،ïŴĀDžŀä Ĭƺ ơĭîƑ îϴăïŵŀä ، (الجزائر : دار ريحانة للنشر والتوزيع ، : 2001) ، ص 178 .

[4] العربي الزبيري ، ơĭîƑ îϴăïŵŀä îŢƑƴDžŀä ، ج2 ،(دمشق : من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999) ،ص219.

[5] Charles robert Agéron, **histoire de l'Algérie contemporaine** , paris : pvf, 1979, p 352

جريدةla lutte sociale ،انه يخدم الفاشية العالمية بدعوته الى استقلال الجزائر، ويفسر السيد مصالي الحاج عداء الشيوعيين بخيبة الأمل التي اصابتهم نتيجة فشل مشروع" بلوم فيوليت[1] "وهو الامر الذي أفقد حزبهم ثقة العمال الجزائريين ، لكن الحقيقة تكمن في كون الحزب الشيوعي الجزائري كان فقط مجرد بوق للحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان يرفض عن قناعة كل عمل من شأنه أن يؤدي إلى انفصال الجزائر عما كان يسمى بالوطن الأم ، لقد كان الشيوعيون الجزائريون على غرار الشيوعيين الفرنسيين يؤمنون بأن موسكو هي الشمس التي تطلع على عالم المستضعفين ، لكنهم عملوا في نفس الوقت على رفض عروبة الجزائر وإسلامها ويهدف برنامجهم السياسي بالدرجة الأولى إلى تحقيق الاندماج كحل جذري لقضية الاستعمار في الجزائر[2].

انخرط الحزب الشيوعي الجزائري في الحياة السياسية في الجزائر بعد فترة قصيرة من تشكيله سنة 1935، ونجحت العناصرالقيادية الجديدة في إضفاء بعض الحيوية على نشاط الحزب وذلك عندما تمكنت من الدفع به إلى المشاركة السياسية والتقرب من بقية الأحزاب والقوى السياسية في الجزائر والتي كانت تمثل مختلف تيارات الحركة الوطنية ، وتمثل أول عامل من العوامل التي أثرت في تعاظم مكانة الحزب الشيوعي في منتصف الثلاثينيات في الفرصة التاريخية التي جعلت منه وسيطا بين تيارات الحركة الوطنية والإدارة الاستعمارية سنة 1936، فبعد سنة واحدة من ظهوره في الجزائر وصلت الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا ، بدعم من تحالف عريض ضم الشيوعيين هذا من جهة ومن جهة اخرى كانت مشاركة الحزب في المؤتمر الإسلامي فرصة كبيرة لبروزالحزب على الساحة السياسية الجزائرية ، واقترابهم بشكل كبير مع باقي التيارات السياسية الى درجة بلغت حد الثناء على رئيس جمعية العلماء الشيخ عبد الحميد بن باديس ، حيث كتب "عمر آوزقان" الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري في مذكراته واصفا الرجل بقوله : " كان ابن باديس مصلحا، ثوريا خالصا وحكيما، لا يطلب من كل مرحلة تاريخية أكثر مما تقدر ان تعطي[3]" ، ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية وتراجع حكم الجبهة الشعبية في فرنسا وفشل مشروع بلوم فيوليت ، وفشل المؤتمر

---

[1] مشروع بلوم فيوليت 1936 : سمي بهذا الاسم نسبة إلى موريس فيوليت(1960/1870) سيناتور ماسوني و عضو ناشط في الحزب الإشتراكي حكم الجزائر بين 1927/1925 وهو صاحب كتاب (هل ستعيش الجزائر؟) .

[2] العربي الزبيري ، Ljƨƻdž ƱƜîDŽ ، ص 223 .

[3] خيثر عبد النور ، úǴƒƨ ƱƜîDŽ ، ص 287 .

الإسلامي وبينما كان موقف الحركة الوطنية الجزائرية من الأطراف المتحاربة واضحا بان صرح عبد الحميد ابن باديس وكتب على أعمدة الصحافة "أن لا ناقة لنا ولا جمل في هذه الحرب ، وعلى الجزائريين أن لا يشاركوا فيها باي طريقة كانت "، ووجه حزب الشعب الجزائري تعليماته إلى المناضلين والإطارات بدعوتهم إلى رفض التجنيد في صفوف حزب الجيش الفرنسي ، والهروب منها فإن الحزب الشيوعي الجزائري ورغم حله قانونيا وعودته الى النشاط باسم جبهة الحرية [1] قد تخلى عن كل القيم النضالية وراح يدعو الى تعبئة جميع الإمكانيات المادية والبشرية من أجل فرنسا التي سقطت تحت ضربات النازية القاضية[2] .

في 12فيفري1943 ظهر بيان الشعب الجزائري على يد الزعيم الجديد لتيار النخبة ، فرحات عباس[3] وسرعان ما وجدت المبادرة التفافا وقبولا واسعا من قادة الجمعية ومن طرف مصالي الحاج وأنصاره الذين كانوا يتحركون في السرية بعد حل حزب الشعب ، لكن حزب الشعب بقي الغائب الوحيد عن المناسبة ، وكذلك غاب الحزب عند تشكيل حركة أحباب البيان والحرية والتي ظهرت في شكل تجمع ضم مختلف تيارات الحركة الوطنية .

مع نهاية الحرب العالمية الثانية عرفت الجزائر أحداثا دامية " مجازر 8 ماي 1945" ، والتي وصفها رئيس جمعية العلماء المسلمين آنذاك الشيخ البشيرالابراهيمي " ýƑĭǓƑG hƲDŽ‡õDŽůă ådžăĀɯůă ý‡õůƑG ăŝîôDŽůăĀ ăĀƟůă ʅ Ĭ " حتى في تلك المحنة لم يقف الحزب الشيوعي الجزائري الى جانب شعبه وظل الوطنيون ينتظرون من الشيوعيين الجزائريين اتخاذ مواقف ملموسة تدعمهم على المستوى العملي في مواجهة الاستعمار ، كما كانوا ينتظرون منهم أيضا تحقيق استقلاليتهم عن الحزب الشيوعي الفرنسي ، لكن كل ذلك لم يحدث بل وصف الحزب مجازر 8 ماي 1945 بأنها نشاط لعناصر فاشية وجاء في جريدة الحزب Liberté في 24 ماي 1945 ، في الرد على الاتهامات التي وجهها الكولون للشيوعيين بالمشاركة في الأحداث كما يلي : " كيف يمكن الظن بأن الشيوعيين يتعاونون مع الوطنيين المزيفين لحزب الشعب ،

---

[1] العربي الزبيري ، ƲɯîDŽ ǘƑƨ ، ص 224 .

[2] العربي الزبيري ، ƲɯîDŽůă Ljƨƻdž ، ص 224 .

[3] فرحات عباس : ولد في الطاهير بولاية جيجل في 24 أوت 1899 وتوفي بالجزائر في 24 ديسمبر 1985. رجل دولة، زعيم وطني و رجل سياسي جزائري مؤسس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، عضو في جبهة التحرير الوطني إبان حرب التحرير الجزائرية، أول رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة للجمهورية الجزائرية من 1958 إلى 1961.

الذين نددنا بهم بأنهم جواسيس للحكومة العامة ، ومجرمين في خدمة الفاشية "؟ وعلى صفحات نفس الجريدة صرح أحد قادة الحزب ليون فيكس قائلا : "يجب معاقبة مديري الاضطرابات بدون رحمة ، إني أفضل الظلم والقمع على الفوضى لقد كان موقف الحزب الشيوعي من مجازر ماي 1945، النقطة الأكثر سوادا في تاريخ مشواره السياسي من 1935 ، وحتى تاريخ قيامه بحل نفسه عام 1956 وانضمامه للثورة[1].

3 - äĦŧӨĀŮç äŮШŧŽĎƑŸĬǖ: ساءت أحوال الجزائريين الاجتماعية بعدما استعملت السلطات الاستعمارية كل الأساليب الدنيئة من أجل الاستحواذ على المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي وجدتها في الجزائر ، وتوجيهها لخدمة المصالح الفرنسية والأوروبية سعيا منهما لتحقيق مشروعها الاستيطاني[2] ، لقد قام الاستعمار الفرنسي بهدم البنية الاجتماعية عن طريق سن القوانين التي تخدمه فقد صادر الأراضي من الجزائريين في الريف ، واستحوذ على الملكية العقارية في المدن ، وعلى التجارة والصناعة وهذا خدمة للمجموعة الأوروبية التي تشكل قسما من المجتمع الجزائري إلى جانب مجموعة الشعب الجزائري التي كانت تحتل المركز الأدنى من السلم الاجتماعي[3] حيث أصبح الجزائري غريبا في وطنه ومجتمعه ، فحوصر في الأحياء الشعبية الضيقة وحرم من الاختلاط والاحتكاك بالمستوطنين ، ووصف أحد الجزائريين تلك الظاهرة العنصرية التي سنها الاستعمار بقوله : " وقلما كان الجزائري أثناء تجواله داخل المدينة يتعدى بخطواته حدا معينا ، وكانت إدارة البريد (ساحة البريد المركزي حاليا) هي الحد بين الحياة الجزائرية والحياة الفرنسية[4] " وأصبح الأهالي يعيشون حالة من الفوضى فلم تعد هناك سلطة تدبر شؤونهم كما كانت في السابق قبل دخول الفرنسيين فإن العائلات ذات النفوذ في الوسط الأهلي هي التي كانت تقوم مقام السلطة الحاكمة التي قل دورها إن لم يختفي كليا[5] ، كما قام الاستعمار بتحطيم أركان المجتمع الجزائري سواء كانت القبلية أو الهيئات القيادية التي تعتمد على الأصل و المال أو الزعامة الدينية وتحول معظم السكان إلى مزارعين عند المعمرين وعمالا في خدمة الرأسمالية الفرنسية والأوروبية ، إذ كتب أحد الاداريين

---

[1] – خيثر عبد النور ، ŽĎĩШՍ ƨƑǴú ، ص ص289 ، 292.

[2] عبد المجيد بن عدة ، ŽĎõƑĵĬî äŮƬŮê äĬĬĩĭǳĬ ĀäŮШŧŽĎƑŸĬ ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 1993 ، ص15 .

[3] رابح تركي ، äǴþ ǴƑĩĭð ĀǳĭɿĐæ äĬӨîĬǜ äŪƬŮӨĭǜ ،(مجلة الأصالة : العدد 24 ، الجزائر) ، 1975.

[4] أحمد مريوش ، äĬôĭå äĬǇǴĬ ĀĭĀĵŪ ƷĬ äĬӨîĬǜ äĬĀôǳĭǜ äĬШäəîĭǜ ، ط 1 ، (الجزائر: دار هومة) ، 2007 ، ص113 .

[5] شارل أندري جوليان ، âƷĭĭšĭƑ äĬɿŽĎƑĬĭǜ ŧƨĬĭî ، مرجع سابق ، ص 44.

الفرنسيين : " لقد حطمنا بعض القبائل القوية التي كانت لها مكانة في البلاد عن طريق القوات العسكرية ، وبعض الأهالي صودرت ممتلكاتهم كما عملنا على تكسير شوكة بعض العائلات ذات السمعة والشهرة"[1] وهو ما ذهب إليه مالك بن نبي حينما ذكر ما وصلت إليه بعض العائلات المشهورة في قسنطينة فقال : " ýǁ ĂšǴĭ ìĀƜĀ ŷƿǂƑƴǁ ñƑǴ Ăïîŧ Û ƑDžà ŷƿǂƑƳ ƞǁƑƬ ĂƑǴ ƑǋďƺƷ Ǐƺ êĀïď Ăǁâ ðďĀŧ Û ƑDžāĀ ÞƑĬďƷà þǴä þĀǏƶǁä ýƿƺ ĂšǴĭ ýǋďĎž ƨĀā ƺƿƺ ƬƐĭâ"[2]. كما أن سياسة القهر الاجتماعي التي تعرض الجزائريون زادت من سوء أوضاعهم الاجتماعية كانتشار البطالة وارتفاع نسبة الإجرام ، وتفشي الآفات الاجتماعية ، وغلاء المعيشة ، وكانت نتيجة هذا التدهور، والتغير الناتج عن القه الاجتماعي أن أصيب المجتمع بالركود والخمول ، وتدهورت حالة السكان وانتشر في أوساطهم الفقروالجهل ، وأصبحت مئات الآلاف من العائلات ترتزق من أراض غير خصبة ، و تعيش في حالات مأساوية و إن كانت هناك أراضي جد خصبة ، فإن شدة التركز السكاني فيها خاصة العاصمة لا يكفي لسد حاجيات كل السكان من الإنتاج ، الأمر الذي جعل المجاعة تفتك بالمعوزين غير القادرين على توفير قوت يومهم[3]، في هذت الصدد يقول فرحات عباس : " ستة ملايين[4] ، من السكان لم يبقى في أيديهم سوى أراضي جرداء قاحلة ، بلغ الثلثان من هؤلاء السكان من الجوع والبؤس والفاقة مبلغها ، جردت القبائل الغنية والقوية من خيراتها ، لأن أراضيهم وممتلكاتهم أصبحت تهم نهبة الناهب ، ولم يبقى في وسع العربي الذي أصبح غريبا في أرض الأجداد إلا أن يكون خادما للمعمر"[5]. كما أدى الوضع الصعب للسكان لانتشار عديد الآفات الاجتماعية والانحلال الأخلاقي في أوساط المجتمع الجزائري ، حتى أصبح المار في شوارع العاصمة لا يسمع إلا ما يسوءه من البغايا وهن متبرجات ، ووصفت جريدة "النجاح " تلك الظاهرة المخلة بالحياء ، بعد أن وظف الاستعمار المرأة والجنس لتحطيم مقومات الأمة الجزائرية المسلمة بقولها :" بغيات يتخطفن الشباب ويلبسن عقولهم ويأكلن أموالهم ولا مجير لهم ولا ناصر لهم ، لأن المرأة حرة في نفسها تفعل ببيتها ما تشاء". وكتبت جريدة " لسان

---

[1] عباس فرحات، ǖĭǁ ǗǙƨŧƴǋDžƑî، مرجع سابق، ص 32.

[2] مالك بن نبي، ƶǍíǁîâç ǃƑǉǁì äǁšîþ، مرجع سابق، ص 10.

[3] شارل روبير أجيرون ، ǅǋƑǙǁƿ ƨƑǴú ، ص 101.

[4] التقديرات حسب أغلب المؤرخين حول عدد السكان في هذه الفترة تشير إلى عدد بين ثلاثة إلى خمسة ملايين نسمة لكن حمدان خوجة يذكر رقم عشرة ملايين .

[5] عباس فرحات، ǅǋƑǙǁƿ ƨƑǴú، ص 112.

الدين " في وصف الظاهرة اللّاأخلاقية تقول " أما الدعارة فقد نشرتها فرنسا كالوباء في كل حي ، دون مراعاة لحرمة الأوساط العائلية الشريفة ، ولا حتى احترام قدسية الأماكن الطاهرة ، حتى بات جامع سيدي رمضان[1] تحيط به بيوت الدعارة إحاطة السوار بالمعصم"[2].

ورغم هذه الوضعية المزرية فقد شهدت بداية القرن العشرين زيادة سكانية حيرت السلطة الفرنسية ، فقد كان عدد السكان في سنة 1911 حوالي أربعة ملايين وتسعمائة ألف نسمة ، ليرتفع في سنة 1921 إلى أربع ملايين وتسعمائة و ثمانين ألف نسمة ، ومعروف أن الجزائريين شاركوا في الحرب العالمية الأولى وسقط عدد كبيرمن الضحايا [3].

كما لعبت الظروف الاجتماعية السيئة دورها في عملية الهجرة سواء الداخلية من الأرياف نحو المدن أو الخارجية اتجاه البلدان العربية والإسلامية وحتى البلاد الأوروبية ، فحركة الهجرة نحو فرنسا في بداية القرن العشرين بدأت تتضح أكثر ، فإحصائيات عام 1912 ، تشير إلى أربعة آلاف إلى خمسة آلاف جزائري موجودين بفرنسا منهم 2000 في مرسيليا ، حيث كانوا يشتغلون في الموانئ والعربات العمومية و ورشات البناء [4] ، وهناك عدد متماثل في "باريس" يعملون في مؤسسات مختلفة مثل شركة العربات العمومية (المترو) ، والملاحظ أن هذا التوجه الكبير نحو فرنسا كان بسبب الحرب العالمية الأولى ، حيث دخل فرنسا ما لا يقل عن 62521 جزائري بين 1914 و 1917 ، وتلك الحرب الكونية التي أعادت للجزائري شعوره بأنه لا يختلف عن الآخرين ، بل يستطيع أن يتفوق عليهم أحيانا ، وأن الاحتلال فرض عليه بالقوة وليس قدرا محتوما كما أشاع بعض شيوخ الزوايا والمشعوذين ، وأن مركب النقص الذي كان يشعر به هذا الجندي المسرح ما هو إلا نتيجة لسياسة التجهيل التي فرضت عليه ، وفقره المدقع نتيجة لنهب ثرواته وطرده إلى المناطق الفقيرة ، فبدون شك لقد شاهد ذلك الجندي بأم عينه خوف الجندي الفرنسي من الموت ، ونقص

---

[1] – جامع سيدي رمضان : يقع في الحي العتيق بالقصبة في العاصمة الجزائر شيد في القرن الحادي عشر ، إعيد ترميمه في سنة 2010 وهو اليوم يتسع لحوالي ألف مصلي .

[2] عبد المجيد بن عدة، úǴƒƨ ǓǕǙǛ، ص17.

[3] علي الشنوفي ، ĂŢƽǓä åîƩǕǁĀ ð ďĀƚĀ îƏǟǕǁä Ǐʒ îǏîƟǁä çƑǀîƟ ýƏƑYì ýǀǰà þǕ ƕǕǓƑYì îǀƑďǕǁä îǏîƩƚĀ îƏƑƔǁä õƶƟ ، مجلة الثقافة : العدد 79 ، الجزائر ، جانفي – فيفري 1984 ، ص 13

[4] الجيلالي صاري ، محفوظ قداش ، ƕǕǓƑƽǕǁä ƕǏƨƑîƨǁä Û ý1954 ı 1900 Û úǏîôǁä úǏîôǁĀ ǏƟúŢǓä ĂîĀǁä Û ƕǕǓǕîƚ ، (الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1987) ، ص220.

الشجاعة لديه وهذا ما جعل هؤلاء الشبان يتخلصون من مركب النقص تجاه الآخر ويعيد له شعور الاعتزاز والافتخار بالنفس ، لقد حاول الممثلون الإسلاميون منذ 1932 على الاهتمام بالوضعية السيئة التي يعيشها الفلاحون ، وذلك بالبحث عن حل يمكّنهم من مساعدات مالية كي يواجهوا المجاعة ، وحتى الصحافة تدخلت ونددت بهذه الوضعية الخاصة أنهم كانوا يتوافدون بكثرة على المدن فقد انتشر الفقر بسرعة ، فقدمت السلطات مساعدات تجاوزت 15 مليون فرنك ، لكن هذه الأزمة استغلت من طرف المعمرين ، وسيطروا على هذه المساعدات المالية ، فقسمت بينهم وبين بعض القياد آنذاك .

أما عن الوضع الصحي في البلاد آنذاك فتشير جريدة النجاح إلى الوضعية الصحية الجيدة ، ومدى الاهتمام الموجود فكتبت "ينقسم الوطن في الوقت الحاضر إلى 267 قسما صحيا ، وعلى رأس كل قسم من الأقسام الكبيرة 194 طبيب يؤيده 939 معينا فنيا ، و8 مساعدين صحيين مجانا ثم القوابل و الإسعاف المدرسي والاجتماعي ، باختصار العناية بالصحة في قطرنا الجزائري بلغت في الوقت الحاضر مبلغا يبعث على الإعجاب والتقدير في نفوس أهل البلدان الأوروبية والأمريكية الراقية " ؟.

لكن رغم أن هناك أقسام صحية وصحيين لكن الأكيد أن استفادة الجزائريين منها جد ضعيفة ، حيث أنه لا يعقل أن يعتني بك من جاء يستغلك ، وإن توفرت هذه العناية فالهدف منها هو الحفاظ على اليد العاملة التي إذا ما تعرضت للأمراض الفتاكة فتكون خسارة للمعمرين والفرنسيين على حد سواء ، حيث يشير " فيوليت" 1870-1960 في كتابه "هل تحيا الجزائر؟" إلى إحصائيات استخرجها من التقارير العسكرية ، تبين سوء الحالة الصحية ، ففي مدينة الجزائر عام 1927 من بين 18607 شاب لبى دعوة السلطة العسكرية حيث تبين أن 8268 منهم لا يصلحون للخدمة العسكرية لأن حالتهم الصحية تمنعهم من ذلك ، ونفس الشيء بوهران ففي عام 1923 من بين 14642 تبين أن 5464 لا يصلحون للخدمة العسكرية ومصابون بمختلف الأمراض مثل : السل ، وأمراض العيون ، أو خلل خلقي في الجسم ، والحق أن المستفيد الأكبر من الأقسام الصحية والإعانات هم السكان الأوروبيون حيث أن عددهم ارتفع من 833 ألف في عام 1926 إلى 984 ألف في عام 1954 بمعدل زيادة تقدر بـ : 1%.[1]

[1] أسعد الهلالي ، [illegible] (1902-1993)، رسالة ماجستير ،جامعة قسنطينة، 2006، ص 39.

كانت الجزائر في نظر السلطات الاستعمارية قسمان ، قسم الأوروبيين ويعتبرون رغم اختلاف أجناسهم فرنسيين لهم وعليهم ما للمواطن في فرنسا ، أما القسم الثاني فهم أبناء الوطن الذين تسميهم الإدارة الاستعمارية بأسماء متعددة ، فهم أحيانا الأهالي الذين يحكمهم قانون تعسفي يسمى "قانون الأهالي[1]" الذي يكاد يحرمهم من حق التنفس ، وهم العرب في نظر الكولون ، والمسلمون في نظر المؤرخين أمثال روبرت آجرون كما تنقسم هذه الفئة الأخيرة إلى مجموعتين ، الأولى تتشكل من العائلات المقربة للسلطات والثانية فهي التي تتشكل من باقي السكان الذين كانوا يعيشون أوضاعا متقاربة جدا ، ويتعرضون لنفس أنواع الاستغلال والاضطهاد و التعسف.

وعندما نريد تقييم الإنسان الجزائري ، تقييما مطلقا ، فإننا نجد أن وضعيته عشية اندلاع الثورة كانت مزرية ، فالإدارة الاستعمارية لا توليه أي اهتمام إلا عندما يتعلق الأمر بفرض مختلف أنواع الضرائب عليه [2] .

كما أنه لا يمكن لأي باحث أن يلم بجوانب الموضوع دون التعرض لعنصر مهم في الجانب الاجتماعي الذي يتمثل في المرأة ، فمعاناتها كانت شبيهة بمعاناة الرجل ، وتخضع لظروف قاسية ، فالمرأة كانت تعاني من الجهل وفي هذا الصدد يقول توفيق المدني : " إن المرأة الجزائرية رغم جهلها العظيم تمتاز بأخلاق كريمة ، وسجايا طيبة ، فهي محافظة أتم المحافظة على التقاليد القديمة والعادات التي ورثتها على الأسلاف ، فهي مسلمة متينة الإيمان، ثم هي زوجة أمينة صبورة وفية ، تشاطر زوجها آلام الحياة دون جزع ، أما نساء الطبقات الراقية في المدن الكبرى فهي أقلية صغيرة جدا ، وقد اشتهرت بشدة التمسك بالتقاليد القديمة ، وقد تلقى الكثير منهن مبادئ العلوم الحديثة بالمدارس الفرنسية" .

رغم الصفات التي كانت تتحلى بها المرأة من حياء وأخلاق عالية فقد كانت محرومة من التعليم [3]وتلك هي المصيبة الكبرى حسب الشيخ الإبراهيمي الذي يذكر في هذا الصدد " كانت المرأة المسلمة في الجزائر إلى عهد قريب ، لا يتجاوز أربعين سنة ، محرومة من كل ما يسمى تعليما إلا شيئا من القرآن يؤدي إلى معرفة

---

[1] قانون الأهالي وبموجبه اكتسبت السلطة الإدارية اختصاصات و صلاحيات السلطة القضائية و سقطت بذلك حرية الأفراد بحجة الحفاظ على الأمن.

[2] العربي الزبيري ، ÎƬƑƴǅǁä ÎƏäǕǁä ƠǏÎƑƗ ، ج1 ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1999 ، ص 24.

[3] أسعد الهلالي ، úǤƑƨ ƯɯîǅŽ ، ص 40.

القراءة والكتابة المبسطة ، وهذا النوع على تفاهته خاص ببعض بيوت العلم فقط ، ولا يجاوزون بالبنت فيه الثانية عشرة من عمرها ، هذه هي الحالة السائدة في الجزائر منذ قرون ، وتشاركها فيها جميع الأقطار الإسلامية على تفاوت بسيط بينها ، والسبب في هذه الحالة نزعة قديمة خاطئة راجت بين المسلمين وهي أن تعليم البنت مفسدة لها ، هذه هي علة العلل ، فالحالة أفضت المرأة المسلمة إلى هذه الدرجة التي مازالت عقابيلها سارية في المجتمع الإسلامي ومازالا لطخة عار فيه ، وأن المرأة إذا تعطلت عطلت الرجل ، وإذا تأخرت أخرته ، ولا سبب لانحطاط المرأة عندنا إلا بهذا الضلال ، الذي شوه الدين ، وقضى على المرأة بالخمول فقضت على الرجل بالفشل ، وكانت نكبة على المسلمين.[1]

إن هذا التجهيل المخطط له في الواقع قد أدى إلى خلق مجتمع ساذج في أغلبيته ، له نحو المستعمر شعور مزدوج بالإعجاب والكراهية ، أما الاعجاب ففيما توصل إليه الأجنبي من معرفة ، وما حققه من تقدم وازدهار ، وما جاز عليه من ثروة ورفاهية ، وسيطرة على التقنيات الحديثة ، أما الكراهية فناتجة عن الاحساس بكون ذلك الأجنبي ، يمتص خيرات البلاد وينهب أهلها دون أن يجد من يقف له بالمرصاد.[2]

وبإيجاز فإنك عندما تطل على الجزائر في تلك الفترة ستجد الطليعة فيها مشمرة على سواعدها قصد التصدي للفتور الذي أصاب الأمة ، ونفض الغبار الذي حجب الرؤية والعمل من أجل إزالة التشويه ومحاربة التزييف والانحراف وسائر الأمراض التي نفثها المستعمر داخل فئات المجتمع وبفضل تلك المجهودات ، صار الأطفال الجزائريون يستنكرون أن يكون أجدادهم الغال ويفتخرون بانتسابهم للعروبة والإسلام وصار الأهالي في معظمهم يدركون التمايز بينهم وبين المعمرين وأبناء ما يسمى الوطن الأم.[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي، المرأة المسلمة في الجزائر
www.binbadis.net/benbadis/advocates-of.el./158-ELiBragimi.html,/10/12/2012 – 12:26

[2] العربي الزبيري ، ÚÙFƨ ÙÙÎÐŽ ، ص 26.

[3] العربي الزبيري ، ǈƨƵƻ ÙÙÎÐŽ ، ص 27.

الفصل الثاني: فكرة التاريخ عند مالك بن نبي

المبحث الأول: مفهوم التاريخ في فكر مالك بن نبي

1- مالك بن نبي و التاريخ

2- تفسير مالك بن نبي لحركة التاريخ

3- نظرته للمصادر التاريخية

المبحث الثاني: محطات تاريخية في فكر مالك بن نبي

1 - مالك بن نبي و الاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية

2- مالك بن نبي و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

3- مالك بن نبي و الثورة

المبحث الأول : مفهوم التاريخ في فكر مالك بن نبي :

التاريخ من أهم القضايا التي شغلت كثيرا من المفكرين المسلمين في العصر الحديث فقد نشر سيد قطب " في التأريخ فكرة و منهاج " و ألف علي شريعتي " التاريخ و القدر" و كتب محمد باقر الصدر " السنن التاريخية في القرآن الكريم" ، و أصدر أنور الجندي " الإسلام و حركة التاريخ " ، أما المفكر مالك بن نبي فانه لم يترك كتابا مستقلا في هذا الحقل المعرفي و لكنه خصص فصولا كاملة في عديد من كتبه مثل كتابه " شروط النهضة " حيث خصص فصلا كاملا" الحاضر و التاريخ" و كذلك فصلين في كتابه ميلاد مجتمع" الآراء المختلفة في تفسير الحركة التاريخية ، التاريخ و العلاقات الاجتماعية " و ثلاثة فصول في كتاب الظاهرة القرآنية " الوحدة التاريخية ، أصول الإسلام بحث في المصادر ، تاريخ الوحدانية " [1].

تعريف التاريخ : يدل لفظ التاريخ على معان متفاوتة في لغة القران الكريم أي لغتنا العربية تأتي كلمة التاريخ و التأريخ و التواريخ بمعنى الإعلام بالوقت ، و تاريخ شيء من الأشياء قد يدل على وقته الذي ينتهي إليه مضافا إليه ما وقع خلال هذا الوقت من حوادث و وقائع .

ويقول شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي (831-902 هـ) [2] التاريخ في اللغة الإعلام بالوقت ، يقال : ارخت الكتاب و رخيته ،أي بينت وقت كتابته .

والتاريخ جمعه تواريخ بمعنى: تعريف الوقت، يقال تاريخ الشيء، أي وقت حدوثه، و علم التاريخ هو علم يتضمن ذكر الوقائع و أسبابها و أوقاتها [3] .

و في الاصطلاح : التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة و الأئمة و وفاة و صحة و عقل ، وبدن و رحلة وحج و حفظ و ضبط و توثيق و تجريح ، و ما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في

---

[1] مولود عويمر ، مرجع سابق ، ص77

[2] السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان (831.902 هـ) ،ولد بالقاهرة و درس و تنقل بين مصر و الشام و الحجاز حتى صار من علماء التاريخ و الحديث ومن أهم كتبه الضوء اللامع لأهل القرن التاسع و التبرد و المسبوك في ذيل السلوك

[3] **المنجد الإعدادي**، (لبنان: معاجم دار الشرق 1977)، ط2، ص115

ابتدائهم وحالهم واستقبالهم و يلتحق به ما يتفق من الحوادث و الوقائع الجليلة من ضهور ملمة و تجديد فرض و خليفة ووزير و غزوة و ملحمة ، و حرب و فتح بلد ، و ربما يتوسع فيه لبدء الخلق و قصص الأنبياء ، وغير ذلك من أمور الأمم السابقة و أحوال القيامة و مقدماتها و مما سيأتي ، أو دونها كبناء جامع أو مدرسة أو قنطرة أو رصيف أو نحوها مما يتم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد ، أو خفي سماوي كجراد و كسوف و خسوف ، أو ارضي كزلزال و سيل و طوفان و حريق و طاعون و غيرها من الآيات العظام و العجائب الحسام.

إن علم التاريخ هو أقدم إنسانية و تنطوي كلمة تاريخ لدى أغلب الشعوب على معنيين اثنين فهي تعني ما وقع للإنسان في الماضي و تعني كذلك ما دونه الإنسان على ذلك الماضي [1] .

فالتاريخ هو إذن معرفة لمادة معينة لكنه أيضا يعتبر مادة لتلك المعرفة على أن لا يفهم من ذلك و جود تطابق بين الماضي و معرفة الإنسان لذلك الماضي ، فالتطابق رهين بما يتوفر للمؤرخ من وثائق و شواهد عن ذلك الماضي ، ومقدرة على الإلمام بذلك الماضي و سبر أغواره ، على أن التطابق التام صعب جدا إن لم نقل مستحيلا [2] .

ويقو الجوهري : التاريخ تعريف الوقت و التوريخ مثله ، يقال : أرخت و ورخت ، وقيل اشتقاقه من الأرخ ،يعني بفتح الهمزة ، و كسرها ، وهو الأنثى من بقر الوحش لأنه شيء حدث لما يحدث الولد ، هذا و قد فرق عبد الملك الباهلي الأصمعي (640- 731 هـ) بين اللغتين فقال ، بنو تميم يقولون : ورخت الكتاب توريخا ، وتقول قيس : أرخته تأريخا ، وهذا يؤيد كون اللفظ عربيا ، وقيل أنه ليس بعربي محض بل هو معرب مأخوذ من" ماه روز" بالفارسية و معنى ماه " القمر " و " روز" اليوم " و كان الليل و النهار طرفة قال منصور الجواليقي (1063-1144 هـ) في كتابه " المعرب من الكلام الأعجمي " يقال : أن التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي أنما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب ، وتاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجرة ، كتب في خلافة عمر رضي الله عنه ، فصار تاريخا إلى اليوم.

---

[1] محمد بيومي مهران ، **التاريخ و التأريخ**،(الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية2005)، ص ص3، 4

[2] الهادي التيمومي ، **مفهوم التاريخ و تاريخ المفهوم** ، (الجمهورية التونسية : دار محمد علي للنشر، 2003)،ص 11

و على أية حال فقد أكد " جب" H–Gibb : أن لفظ تاريخ أنما هو لفظ عربي بمعنى العد و الحساب أو التوقيت ، أي تحديد الوقت و تحديد الشهر[1].

إن هذا المعنى المزدوج لكلمة " تاريخ" موجود في كل اللغات تقريبا ولعل ذلك ناشئ عن شعور دفين لدى الإنسان بالارتباط الوثيق بين معرفة الماضي و الماضي ذاته و الاستثناء الوحيد تقريبا يخص اللغة الألمانية التي تتضمن تمييزا واضحا بين :historie و Geschehn[2] ، ويقتصر أغلب المؤرخين على ان التاريخ نحت و استقصاء حوادث الماضي ، كما يدل على ذلك لفظ historia المستمد من الأصل اليوناني القديم ، أي كلما يتعلق بالإنسان منذ بدأ يترك أثاره على الصخر و الأرض بتسجيل أو وصف أخبار الحوادث التي ألمت بالشعوب و الأفراد و قد تدل كلمة تاريخ على مطلق مجرى الحوادث الفعلي الذي يصنعه الأبطال و الشعوب و التي وقعت منذ أقدم العصور و استمرت و تطورت في الزمان و المكان حتى الوقت الحاضر[3] .

فالتاريخ إذن هو المصدر الإحساسي للمعرفة الإنسانية وهو ذلك السفر الخالد الذي يحوي بين دفتيه التطورات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية التي مرت بها البشرية منذ قدر الله للإنسان أن يبدأ حياته على الأرض وحتى يغير الله الأرض غير الأرض [4] .

1 – مالك بن نبي و التاريخ :

يعرف مالك بن نبي التاريخ بـ" **النشاط المشترك بين عالم الأشياء و الأشخاص و الأفكار أو بمعنى آخر التاريخ نفسه ليس إلا قائمة إحصائية لعدد معين من الحركات و الأفكار ، ويشكل له حقل دراسة و ثروة من التجارب البشرية التي يتأملها في مختلف أطوارها في نجاحها و في إخفاقها** " [5] أي أنه على ما ذهب إليه

[1] محمد بيومي مهران، **مرجع سابق**، ص 4

[2] الهادي التيمومي ، **مرجع سابق**، ص12

[3] حسن عثمان، **منهج البحث التاريخي**، ط 8، (القاهرة: دار المعارف، 2000)، ص12

[4] محمد بيومي مهران، **مرجع سابق**، ص 6

[5] مولود عويمر ، **مرجع سابق** ، ص ص 77– 78

علماء الاجتماع :النشاط المشترك المستمر الذي تقوم به الكائنات و الأفكار و الأشياء مطبوعا على صفحة الزمان .

وبتعبير أدق فإنا نقول :" إن صناعة التاريخ تتم تبعا بتأثير طوائف اجتماعية ثلاثة : تأثير عالم الأشخاص و تأثير عالم الأفكار وتأثير عالم الأشياء[1] .

أ/ **عـالم الأشيـــاء** : إن عالم الأشياء لهو كما جاء في تعريف مالك بن نبي" فهو كل ما يحيط بالإنسان من عوامل مادية و ثقافية " ، و عالم الأشياء في نضره هو عامل مهم في قيام عالمي الأشخاص و الأفكار بدورهما المنوط بهما في صناعة التاريخ ، فعالم الأشياء هو أول ما يلفت نظر الطفل منذ الولادة فالثدي بالنسبة له ليس أكثر من " شيء " قد تقوم الرضاعة مقامه و ينقسم عالم الأشياء حسب مالك بن نبي إلى قسمين :

- **عالم الأشياء الثقافي** : وهو ما يسميه بمرض" الشيئية" و علاقته سلبية بالتاريخ لأنه يعد من أخطر الأمراض التي حذر منها مالك بن نبي [2] و هو نفسه المرض الذي تسبب في الوضع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم ، فلقد أدى الإعجاب بالحضارة الغربية إلى انبهار بعالم أشيائها و محاولة استيراد تلك الأشياء للنهوض و التطور و إعادة بناء الحضارة الإسلامية و ذلك حسب رأي مالك بن نبي هي خرافة السجين الذي يطلب من سجانه مفاتيح السجن [3] و قد ترتب على هذا الواقع النتيجة التي نشاهدها : حيث اقتحم الزي الأوروبي و البوق و الصنبور و الهاتف و السيارة ، شتى البلدان الإسلامية بصورة مفاجئة منذ خمسين عاما ، ولكن مشاكل التخلف ظلت راسخة القدم داخل تلك البلدان ، فقد أردنا بدل الاضطلاع بتشييد حضارة ،أن نقوم بتكديس نتائجها ، وللأسف فان روح التكديس و الشيئية التي يجب التخلص منها ، ما انفكت مستمرة البقاء و هي قد تتبدى أحيانا تحت مظهر مشتط في الهزل ، وذلك عندما نلاحظ إذ نعبر أرجاء العالم الإسلامي أربعة أجهزة

[1] مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر 1985) ، ص 23.

[2] الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، معهد الفلسفة (1988-1989)، ص 102

[3] الجزيرة الوثائقية، **مالك بن نبي المجهول في قومه**، مرجع سابق

للتكييف الهوائي في مقصورة أحد رؤساء المصالح أو خمسة أجهزة هاتفية على مكتبه [1]، يصف مالك بن نبي حالة العالم الإسلامي الذي أقعده مرض الشيئية فيقول : " لقد ضل العالم الإسلامي خارج التاريخ دهرا طويلا كان لم يكن له هدف، استسلم المريض للمرض ، وفقد شعوره بالألم حتى كأنه أصبح يؤلف جزءا من كيانه " ، إلى أن سمع هذا المريض بمن يذكره بمرضه و يحدثه عن العناية الإلاهية التي استقرت على وسادته ، فلم يلبث أن أفاق من سباته العميق لكن مازال لديه الشعور بالألم ، إنها بداية حقبة تاريخية جديدة يطلق عليها النهضة أو الصحوة [2]، و لكن ما هو مدلول هذه الصحوة عند مالك بن نبي ؟ يرى مالك أنه عندما نطلع على هذه الحقبة " مرحلة النهضة أو الصحوة " و نفحص سجلاتها نجد فيها الكثير من الوثائق و الدراسات و المقالات و المؤتمرات التي تتصل بموضوع النهضة هذه الدراسات تعالج الاستعمار و الجهل هنا ، و الفقر و البؤس هناك ، وانعدام التنظيم واختلال الاقتصاد أو السياسة في مناسبة اخرى ، ولكن ليس فيها تحليل منهجي للمرض ، أعني دراسة مرضية للمجتمع الإسلامي ، بحيث لا تدع مجالا للضن حول المرض الذي يتألم منه منذ قرون ، ففي الوثائق نجد ان كل مصلح قد وصف الوضع الراهن تبعا لرأيه أو مزاجه أو مهنته ، فرأى رجل سياسي كجمال الدين الأفغاني أن المشكلة سياسية تحل بوسائل سياسية ، بينما قد رأى رجل دين كالشيخ محمد عبده أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة و الوعظ ، على حين أن كل هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقة المرض بل يتناول اعراضه ، وقد نتج عن هذا أنهم لا يعالجون المرض بل يعالجون الاعراض ، و المريض يريد أن يبرأ من مرضه ، لكنه لا يعرف حقيقة مرضه و لم يحاول ان يعرف ، بل كل ما في الأمر أنه شعر بالألم فاشتد في الجري نحو الصيدلي ، أي صيدلي يأخذ من آلاف الزجاجات ليعالج آلاف الآلام هذا شأن العالم الإسلامي، إنه دخل صيدلية الحضارة الغربية طالبا الشفاء ، و لكن من أي مرض ؟ و بأي دواء ؟ فالعالم الإسلامي يتعاطى هنا حبة

[1] مالك بن نبي ، **القضايا الكبرى** ، ترجمة: عبد الصبور شاهين ، ط1،(دمشق: دار الفكر 1991)، ص ص50-51 .

[2] النهضة : مصطلح تاريخي يعود إلى حركة عمت البلاد العربية بين سنة 1820 و1914 ، وحسب تعريف الحركة هي تنبيه العرب إلى ماضيهم، وإدراكهم واقعهم المتخلف، وسعيهم لإحياء الماضي بما فيه من أصالة وتراث عربي إسلامي، والعمل على تجاوز التخلف ، وينظر إلى بداية النهضة بعدما حدثت الصدمة الثقافية التي نجمت عن غزو نابليون لمصر عام 1798، وحملة الإصلاحيين من الحكام اللاحقين مثل محمد علي.

ضد الجهل و يأخذ هناك قرصا ضد الاستعمار و في مكان قصي يتناول عقارا كي يشفى من الفقر ، و لكننا حين نبحث حالته عن كثب لن نلمح شبه البرء ، أي أننا لن نجد حضارة ، ومن اجل هذا يجب ان نعرف ان المقياس العام لعملية الحضارة ليلقي لنا ضوءا كاشفا على السلبية النسبية و انعدام الفاعلية في جهود المجتمع الإسلامي ، إن المقياس العام في عملية الحضارة هو أن " الحضارة هي التي تلد منتجاتها و سيكون من السخف و السخرية حتما أن نعكس هذه القاعدة ، حين نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها ، و من البين أن العالم الإسلامي يعمل منذ النصف قرن على جمع أكوام من منتجات الحضارة ، أكثر من أن يهدف الى بناء الحضارة.

و لكن ذلك لا يجب أن يقودنا إلى أن نضع ستارا حديديا بين الحضارة التي يريد تحقيقها العالم الإسلامي و الحضارة الحديثة " الغربية " لأنه خطأ قاتل حسبه لأن إمتداد الحضارة الغربية اليوم هو قانون تاريخي لعصرنا ويضرب مثالا على ذلك بقوله " في الحجرة التي اكتب فيها الآن كل شيء غربي ماعدا القلة التي هي امامي " ، و لكن هذا يجسم المشكلة بأكملها ، فليس من الواجب لكي ننشئ حضارة ان نشتري كل منتجاتها ، فالأمر مستحيل كما و كيفا ، فمن ناحية الكيف لا يمكن لأي حضارة ان تبيعنا كل شيء جملة واحدة و خاصة روحها و أفكارها و ثرواتها الذاتية و أذواقها هذا الحشد من الأفكار و المعاني و التي لا تلمسها الأنامل ، ولكن بدونها تصبح كل الأشياء التي تبيعنا إياها فارغة دون روح و بغير هدف .

ومن ناحية الكم لا يمكننا أن نتخيل العدد الهائل من الأشياء التي نشتريها فقد لا نجد راس المال الكافي الذي ندفعه ثمنا لها ، و حتى إن وجد فقد ننتج حضارة " اشياء " أو نقوم بعملية تكديس للأشياء الحضارية و الفرق بين التكديس و البناء واضح [1]

[1] مالك بن نبي ،**شروط النهضة** ، ترجمة: عبد الصبور شاهين ، ط3،(دمشق : دار الفكر، 1986)، ص ص 40-44

إن الإبداع ليس في استعارة جلد الغير و لبسه و لا في لي اللسان تعويجه برطانة الأعاجم بل في بناء مؤسسات محلية صلبة نابعة من ثقافة البلد و متصلة بحضارته ، ومع مرور الوقت تكتسب الصبغة التاريخية و القيمة كمعلم حضاري عريق ، أما الشراء أو التسوق ، فهما يدلان على العجر لا غير [1].

أما القسم الثاني من عالم الأشياء و الذي يسميه مالك بن نبي :

-**عالم الأشياء المادي**: وهو ما يشكل العالم الاقتصادي لحياة الفرد و الجماعة ،إن عالم الأشياء لا يقوم وحده ، بل يقوم على العوالم الأخرى،والتي تتحكم فيها جميع القوة الروحية أو ما يمكننا أن نسميه القيمة الخلقية (الأخلاقية) .

2/ عالم الأشخاص : إن لكلمة شخص معنى خاص و مضبوط في فكر مالك بن نبي فهي تعني ذلك الكائن المعقد الذي ينتج الحضارة ، إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار واشياء [2] وهو بذلك يبدي فرقا هائلا بين كلمة فرد و كلمة شخص ، إذ ان الكلمة الأولى لا تدل سوى على النوع كما عرفته الحياة البيولوجية ، ونعني بهذا ان الفرد هو مجموع الصفات الجسمانية التي تميز النوع عن غيره من الانواع ، في حين ان كلمة شخص كما مدت معناها اولا و قبل كل شيء ، تغيير في المجال الثقافي ذاك المجال الذي يدين له الفرد حتى يصبح شخصا ، بمعنى ان الفرد متى اصبحت له شبكة علاقات اجتماعية تغير و اصبح شخصا .

بعبارة أخرى يعني مالك بعالم الأشخاص العالم الذي تغيرت فيه الأفراد بسبب شروط ثقافية إلى ان كونت عالما خاصا بها ، و الذي هو في الحقيقة ايجاد مناخ ثقافي خاص بالعلاقات الاجتماعية يسميه عالم الأشخاص [3].

---

[1] أحمد فال ولد الدين ، **شراء الحضارة و التاريخ** ، http://www.fikr.com/?Prog=article&Page=article_auth&AuArtID=101 ، 2013/05/05/18:58

[2] مالك بن نبي ،**ميلاد مجتمع** ، مرجع سابق ، ص 26

[3] الأخضر شريط ، **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي** ، رسالة لنيل شهاد الماجستير ، معهد الفلسفة ، جامعة الجزائر(1988-1989) ، ص 69

و حتى يكتمل دور الإنسان ولا يبقى مجرد فرد بل يتحول إلى شخص ، هناك عمل آخر ينتظره ، هذا العمل هو القيام بعملية تغيير و شحذ الملكات الفطرية فيه كي يوجهها نحو اهداف نبيلة و نحو غايات ترضي الإنسان في جانبه القيمي الأخلاقي خاصة ، إن هذا العمل هو ما يقوم به الفرد من عملية تغيير نفسي تتماشى و الوجهة التي تحددها له الشرائع و الإيديولوجيا ، و الإنسان بهذا الحال يمكن ان يتغير من فرد إلى شخص عندما يغير اولا الجانب الذاتي فيه من حالة الطين إلى حالة العقل حين إذ يمكنه ان يغير الواقع المحيط به ، لكن عملية التغيير هذه لا تتم إلا وفق شرطين مهمين هما : **أولا** – ان يقتنع الإنسان بالفكرة الموجهة لمنهاجه في الحياة ، و **ثانيا** : ان يقنع الآخرين بهذه الفكرة .

و إذا طبق الإنسان الشرطين يمكنه أن يكون مساهما في صناعة التاريخ و الارتقاء في سلم الحضارة ، ولا يوجد في راي مالك بن نبي اهم من العمل الذي يتسنى للإنسان ان يقوم به من تمتين الأواصر و الروابط مع غيره من الأفراد وهو يذكر في هذا السياق :" **إن العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده هو إقامة شبكة العلاقات الاجتماعية**"[1] ، وذلك مهم حتى يتمكن الأفراد من ربط علاقات بين بعضهم البعض ، و حتى تكون بينهم صلات و روابط اخلاقية موحدة ، وإلا فماذا يعني تجمع افراد بعضهم إلى بعض ، طبعا ليس له اي معنى إذا لم تحدد هذه الروابط بشروط اخلاقية تجمع بين الأشخاص ، و في التعبير القرآني دلالة واضحة على ذلك في قوله تعالى : " **سيهزم الجمع و يولون الدبر** " (القمر – الآية 45) ، فكلمة الجمع هنا تعبير صادق على انها مجرد إضافات فردية لبعضها البعض ، لا تجدي و لا تنفع إذا لم تتوفر البناءات اللآزمة في المجال الثقافي و التي تؤهل هذا المجتمع أن ينتج أفكاره و أشياءه ، و الملاحظأن أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه و سلم حين هاجر من مكة إلى المدينة هو بناء المسجد ثم آخى بين المهاجرين و الأنصار إيمانا منه بأن العمل الثاني لا يمكن بدونه التجاوب بين الفكرة القرآنية و عالم الإنسان و هذا للأسف ما فقدته الأمة اليوم [2] يرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي و منذ سقوط غرناطة و نهاية عصر الموحدين لم يخطو خطوة واحدة في تاريخه ، لأنه بتر عالم أشخاصه منذ ان إنطفأت آخر شمعة و المتمثلة في شخص بن خلدون، فلم يعد عالم

[1] مالك بن نبي ، **ميلاد مجتمع** ، مرجع سابق ، ص 26

[2] الأخضر شريط ، **مرجع سابق** ، ص 74

الأشخاص في المجتمع الإسلامي ينتج الفارابي ، و الرازي و الخوارزمي ، فهو بذلك فقد المبررات الثقافية لأن يكمل مسيرته عبر التاريخ ، لأنه فقد أكبر خاصية لعالم الأشخاص و هي بناء العلاقات الاجتماعية .

أما علاقة الفرد بالمجتمع و علاقة المجتمع بالفرد فهي معقدة على راي مالك بن نبي فكلاهما يؤثر في الآخر و يضرب مثالين على ذلك ، المثال الاول هي قصة الطيار الأمريكي [1] الذي قنبل مدينتي هيروشيما و ناكا زاكي اليابانيتين ، ورأينا كيف ان ذلك الطيار بفعلته الشنيعة لم يكن في إمكانه ان يتباهى بفعل البطولة بل على العكس لقد ركن إلى دير هروبا من المجتمع ، و المثال الثاني الذي ضربه مالك بن نبي هو قصة عزل عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد من قيادة الجيش و تعيين عبيدة بن الجراح مكانه رضي الله عنهم جميعا ، بحيث يرى مالك في تلك الحادثة في تاريخ العالم الإسلامي دروسا كثيرة فامتثال خالد لأوامر عمر بن الخطاب كان نتيجة لدور العامل الديني و تأثيره على الفرد إذ رأى خالد نفسه جنديا من جنود الله و الجهاد فرض عين على المسلمين ولم يكن يرى في نفسه قائدا على الجيش أما عمر رضي الله عنه فقد حاول أن يقي المسلمين شر التشبث بعالم الأشخاص عوض الفكرة وهي الإسلام .

3/ عالم الأفكار: بفضل الفكرة استطاع الإنسان أن يمر في طريقه في صنع التاريخ ، و الفكرة معبر عنها هي روح القدس كما يرى مالك بن نبي .

تشير الفكرة البنابية إلى أن المجتمع النامي لا يتميز فقط بقلة الوسائل المادية للأشياء و إنما يتميز بقصور في الأفكار يتجلى هذا القصور بصفة خاصة في طريقة استخدامه للفكرة بفاعلية أو عدم فاعلية ، كما يتميز

[1] بول تبيتس (1915–2007) هو الطيار الذي ألقى القنبلة الذرية على هيروشيما من طائرة كان يسميها اينولاجاى على اسم والدته وقد توفى عام 2007 عن عمر 92 عاما يذكر أنه كان قد زار المدينة بعد 3 أسابيع من إزالته لها من الوجود وقد قال قبل وفاته أنه لا يمانع من إلقاء القنبلة مره أخرى لأنه ينفذ أوامر القادة.

بقصور واضح في طريقة طرحه لمشاكله أو عدم طرحها بفعالية ، وهو الأمر الذي غفله العالم الإسلامي ، و كمثال على ذلك فعندما حاول عباس بن فرناس [1]الطيران و فشل في ذلك طرح كل من العالم الإسلامي و العالم الغربي سؤالين مختلفين ، لقد دارت نقاشات حادة في كامل ارجاء العالم الإسلامي حول ما إذا كان إبن فرناس قد مات شهيدا أم منتحرا ؟ أما العالم الغربي فقد تساءل هل يستطيع الإنسان أن يطير فعلا ؟ فكيف كانت النتائج ، لقد وصل الغرب إلى القمر بينما لازال الجدال دائرا في عالمنا الإسلامي كما هو [2] لكن أنى يحل الصنم تختبئ الفكرة ، و هذه المرة غدى الصنم متمثلا في الصوفية و التدجيل و الاعتزاز بالذنب مما يمكننا تسمية الصنم الذي اصاب الحضارة الإسلامية في أفكارها .

إن التاريخ لا يصنع بالاندفاع في دروب سبق السير فيها ، و إنما بفتح دروب جديدة ، ولا يتحقق ذلك إلا بالأفكار الصادقة والتي تتجاوب مع جميع المشاكل ذات الطابع الأخلاقي ، و بأفكار فعالة لمواجهة مشكلات البناء في مجتمع يريد إعادة بناء نفسه ، وفعلا فكما رأى مالك فإن الأفكار هي التي تساهم إلى حد بعيد في صناعة التاريخ ، لكن واجهنا سؤال هو أي الأفكار التي تصنع التاريخ ؟ أهي كل إرث فكري ؟ ام هي كل تقليد ؟ أم هي كل فكرة حية ؟

يرى مالك بن نبي ان هناك نوعان من الأفكار :

- **أولا** : أفكار ميتة و افكار قاتلة

- **ثانيا** :أفكار فعالة و صادقة

[1] **عباس بن فرناس:** أبو القاسم عباس بن فرناس بن فرداس مخترع وفيلسوف وشاعر أندلسي من قرطبة. عاش في عصر الخليفة الأموي الحكم بن هشام وعبدالرحمن الناصر لدين الله ومحمد بن عبد الرحمن الأوسط في القرن التاسع للميلاد. كان له اهتمامات في الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء. اشتهر بمحاولته الطيران إذ يعده العرب والمسلمين أول طيار في التاريخ. توفي في حدود عام 888 م.

[2] مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة محمد عبد العظيم علي ط1، (تونس: دار الحكمة للنشر والتوزيع1405هـ-1985)، ص 39

فالأفكار الميتة هي تلك الأفكار التي ورثها العالم الإسلامي من عالم ما بعد الموحدين وهي الأكبر خطرا من غيرها ، وهي نفس الأفكار التي يقول مالك أنها ولدت تحت جوامع القيروان و بغداد و الأزهر وهي للأسف نفسها التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه اليوم لأنها لم تستعن بمناهج باستور التي طبقها على الفيروس فبدل القضاء عليه زادت في انتشاره ، إذا فنحن لا زلنا نعيش إرهاصات نهضة خاصة في جانب عالم أفكارنا .

أما الفكرة القاتلة فهي التي يعرفها مالك بقوله " هي فكرة فقدت شخصيتها و قيمتها الثقافية بعد أن فقدت جذورها التي ضلت في مكانها في عالمنا الثقافي الأصلي " [1] .

أما الفكرة الميتة " فهي فكرة خذلت أصولها ، وانحرفت عن نموذجها المثالي ، و لم يعد لها جذور في محيط ثقافتها الأصلي " [2] ، يشير مالك إلى ان إتحاد كل من الفكرتين القاتلة و الميتة يولد لنا نوعا ثالثا من الأفكار وهي الأفكار "المخذولة " وهي أفكار تحمل روح الانتقام وهو الأمر الذي حصل في عالمنا الإسلامي اليوم إذ نحمل نتائج انتقام الأفكار المخذولة و السبب حسب بن نبي يعود إلى التاريخ الإسلامي البعيد و بالضبط إلى تلك القصة التي حدثت بين علي و معاوية و التي عبر عنها رجل من ذلك الزمان بقوله " إ ن صلاتي خلف علي أقوم لديني ، لكن صلاتي خلف معاوية أقوم لصحتي " ، و كذلك المقولة الشهيرة في ذلك الزمان " القلوب مع علي و السيوف عليه " مثل هذه الأفكار في نضر مالك بن نبي أدت إلى أفول روح الديمقراطية التي قدمت نموذجا مثاليا في مجتمع الأنصار و المهاجرين ليبدأ عالم افكار الأمة الإسلامية في الانحدار ، وبعبارة أخرى فإن الفكرة الميتة التي صدرت آنذاك لم تكن سوى لتتحمل الأجيال اللاحقة نتائجها ، بل وصلت تلك الفكرة الميتة في عالمنا الإسلامي حد الانتقام لتولد الأفكار المخذولة و التي وجدناها عند ابي العباس حين كان يقول للحسين بن علي وهو ذاهب إلى اهل الكوفة " إن هؤلاء القوم سوف يخذلوك كما خذلوا أباك من قبل " .

إن كل مجتمع إذا أصابته عدوى الأفكار المخذولة و التي قلنا بأنها تنتقم سواء طال الأمر أو قصر ، فإن عدوى تلك الأفكار تنتقل من جيل إلى جيل سواء شعر أو لم يشعر .

---

[1] الأخضر شريط ، **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي** ، مرجع سابق ، ص 91

[2] مالك بن نبي ، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، مرجع سابق ، ص 83

يرى مالك بن نبي ان الفكرة تولد مرتين ، مرة عندما تجد ضرفا يساعدها على زرع بذرتها و الثانية حين تعلن الهجرة من مكان حتى تتم عملية البذر في مكان جديد ، و الحقيقة كما يقول مالك بن نبي فإن الفكرة تكون فعالة بمقدار ما تملك من فعالية صاحبها ، بمعنى أن الفكرة يمكنها ان تشق طريقها في التاريخ إذا كانت هذه الفكرة تحمل عوامل القوة الفاعلة ولتكن مثلا كلمة "اقرأ" في غار حراء ، و الفاعلية تكون اقوى في الوسط الذي يتيح اقوى الدوافع و انشط الحركات و أقوم التوجيهات ، و عليه فكل فكرة تساهم في سير الحركة التاريخية يجب ان تكون صادقة و صالحة في نفس الوقت حتى تبعث الفاعلية في تاريخ شعب أو أمة .

لكن هذه العوامل الثلاثة لا تعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية ، من عالم الأفكار يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء ، من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص ، وكما أن وحدة هذا العمل التاريخي ضرورة فإن توافق هذه الوحدة مع الغاية منها ، وهي التي تنسجم في صورة حضارة [1]يعطي هذا النسيج المطلوب لصنع الحضارة مفهوما يقيد التوازن بين وجهي الحياة المادية و المعنوية و بهذا التوازن يتم الالتزام بالإسلام من أجل التحضر ، حيث ترفض أحكامه المثالية اعتزال المجتمع و المادة كما يرفض السقوط بالإنسان ليصبح عبدا للأشياء فأي توجه حضاري جديد يتطلب إعادة قضية التوازن الروحي و المادي ، وإذا ما توحدت ذات الفرد يكون ذلك خطوة على طريق توحد المجتمع ، أي صنع شبكة علاقات اجتماعية توازن بين الإنسان بأشياء مجتمعه وبين علاقاته بالعقيدة و الأفكار التي تنبع منها قواعد السلوك و الأخلاق في المجتمع ، بقدر ما تنتج هذه العلاقات التي تسير بتوازن يمكن أن تعجل في بزوغ فجر حضارة جديدة تعيد الدور للعالم الإسلامي على المستوى العالمي.

و قد رأى مالك بن نبي أن الحضارة اذا كانت هي استيراد أشياء الأمم الأخرى أو استعارة فكرها و منتجاتها فإن في هذا الفهم بذرة موت الطموح الحضاري للشعوب " ليس بشراء المصنوعات و الأدوات يتم التخلص من التخلف من أجل صنع التقدم الحضاري " [2] .

[1] مالك بن نبي ،**ميلاد مجتمع** ، مرجع سابق ، ص 16.

[2] مالك بن نبي ، **مرجع نفسه** ، ص 17.

يستعمل مالك بن نبي كثيرا من المصطلحات و المفاهيم ليعبر عن معاني عميقة لأشكال التاريخ و مراحله ، وكل مصطلح يحتاج إلى وقفة طويلة و أن يضاف إلىقاموس المؤرخ ، وأهم تلك المفاهيم : (هدي التاريخ ، شهادة التاريخ ، مسرح التاريخ ، ركب التاريخ ، ملابسات التاريخ ، أصول التاريخ ،...

يعتبر مالك بن نبي التاريخ علما قائما بذاته كسائر العلوم الأخرى ، كاللغة و علم الكلام و الفقه فهذه تمثل في نظره جميعا علوما محصنة ، ويعود بن نبي باستمرار إلى التاريخ لتفسير حالة اجتماعية ، أو سياسية أو ثقافية أو اقتصادية و كذلك بالنسبة للعلوم فانه ينظر إلى كل علم برؤية زمنية ، زمنية ، إذ لا يمكن فهم الكثير من العلوم و النظريات العلمية و الوقائع المعاصرة دون إلمام بخلفياتها التاريخية ، و هذا يخص العلوم الاجتماعية و الطبيعية معا ، و التاريخ يقدم لنا دروس من الماضي جديرة بالنظر و الاعتبار ، وعلى هدي التاريخ يصنع الحاضر و يبنى المستقبل .

و التاريخ اليوم أصبح من أكثر العلوم تطورا شكلا و مضمونا وصار التخصص في التاريخ عميقا جدا و تشعبت فروعه خاصة بفضل الأعمال الكبرى لمدرسة الحوليات (l'école des annales) [1]الفرنسية التي جددت كثيرا في علم التاريخ ، فمن حيث الموضوع نجد التاريخ الاجتماعي و التاريخ السياسي و التاريخ العسكري ، و التاريخ الثقافي إلى غير ذلك ، و أما من ناحية التسلسل الزمني فبالإضافة إلى التقسيمات المعروفة (القديم ، الوسيط ، الحديث ، المعاصر) نجد فرعا جديدا و هو التاريخ الراهن histoire immédiate الذي يختلف عن التاريخ المعاصر فإذا كان المعاصر يدرس أحداثا تعود إلى أكثر من قرن فان التاريخ الراهن يدرس فقط أحداثا قريبة جدا ، فالحدث يقع في الحاضر و لكنه بمجرد وقوعه أصبح جزء من الماضي و لعل هذا ما قصده ابن نبي ليضع المسلمين بقراءة الأحداث الراهنة بنظرة تاريخية بقوله " **ينبغي خاصة أن نعيد بكل اهتمام قراءة المأساة التي سجلها التاريخ هذه الأيام ، و نطلب من كل كلمة و من كل سطر أن يعطيانا ما كتمان من سر** " .

[1] **مدرسة الحوليات الفرنسية (l'école des annales)** : تأسست في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين تركز على دراسة السياقات الطبيعية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية التي أنتجت الأحداث أكثر من تركيزها على الأحداث نفسها

يعتمد مالك بم نبي على علوم كثيرة كالفلسفة و علم الآثار و علم الاجتماع و الانثروبولوجيا التي تساعده في تفسير الواقعة التاريخية ، ففي كتابه " الظاهرة القرآنية " يستند على البيولوجيا ليوضح مسألة الإلهام عند الرسول صلى الله عليه و سلم وذلك في قضية تأبير النخيل .

و في كتابه" شروط النهضة " يعول على الفيلسوف الألماني " هرمان دي كيسرلنج"و كتابه " البحث التحليلي لأوروبا" في تحديد العامل الديني كمحرك أساسي لحركة التاريخ و أكثر من هذا يستعين بالمعادلات الرياضية و الكيميائية والمنحنيات البيانية و الجداول لشرح أو تفسير ظاهرة تاريخية ، فدراسته للتاريخ متعددة التخصصات [1]

الحتمية التاريخية : يعتبر مالك بن نبي أن التغيير مهمة الإنسان و وظيفته فوق الأرض و رسالته في الحياة فهو الذي يصنع التاريخ ، و أن التاريخ ليس ما تصنعه الصدف و لا مكائد الاستعمار و لكن ما تصنعه الشعوب ذاتها في أوطانها [2]

ويكون ذلك بالانسجام و تفاعل الإنسان مع عالم الأفكار ، و عالم الأشياء ، ولكن قبل ذلك يجب أولا أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ ، مستخدمين التراب و الوقت و المواهب في بناء أهدافهم الكبيرى ،فقد صار من اللازم أن نضع أمامنا المشكلة بأكملها و أن نأخذ في اعتبارنا على الأخص عنصرها الأساسي "الرجل" و يلزمنا أولا أن نفهم كيف يؤثر الإنسان في تركيب التاريخ [3] إن الشعوب التي تصنع التاريخ هي تلك الفاعلة و العاملة على تحريك مسيرته و توجيه مساره ، في حين أن الشعوب التي تتأخر عن موعد التاريخ فهي تلك الأمم التي تسير ببطء في حين أن المشكلات تحتاج إلى نسق مسرع لحلها ، وهذا النقص الذي يصيب الإنسان فيقعد به عن ملاحقة توقيت التاريخ ، يجب التفكير في طريقة للقضاء عليه [4]وذلك لا يكون سوى بتغيير ذلك الإنسان الذي

---

[1] مولود عويمر ، **مرجع سابق** ، ص 10

[2] مالك بن نبي، **بين الرشاد و التيه**، ، ترجمة عمر مسقاوي، (دمشق : دار الفكر 1986) ، ص 68 .

[3] مالك بن نبي ، **شروط النهضة** ، ترجمة عبد الصبور شاهين،(دمشق : دار الفكر 1987) ، ص 77 .

[4] مالك بن نبي ، **مشكلة الثقافة** ، ترجمة عبد الصبور شاهين،(دمشق : دار الفكر1984)، ص 99

يحتاج إلى تغيير ما بنفسه حتى ر تتغير حالته قال تعالى :(**إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) (الرعد، الآية 11) [1].

و التنمية رهنت بمدى فاعلية الإنسان و حركته من أجل انجازها ، و ليست المادة وحدها العاملة على التغيير بل التركيبة الثلاثية بقيادة الإنسان ، فان القضية ليست قضية أدوات ولا إمكانات ، إن القضية في أنفسنا إذ علينا أولا أن ندرس الإنسان ، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع و التاريخ و إذا سكن ، سكن المجتمع و التاريخ ، و أنها لشرعة السماء " **غير نفسك تغير التاريخ** " ذلك ما تشير إليه النظرة في تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ فنرى المجتمع حينا يزخر بوجود النشاط و أحيانا نراه ساكنا لا يتحرك يسوده الكساد و تغمره الظلمات و هل هذه المظاهر غير تعبير عن حركة الإنسان أو ركوده [2] أما الحتمية التاريخية التي يتحدث عنها الفلاسفة و المؤرخون فليس لها أصل ثابت يقول مالك بن نبي :" إن الحتمية التاريخية لا وجود لها ، وبعبارة أدق فإن حتمية التاريخ تصبح في قيد الإنسان و تحت رقابته "[3] .

تكلم مالك بن نبي عن تفعيل العظماء لحركة التاريخ ، و ذكر عظماء من مختلف الديانات و الحضارات [4] ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كان يواجه أعظم ملابسات التاريخ الإسلامي كان يقول :" والله لو سقط جذع إبل من جسر من جسور دجلة لخشيت أن يحاسبني الله عليه" ، و ضرب لنا المثل بنابليون حينما كان في غمار الحملة التي قادها الى موسكو و هو يعيش أعسر أيامه كيف كان منكبا على تخطيط التنوير في شوارع باريس ، تلك عظمة المشكلات الداخلية في نظر عظماء التاريخ و هم يواجهون في الوقت نفسه أخطر مشكلات زمانهم ، و النبي صلى الله عليه و سلم يدلنا على هذه الحقيقة في الحديث الشريف: "من كانت بيده غرسة يريد غرسها و قامت الساعة فليغرسها " هذه الوصية لمن يتولى الغرس من المسلمين يجب أن يتأملها ويستفيد منها

---

[1] مولود عويمر ، **مرجع سابق** ، ص 11

[2] العابد ميهوب ، **مفهوم التنمية في فكر مالك بن نبي** ، (مجلة علوم الإنسان و المجتمع : جامعة زيان عاشور الجلفة ، العدد 02، جوان 2012) ، ص 155

[3] مولود عويمر ، **مرجع سابق** ، ص 80

[4] مولود عويمر ، **مرجع نفسه** ، ص 80

كل مسلم فهي حجة على كل من يريد التحجج أو التهرب من مسؤولياته [1] فالعظماء إن لم يصنعوا التاريخ فهم يساهمون في تعجيل حركة التاريخ ، فمالك بن نبي لا يضخم دور الفرد المتميز في صناعة التاريخ كما هو عند " توماس كارليل " [2] أو " سيدني هوك" [3] و لا يجحف أيضا دوره كما يفعل المؤرخون الماركسيون الذي لا يؤمنون إلا بدور الجماعة فقط في تفسيرهم المادي للتاريخ [4] .

يشدد مالك بن نبي على عنصر الزمن و يربط كل حادثة بظرفها الزمني ، ويتضح هذا الحرص في النظرية التي وضعها عن الحضارة التي عبر عنها عن الناتج الحاصل من (الزمن + التراب + الإنسان)، الإنسان بما يحمل من عقيدة و فكر عبر التاريخ ، و التراب بما يكتنز من ضرورات الحياة و الطاقات ، و الوقت باستثماره على أحسن وجه لان كل حقبة تذهب لا رجعة لها ، يصف مالك بن نبي الزمن " بالنهر القديم الذي يعبر العالم منذ الأزل ، فهو يمر خلال المدن ، يغذي نشاطها بطاقته الأبدية ، أو يذلل نومها بأنشودة الساعات التي تذهب هباء، و هو يتدفق على السواء في ارض كل شعب و مجال كل فرد ، يفيض من الساعات اليومية النى لا تغيض ، ولكنه في مجال ما يصير " ثروة" و في مجال أخر يتحول عدما ، فهو يمرق خلال الحياة ، ويصب في التاريخ تلك القيم التي منحها له ما أنجز فيه من أعمال ، ونحن في العالم الإسلامي نعرف شيئا يسمى الوقت و لكنه الوقت الذي ينتهي إلى عدم ،لأننا لا ندرك معناه ولا تجزئته الفنية فالحياة و التاريخ الخاضعان للوقت كانا و ما يزال يفوتنا قطارهما ، فنحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق و خطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا " **إن من الصعب إن يسمع شعب ثرثار الصوت الصامت لخطى الوقت الهارب** " هذا المعنى الذي لم نكسبه بعد هو مفهوم الزمن الداخل في تكوين الفكرة و النشاط في تكوين المعاني و الأشياء " [5] .ويمثل التاريخ

---

[1] مالك بن نبي ، **بين الرشاد و التيه** ، مرجع سابق ، ص ص 127-128

[2] توماس كارليل : 1795 /1881 THOMAS –KARLYLE كاتب اسكتلندي و ناقد وساخر و مؤرخ من أهم مؤلفاته كتاب (الأبطال و عباداتهم) يبرز فيه دور الفرد كأساس لصناعة التاريخ

[3] سيدني هوك : (1902/ 1989) فيلسوف أمريكي ، كان من المتحمسين للفكر الماركسي قبل أن يتراجع عن تأييده له تقلد عدة مناصب منها : رئيس قسم الفلسفة بجامعة نيويورك

[4] مولود عويمر ، **مرجع نفسه** ، ص 81

[5] مالك بن نبي ، **شروط النهضة** ، مرجع سابق ، ص ص 139-141

في نظر مالك بن نبي شعاعا موجها إلى الأمام يمر بمراحل زمنية ،و بأماكن ظرفية لا يعود منها مرة أخرى التاريخ لا يصنع بالاندفاع في دروب سبق السير فيها و انما بفتح دروب جديدة ، يحدد مالك بن نبي في كل حادثة تاريخية منعطفات و مفاصل زمنية ، فيتحدث عن عصر ما بعد الموحدين [1]، و الثلث الأخير من القرن العشرين ، ويربط كل مفصل و منعطف بخصائصه و مميزاته فيقول مثلا :" فالثلث الأخير يبدو هكذا تلك الفترة من التاريخ التي تجتمع فيها كل روافد التاريخ بكل نتائجها النفسية و الاجتماعية و السياسية و العلمية و كل المتغيرات المترتبة على هذه النتائج" .

ويتحدث في مواضع أخرى عن اللحظات الكبرى في التاريخ إن الأيام الكبرى في التاريخ فترات يسودها الإكبار و الإجلال ، و تسكت فيها النزاعات الخاصة ، و تهمد المنازعات حتى التي تحركها الفوارق الأيديولوجية ، وهكذا تسكن العقول و القلوب إلى بعضها كما حدث في فرنسا عام 1945 عندما ائتلف إتباع " ديجول" و أتباع " توريز" و شكلوا حكومة التحرير [2]، فالتاريخ في نظر بن نبي يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق دائما بين جهده و بين مثله الأعلى و حاجاته الأساسية و الذي يؤدي في المجتمع رسالته المزدوجة بوصفه ممثلا و شاهدا ، وينتهي التاريخ بالإنسان المتحلل ، وبالجزء المحروم من قوة الجاذبية بالفرد الذي يعيش في مجتمع منحل ، لم يعد يقدم لوجوده أساسا روحيا أو أساسا ماديا ، و ينتهي التاريخ حتما كي يتجدد من نقطة جديدة و هذه هي الدورة الحضارية الخالدة ، التي تخضع لها كل الحضارات و لا يمكن لحضارة ما أن تبقى بعد أذان نهايتها ، فهي غير قادرة على تجاوز سنة التاريخ [3]

[1] عصر ما بعد الموحدين يمثل حسب مالك بن نبي مرحلة بداية انهيار الحضارة الإسلامية

[2] حكومة التحرير التي تشكلت في بريطانيا بقياد الجنرال ديغول بعد انهيار الجمهورية الثالثة

[3] مولود عويمر ، **مرجع سابق** ، ص 84

1- تفسير مالك بن نبي لحركة التاريخ :

ركز ابن نبي أيضا على الأبعاد المتعددة للتاريخ بحيث لم يهمل العوامل المختلفة في تفسير الظاهرة التاريخية كالعوامل الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الطبيعية و الدينية و النفسية، وإن كان يعطي الأهمية الأولى للعامل الديني و النفسي في صناعة التاريخ أو التحول التاريخي [1]

*** الدورة الحضارية عند مالك بن نبي :**

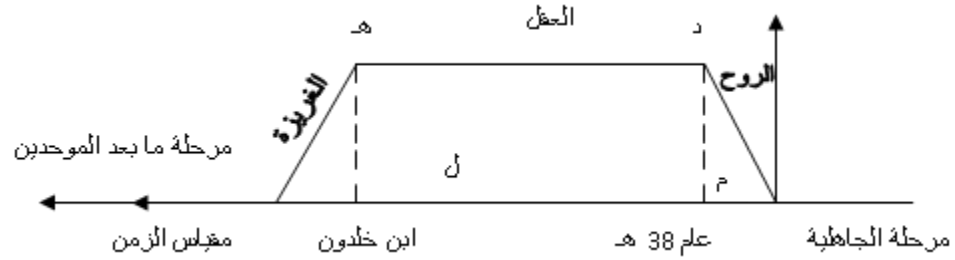

- مالك بن نبي : شروط النهضة ص -66-

تلك الحركة التاريخية التي تكلم عنها مالك بن نبي فسرها العديد من العلماء و المفكرين تفسيرات مختلفة فهيجل[2] يرى أن كل حركة تاريخية يحكمها مبدأ التعارض بين القضية و نقيضها و الحركة ما هي إلا اندماج محتوم بين القضية و نقيضها أي الرأي المركب ، أما الماركسية "le marxisme"[3] فتفسر هذا التغير و الحركة

---

[1] مولود عويمر ، **مرجع نفسه** ، ص 85

[2] هيجل : Georg Wilhelm Friedrich Hegel (ولد 27 أغسطس 1770 — 14 نوفمبر 1831) فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت، فورتمبورغ، في المنطقة الجنوبية الغربيةِ من ألمانيا. يعتبر هيجل أحد أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر.

[3] **الماركسية : le marxisme** : نسبة إلى الألماني كارل ماركس الذي توفي عام 1883 ، والذي يعتبر أن نظريته محصلة لقراءة نقدية شملت الفلسفة الألمانية و الاشتراكية الفرنسية و الاقتصاد السياسي البريطاني كما تعرف بأنها نظرية مادية تقر بأن الوجود هو الذي يحدد الوعي و أن العالم موجود و مستقل عن الوعي و هو موجود منذ الأزل و لا خالق له ولا حدود له في الزمان و المكان و الواقع المادي هو الأساس و لا أساس لما هو روحاني أو مثالي

التاريخية بأسباب التعارض ذو الطابع الاقتصادي ، وهذا المؤرخ الانجليزي الشهير أرنولد توينبي[1] (1889-1975) ، يعطينا تفسيرا أخر لهذه الحركة التاريخية حيث شبه فكرة التعارض هذه بعقبة ذات طابع اقتصادي أو فني أطق عليها كلمة التحدي و هو مواجهة الفرد أو الجماعة الاستفزاز الذي تتعرض له ، و في حال ما اذا كان التحدي الناتج عن استفزاز ضعيف دون المستوى المطلوب فانه لن يستدعي الإجابة اللازمة و يفقد بذالك التحدي دوره و معناه وهو أحداث التغيير و التطور الاجتماعي للفرد و المجتمع ، لذلك أعتبر توينبي أن التحدي المناسب هو تلك الإجابة الكافية و الملائمة التي تؤدي إلى تحريك أسباب التغيير و التطور الاجتماعي [2] كان من أبرز ما تميز به مالك بن نبي هو محاولته الدائمة لتفسير كثير من الأحداث التاريخية بإعطائها صبغة نفسية بالتوغل في أعماق طبائع الإنسان و أغوار نفسه فيقول :"**إن آلية الحركة التاريخية إنما ترجع في حقيقتها إلى مجموع العوامل النفسية التي تعد ناتجا عن بعض القوى الروحية و هي التي تجعل النفس المحرك الجوهري للتاريخ الإنساني** "[3]

و يشير مالك بن نبي إلى أن القرآن الكريم هو أيضا قد وضع الفرد المسلم بين حدين هما : الوعد و الوعيد ، فنجده يقول في ذلك :" فالوعيد هو الحد الأدنى الذي لا يوجد دونه جهد مؤثر ، و الوعد هو الحد الأعلى الذي يصبح الجهد مكن ورائه مستحيلا ، وذلك حين تطغى قسوة التحدي على القوة الروحية التي يمتلكها الإنسان " و بين هذين الحدين ، تقف القوة الروحية متناسبة مع الجهد و يتجلى ذلك في قصة بلال رضي الله عنه وهو يكرر إجابته متحديا قريش أحد ، أحد ، فلا قوة على وجه الأرض تستطيع تغييره عن موقفه لأنه وعد الحق و في المقابل قصة المرأة التي جاءت الرسول (صلى الله عليه و سلم) ليقيم علها حد الزنا و هي تبرز لنا قيمة الوعيد في توجيه العامل النفسي لدى الفرد في حالة معينة .[4]

---

[1] **أرنولد توينبي** : أرنولد جوزف توينبي ولد في 14 أبريل 1889 في لندن وتوفي في 22 أكتوبر 1975. أهم أعماله " دراسة للتاريخ" وهو من أشهر المؤرخين في القرن العشرين .

[2] بوترعه بلال ، **الحركة التاريخية** ، جريدة الجديد الثقافي ، العدد 223 ، الجزائر 04 أوت 2012 ، ص16

[3] مالك بن نبي ،**ميلاد مجتمع** ، مرجع سابق ، ص ص 21، 22

[4] بوترعه بلال ، **مرجع سابق** ، ص 16

يميز مالك بن نبي في الحدث التاريخي جانبين، الجانب العرضي البشري و الجانب القدري ، فالتاريخ لا تؤثر في تعجيل حركته و دفع سيره فقط تأثيرات جغرافية و اقتصادية و اجتماعية فهناك أيضا تأثيرات دينية غيبية تقوم بنفس الدور و تؤدي نفس الوظيفة إذ نجد عدة أحداث وقعت في تاريخ الإسلام خاصة في فترة النبوة تتصل اتصالا وثيقا بالجانب الغيبي و لا يدركها الحس وحده مثل حادثة شق الصدر وحادثة الإسراء و المعراج و جهاد الملائكة إلى جانب المسلمين في غزوة بدر .

فالمؤرخ المسلم يعتبرها حقائق تاريخية مطلقة لا تحتمل أدنى شك في حين أن مؤرخا آخر غير مسلم يستبعد وقوع هذه المشاهد الغيبية لأنه يختزلها فقط في الرؤية العقلية البشرية المحدودة و القاصرة ،وليس من السهل على المؤرخ غير المسلم أن يستوعب هذا المعنى " إن مضمون هذه الأحداث التاريخية ليس بالبساطة التي تظهر لأعين اللذين لا ينظرون إلى الأشياء إلا من جهاتهم الفردية أو القومية ، وعلى أساس هذه الخطة العامة للإنسانية ولحضارتها ، ندرك المعنى الكامل ، أو الميتافيزيقي للأحداث" ، ومالك بن نبي مقتنع أن التاريخ يشهد على الدور الرئيسي للدين في مسيرة البشرية نحو التحضر فهو يقول : " فكلما أوغل المرء في الماضي التاريخي للإنسان ، في الأحقاب الزاهرة لحضارته ، أو في البدائية لتطوره الاجتماعي ، وجد سطور من الفكرة الدينية " .

و يقترح مالك بن نبي نظرة جديدة للتاريخ تقوم بقلب المنهج التاريخي لفهم تأثير الغيب على حركة التاريخ " كي نعطي للأحداث تفسيرا متكاملا يتفق مع مضمونها كله ، يجب أن نحبس تصورنا لها في ضوء العلاقات الناتجة عن الأسباب ، بل ينبغي أن نتصور الأحداث في غايتها التي انتهت إليها في التاريخ ، ومن هذا الجانب قد نحتاج أن نقلب المنهج التاريخي فنرى الظواهر في توقعها بدلا من أن نراها في ماضيها ، ونعالجها في نتائجها لا في مبادئها ، فلكي مفهم ملحمة تيمور لنك [1] ينبغي مثلا أن نسأل أنفسنا ماذا لو أتيح لطغطاميتش

[1] **تيمور لنك** (1336 – فبراير 1405 م) قائد أوزبكي قام بحملات توسعية شرسة لتقى بالجيش العثماني بقيادة بايزيد في معركة هائلة عُرفت باسم "معركة أنقرة" في (19 ذي الحجة 804هـ / 20 يوليو 1402 م)، وانهزم بايزيد هزيمة ساحقة، ووقع في الأسر هو وأحد أبنائه

أن يحتل موسكو ومن بعدها وارسو ؟ ، وماذا لو قدر لبا يزيد [1]أن ينصب رايته على أطلال فينيا ثم على أطلال برلين ؟ لو حدث هذا لأذعنت أوروبا حتما لصولجان الإسلام الزمني المنتصر " وهذه المقاربة تستعملها المدرسة التاريخية الأمريكية في مجال التاريخ الاقتصادي .

3- : نظرته للمصادر التاريخية :

أ/ **القرآن الكريم** : القرآن الكريم هو المصدر الأول بالنسبة لمالك بن نبي حيث يقول : " و لقد أمتاز القرآن الكريم بميزة فريدة هي أنه تنقل منذ أربعة عشر قرنا ، دون أن يتعرض لأدنى تحريف أو ريب ، إذ ليست هناك مشكلة تدوين بالنسبة للقرآن الكريم ، كما هو الأمر بالنسبة للوثائق اليهودية و المسيحية الإنجيل و التوراة وهي أيضا مؤيدة بحقائق التاريخ التي ينبغي أن نلتفت إليها انتباه القارئ ليلاحظ أيضا توافق واقع التاريخ مع هذه الآية القرآنية " و إنا له لحافظون " –(يوسف الآية12) ، ومع ذلك فان لهذا الحفظ تاريخه فكلما كان الوحي يتنزل كانت آيات القرآن تثبت في ذاكرة الرسول صلى الله عليه و سلم و صحابته و تسجل فورا بأيدي أمناء الوحي ، فقد كانوا يستخدمون من أجل ذلك كل ما يصلح للكتابة كعظام الكتف أو قطع الجلد ، حتى إذا قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم كان القرآن محفوظا في الصدور ، مدونا في الصحف ، فهو على هذا الكتاب الديني الوحيد الذي يتمتع بامتياز الصحة التي لا جدال فيها ،لأنه لم يثر النقد أية مشكلة حوله ، سواء أكان ذلك شكلا أم موضوعا [2] هذا التصور يتجاهله مجموعة من المستشرقين و المفكرين المسلمين المتأثرين بهم ، ساعين إلى اعتبار القرآن نص تاريخي كأي نص آخر يخضعونه للمنهج التجريبي الذي أقل ما يتميز به الإذعان المفرط للمنطق المادي المقصي لكل ما هو غيبي ، وهذه محاولات قديمة ظهرت في القرون الماضية و اشتد أزرها في القرن العشرين ، و مازالت قائمة إلى يومنا هذا على الرغم من المناقشات و الدراسات المفحمة و التي كان من

---

[1] **السلطان بايزيد الأول** : بن مراد الأول بن أورخان غازي بن عثمان بن أرطغل، (ولد عام 1345 وتوفي 8 مارس 1403، رابع سلاطين الدولة العثمانية حكم بين عام 1389 و1402 كان في غاية الشجاعة والحماسة للجهاد في سبيل الله غير أنه امتاز عمن سبقوه بسرعة الحركة وقوة الانقضاض على أعدائه حتى لقب بالصاعقة ، أقسم السلطان بايزيد علي انه لن يتراجع عن غزو أوروبا قبل أن يطعم فرسه الشعير في مذبح القديس بطرس في الفاتيكان. اد ان يفعل ذلك لولا هجوم تيمور لنك علي مملكته من الشرق

[2] مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**،، ترجمة عبد الصبور شاهين ،(دمشق : دار الفكر 1981) ، ص 103 .

بينها كتاب " الظاهرة القرآنية " الذي ألفه مالك بن نبي عام 1948فالأمر إذن لم يعد مرتبط بالبحث العلمي أو البحث عن الحقيقة العلمية بل الهدف كان و مزال تكريس الايدلوجية على حساب العلم و المعرفة [1].

ب/السنة النبوية الشريفة : المصدر الثاني المدون عن الإسلام ينحصر في أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم ، و من المؤسف أنه لم يتوافر لهذا المصدر ما توافر للمصدر الأول من الصحة التاريخية و لم تظهر أهمية البحث إلا بعد وفاة الرسول (ص) ، وخاصة من الناحية الشرعية ، بوصفها مصدرا ثانيا للتشريع الإسلامي ، ومع تكاثر الحاجات في المجتمع الإسلامي نما هذا التشريع فاتجه الفقهاء إلى أن يبذلوا – ما وسعهم من جهد – لجمع تلك الأحاديث التي يجب أن تصبح عنصرا جوهريا في الفقه القانوني ، ومع ذلك فان المسافة بين وفاة الرسول (ص) ، و مع ذلك فان المسافة بين وفاة الرسول (ص) و عصر تدوين الحديث كانت ذات أهمية ، إذ حدث خلالها خلط كثير و شكوك مضاعفة بين الأحاديث الصحيحة وغيرها ، ومنذ ذلك الحين وضعت طريقة نقدية صالحة لتميز بين ما هو صحيح عما ليس كذلك ، فطبقت طريقة النقد التاريخي التي تشمل اتصال الرواية [2] و قيمة الرجال الذي وصل عن طريقهم الحديث [3] و قد أدى هذا الوضع بالمحدثين إلى أن يصنفوا الحديث ثلاث مجموعات تبعا لدرجة التثبيت التاريخي ، الصحيح و الضعيف و المكذوب ، فهذه هي مصادر الإسلام المدونة في حالتها الراهنة ، الآيات القرآنية الصالحة لأن تستخدم وثيقة تاريخية مطلقة الصحة ، و الحديث الذي يختلف في درجة الصحة مع أخذ الاحتياطات المستخلصة من الطرق نفسها التي اتبعها العلماء المحدثون كالبخاري و مسلم [4] .

---

[1] مولود عويمر ، **مرج سابق** ، ص 90

[2] طريقة النقد التاريخية التي تشمل اتصال الرواية أو ما يعرف في علم مصطلح الحديث بالعنعنة و هي مصدر جهلي كالبسملة و الحمدلة و الحوقلة مأخوذ من لفظ عن فلان و هو الحديث الذي يقال في سنده فلان عن فلان دون توضيح التحديث و السماع و الإخبار و قد ذهب جمهور أئمة الحديث و غيرهم انه من قبيل الإسناد المتصل وذلك بشروط .

[3] علم الرجال : أو علم رجال الحديث ويسمى أيضا علم الجرح و التعديل و هو أحد فروع علم الحديث يبحث فيه عن أحوال رواة الحديث من حيث اتصافهم بشروط قبول رواياتهم أو عدمه ، وقيل في تعرفيه أيضا : هو علم وضع لتشخيص رواة الحديث ، ذاتا ووصفا ، و مدحا وقدحا

[4] مالك بن نبي ، **الظاهرة القرآنية** ، ص 107

و تأتي بعد هذين المصدرين كتب السيرة و التاريخ التي دأب مالك بن نبي على قراءتها و الاعتماد عليها في مختلف كتبه ، كطبقات ابن سعد ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ، و البداية و النهاية لابن كثير و مروج الذهب للمسعودي ، و بشكل خاص " مقدمة ابن خلدون " و التي تركت فيه بصمات عميقة تدل عليه كثير من الأفكار و التصورات التي طرحها ابن نبي كما تدل على ذلك أيضا كل الدراسات الجادة التي تناولت فكره ، و يشهد بذلك الذين جالسوه و سمعوا أحاديثه و محاضراته ، يقول عبد اللطيف عباده في كتابه صفحات مشرقة من فكر مالك بن بين : " و يستشهد كثيرا ببعض نصوص ابن خلدون حتى ظننت أنه يريد من أن نحفظها عن ظهر قلب "

أما في ما يخص تاريخ الأمم الأخرى كالدول الأوروبية و الهند والصين و اليابان فقد اعتمد مالك بن نبي كثيرا على كتاب " دراسة في التاريخ " للمؤرخ البريطاني " أرنولد توينبي " ، وكتاب" تاريخ أوروبا من نهاية الإمبراطورية الرومانية إلى الثورة الفرنسية " للمؤرخ الفرنسي جيرو والاتجاهات الحديثة في الفكر الإسلامي لجب ، و المغرب في عصوره المظلمة " لغويتيه " ، و موجز تاريخ العالم القديم " لهلبير دي بارانتون" ، ان مالك بن نبي شديد الحذر في استعمال المصادر و الوثائق و لا يعتمد إلا على الكتب الموثقة التي تتوفر فيها الضمانات التاريخية و الحقيقية الموضوعية ، و يتجنب كل كتاب مجرد من " الصحة التاريخية" و قد حاول أن تكون هذه النظرة دليله في كل ما يقرأ و يكتب و يتخذها منهجا علميا [1]

[1] مولود عويمر ، **مرجع سابق** ، ص 91

المبحث الثاني : محطات تاريخية في فكر مالك بن نبي:

1- مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية: يكاد لا يذكر اسم مالك بن نبي في عصرنا الحاضر إلا مقترنا بفكرة الحضارة ،فالحضارة ومشكلاتها هي التي ظلت تشغله طيلة حياته ، بحثا في فهم عوامل البناء والتهديم فيها ،مركزا على الحضارة الاسلامية .

فمن البديهي إذن أن تكون نظرته للحركة الوطنية الجزائرية نظرة حضارية سواء في سيرها أو في اتجاهها أو في أزماتها، أو في البحث عن الحلول الناجعة لها للخروج بها إلى النور.

ولمالك بن نبي تجربة في الحركة الوطنية الجزائرية ،وثباته على خط واحد هو الذي جعلنا نقول بأنه مثل بحق اتجاها حضاريا خاصا ، مع العلم أن التوجه لم يقتصر على فترة الاستعمار فقط بل ظل بن نبي ثابتا عليه إلى وفاته رحمه الله[1].

ظل مالك بن نبي يتتبع سير الحركة الوطنية عن كثب ،منذ أن بدأ يعي محيطه في بداية العشرينيات وهو العهد الذي استأنف فيه الشعب الجزائري رسالته وبدأ تاريخه الجديد ، وذللك بسبب الضغط الاستعماري الذي يرمي إلى استبقاء الطاقات المستيقظة تحت مراقبته .

على هذا الأساس قسم مالك بن نبي الحركة الوطنية إلى قسمين، فوضع الحركة الإصلاحية في كفة وكل الحركات الحزبية في كفة ثانية ،ويرجع بداية الحركة الإصلاحية إلى نهاية القرن التاسع عشر ، حين بدأ كل من الشيخ بن مهنا[2] وتلميذه الشيخ عبد القادر المجاوي[3] صراعهما ضد المرابطين و الخرافات ، فغرسا الأفكار التي

---

[1] محمد العربي معريش، **مالك بن نبي و الاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربين** ، مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة و السياحة ،العدد 85 ،1985 ،ص 203 .

[2] الذي عاقبه الفرنسيون بمصادره مكتبته الثمينة. انظر كتاب شروط النهضة، ص 29.

[3] المجاوي هو عبد القادر عبد الكريم (1848 ،1913م).كان استاذ للعربية و الشريعة الاسلامية في المدرسة الجزائرية الفرنسية بالعاصمة و قسنطينة ،تخرج على يديه الكثير من الطلبة ،من آثاره: إرشاد المعلمين ،المرصاد في علم الاقتصاد

يمكن أن نسميها الإصلاح المحلي ، لكن سرعان ما وضع الاستعمار حدا لهما ولإصلاحهما وذلك بإبعادهما لأنهما أقلقا النوم العام الذي كان الاستعمار يسهر على استمراره ، فاستطاع النوم أن يشد الأجفان من جديد.

أما الحركات الحزبية فترجع بدورها إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، بظهور رواد الفكرة الوطنية كعباس بن جمانة[1]، في شرق البلاد وسي بن رحال[2]في غربه ، واللذين تعارفا و كونا أول وفد جزائري توجه إلى باريس للمطالبة بحقوق الشعب لدى الحكومة الفرنسية ، هذا في الوقت الذي كان القوم يكثرون فيه الحديث عن مبادئ ولسون الأربعة عشر، وعلى وجه الخصوص عن الأمير خالد ، من حيث هو ممثل الشعب الجزائري ولما نفي هذا الأخير أسس جمعية النخبة المغربية وصحيفة الأمة مع بضعة جزائريين من ضواحي باريس [3].

وإذا كان بعض الباحثين يربطون الحركة الوطنية بمصادر شرقية باعتبار أن جمال الدين الافغاني ومحمد عبده من الرواد الأوائل ، فإن بن نبي يذهب بها أبعد من ذلك فهو يرجعها إلى الحركة الوهابية [4]، التي هي تعاقب ثمرة المصلحين منذ ابن تيمية في القرن الثامن للهجرة ، وكان من حسن حظ الأفغاني ان فكرته في النهوض بعثت الحركة في كل مكان وكشفت عن الأمة الإسلامية غطاءها ،وقد بلغت تلك القوة الفعالة فأخذت الجزائر منها بنصيب .

اضطلع بهذه الحركة في بداية الامر علماء جزائريون ، من بينهم مفتي مدينة قسنطينة الشيخ المولود بن الموهوب تلميذ عبد القادر المجاوي ، والشيخ المبارك الميلي وأبو يعلى الزواوي ،والشيخ عبد المجيد ومع هذا كانت أفكار جيل بن نبي تلتصق بشخصية أخرى أخذت تثير اهتمامهم تلك هي شخصية عبد الحميد بن باديس

[1] عباس بن حمانة : من الذين حاربوا قوانين التجنيد الاجباري ،الانديجينا و التجنيس ،كما دافع عن الدين الاسلامي و اللغة العربية و تحسين الحالة الاقتصادية للأهالي ،يذكر بن نبي أنه أول من سعى لإحياء اللغة العربية حيث كان قد اسس اول مدرسة لذلك في الجزائر

[2] – سي بن رحال : ينتمي لكتلة المحافظين المصلحين ، و يعتبر من المتحدثين باسم هذه الكتلة .

[3] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن**، مرجع سابق ص 256.

[4] الوهابية : نسبة الى محمد بن عبد الوهاب (1703 –1791) ، و هي دعوة اصلاحية دينية سلفية ، قامت كرد فعل لمفاسد المجتمع الاسلامي و لمحاربة البدع .

2- **مالك بن نبي و جمعية العلماء المسلمين** : كان مالك بن نبي ينتسب للطرف الاصلاحي ، فهو في نظره الصورة الجزائرية للفكرة الوهابية ،التي كان يرى فيها المنقذ للعالم الاسلامي،كان مالك يرى ان الإصلاح الذي يمثله ابن باديس والجمعية هو القمين لتحرير الجزائر، و أن الشعار الذي رفعته الجمعية هو الشعار الصحيح في قوله تعالى "**إن الله لا يغير ما بقومه حتى يغيروا ما بأنفسهم** "سورة الرعد آية 11" . [1]

تعرف مالك بن نبي على الجمعية في شبابه عن طريق أنصارها و مجلة الشهاب التي كان يصدرها الشيخ بن باديسفي قسنطينة ،شارك مالك بن نبي في الدفاع عن الجمعية وشارك في حضور نشاطاتها وتكلم في الجزائر ،كان حلم مالك بن نبي في أيامه الدراسية بفرنسا لانضمام إلى جمعية العلماء المسلمين مع صيدلية حمودة بن الساعي [2]. ، وازداد تعلقه بها التي ان اصبح فسيتم في نفسه رائحة الزعامة ،وهو الذي قام بتوزيع مستورات باسم الجمعية تتضمن احتجاجا على لإدارة الاستعمارية التي أمرت بمنع أي نشاط اصلاحي داخل المساجد ،فوزعها على صحفيين و نواب و أعضاء مجلس الشيوخ في باريس [3] ، و كان يعتبر دفاعه و نشاطه عن الاسلام في الاوساط الطلابية و السياسية مشاركة في الحركة الاصلاحية ،و انتظر تعيينه من طرف الجمعية كممثل لها في فرنسا لكنه فوجئ بتعيين الشيخ الفضيل الورتلاني (1901 – 1957) ممثلا لجمعية العلماء المسلمين في فرنسا .

و بالرغم من التقارب الفكري و الغاية المشتركة بين مالك و الجمعية الا انه لم ينظم لها ،و هناك عدة أسباب كثيرة تفسر هذا الوضع بعضها قدمها ابن نبي نفسه ،فهو يرى أن الانتساب لحزب أو جماعة يقضي بالضرورة الالتزام و الخضوع الكامل لها مما يحد من حرياته و نشاطه فيقول: "إن عصرنا يقدر كما هو معلوم فكرة الالتزام ، و الأدب الملتزم أي الالتزام في الهيئات معينة ، ولكنني أشعر بأن المثقف قد يؤدي رسالته في الحياة بلاده الاجتماعية بفعالية أكبر من دون أن يكون ملتزما بهذا النوع من الالتزام ، أي منخرطا في إطار معين حيث يجد نفسه أحيانا ملتزما نحو نفسه أحيانا ملتزما نحو الحزبية ".

---

[1] محمد العبدة ، **مالك بن نبي و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** ، www.binnabi.net ، 2013/02/18، 14:21

[2] مولود عويمر ، **مالك بن نبي رجل الحضارة** ، مرجع سابق ، ص ص 17 – 18 .

[3] محمد العربي معريش ، **مرجع سابق** ،ص 207

و في موضع آخر صرح بأن الجمعية لم تأخذ المبادرة لدعوته إلى الانضمام إلى مجلس إدارتها و يقول في هذا الأمر: "لقد بذلت شطرا من حياتي في سبيل الحركة الإصلاحية و شهدت في مناسبات مختلفة بالفضل لجمعية العلماء التي قامت في الجزائر بنشر العلم و الدين ،و تكلمت مرات في معاهدها دون أن أكون عضوا من أعضائها " [1] ، و كتب مالك في هامش كتابه " في مهب المعركة " مواصلا فكرته قائلا :"و علي الأصح دون أن تدعوني هذه الجمعية للمساهمة في شؤونها الإدارية حتى و لو قدمت لها طلبا من أجل ذلك و قد أهدى مالك بن نبي للجمعية إحدى كتبه و لم يأته رد ،وكتب لهم مقالا و لم يأته رد [2].

و الحقيقة أن طبع مالك بن نبي المتميز بالتوتر وانتقاداته لبعض العلماء و حلفائهم من رجال السياسة الجزائريين ،لم تزد الأمر إلا سوءا للفهم و تفرقا بين الطرفين فقد اتهم بعضهم بالتواطؤ مع جبهات الصراع الفكري ،وحملهم مسؤولية رفضه في صفوف الجمعية العلماء وعدم قبولهم لنشر مقالاته في جريدة البصائر وصحيفة الدفاع[3] القريبة من العلماء[4].

لكن أهم مشكل ساهم في توتر العلاقة بين بن نبي و العلماء هو مشاركة العلماء في المؤتمر الإسلامي الذي عقد بالجزائر بتاريخ :1936/06/07 برئاسة بن جلول ، وشارك فيه نواب عن المحافظات الثلاث الجزائر وهران،قسنطينة. ومثل جمعية العلماء الشيخ بن باديس و الإبراهيمي و الطيب العقبي ، وشكل المؤتمر وفدا للذهاب الى باريس لعرض مطالبه على الحكومة الفرنسية[5].

---

[1] مولود عويمر ،**مالك بن نبي رجل الحضارة** ، مرجع سابق ، ص 18

[2] أنظر: مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، ص 172، و كذلك:**مذكرات شاهد للقرن**، ص 276

[3] **جريدة الدفاع :** و التي أسسها الأمين العمودي، يذكر مالك بن نبي أنه كتب مقالا بعنوان" مثقفون أم مثيقفون كان ردا شافيا حسب رأيه على مقال "أنا فرنسا " الذي نشره فرحات عباس في جريدة " اتحادية النواب" ولكن للأسف لم يتم نشر مقال مالك بن نبي يذكر مالك في مذكراته أنه سأل العمودي عن سبب عدم نشر المقال فأجابه بأنه لم ينشره عن روية لأنه لم يرد أن يحطم مستقبل فرحات عباس السياسي . أنظر كتاب: مالك بن نبي **مذكرات شاهد للقرن**، ص ص 359 –360

[4] مولودعويمر، **مالك بن نبي رجل الحضارة** ، المرجع نفسه ، ص 19

[5] محمد العبدة، **مالك بن نبي و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** ، مرجع سابق .

يصف مالك بن نبي المؤتمر فيقول :"وصل نبأ المؤتمر كالصاعقة دوَى بها الحي اللاتيني،و يضيف : "**كلنا متفقون على أن المؤتمر الإسلامي كان أكبر انتصار حققه الشعب الجزائري على نفسه أولا ثم على كل القوى التي تسعى لا بقاءه في الوحل**"، و لكن يجب على معسكرنا أن يعرف كيف يحافظ علىانتصار دفع ثمنه غاليا،لكن الجزائر التي كانت تستطيع كسب انتصار كبير على الإستعمار بثمن غال لم تكن تجيد الحفاظ عليه إذ أنها عوضا أن تبقى المعركة على الأرض التي تحقق عليها النصر تنقلها وتورطها على أرض الخصم و- يقصد مالك سفر الوفد إلى باريس – أين قام مالك بزيارة الوفد الذي أقام " بالنزل الكبير"GRAND-HOTEL " و يصف مالك تلك الزيارة بقوله: "و على أية حال فقد وجدنا الوفد الجزائري موزعا في فناء الفندق ، حلقة الشيخ بن باديس من المعممين من ناحية ، وحلقة المطربشين [1]من ناحية أخرى ،فتوجهنا إلى الأولى فقد كان حول الشيخ زملاؤه من جمعية العلماء مثل الشيخ الإبراهيمي و الشيخ العقبي و بعد السلام و التحيات شرعت في مرافعة شديدة: "يا أصحاب الفضيلة ماذا أتيتم تفعلون ؟ و لماذا في هذا الفندق المترف تنزلون ؟ و يعلق مالك "فبأي غنيمة أرادوا أن يرجعوا من هناك من باريس وهم يعلمون أن مفتاح القضية في روح الأمة لا في مكان آخر ، كانت أسئلة مالك موجهة للشيخ بن باديس لكن الأستاذ بلقاضي [2] هو الذي كان يرد عنه بجدارة المحامي المتمرن على أسلوب الدفاع ، إذا هنا ينصبّ انتقاد مالك حول ما آلت اليه الأمور في المؤتمر الإسلامي فلماذا ساير العلماء القافلة السياسية ؟ لماذا تسلم القيادة المعممة زمام الأمور الى القيادة المطربشة ؟ لماذا دافع العربي التبسي و هو من شيوخ الجمعية عن ابن جلول و اعتبره زعيما سياسيا لابد منه ؟،بالرغم أن ابن جلول كان حسب رأي مالك بن نبي يقوم علانية بدور من ينقض الغزل كلما غزله الشعب منذ ربع قرن، فكانت تلك الحادثة بمثابة الطلقة التي أصابت المؤتمر في الصدر فألقته قتيلا في مهده، بعد شهر فقط من ولادته ،وتجزأت في لحظة تلك الوحدة المقدسة التي ضمت في صف واحد كل القوى الشعبية ،بعد ربع قرن من مسير حثيث موفق نحوها [3] ، و هنا يظهر السبب الذي دعا العلماء الى أن يسيروا عام 1936 في القافلة السياسية التي

---

[1] يعني مالك بمصطلح **المعممين** برجال الدين ،أما **المطربشين** فهم رجال السياسة من خريجي الجامعات الفرنسية .

[2] بالرغم من أن الأستاذ بلقاضي كان من المجموعة الثانية "المطربشين" إلا أنه كان يجلس الى جانب العلماء عندما زار مالك الوفد في الفندق لذلك كان هو من يجيب على أسئلته بدلا من الشيخ بن باديس .

[3] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، مرجع سابق، ص ص366-368

ذهبت الى باريس كأكبر سبب جرَ الحركة الإصلاحية الجزائرية الى أول انحرافها ،و بأي شيء في الحقيقة قد رجعوا ؟ ألم يرجعوا بإخفاق المؤتمر الجزائري، هذا المؤتمر الذي كان نجاحه ممكنا للأسف، لو لم يشعر العلماء المصلحون – بكل أسف حسب رأي مالك بن نبي "**بمركب النقص إزاء قادة السياسة في ذلك العهد**"، فمالؤوهم و سايروهم ظنا منهم أنهم سوف ينوبون عنهم نوائب الحكومة ،ولقد كان ذلك ممكنا لو لم يكونوا على استعداد للعودة الى فكرة الزوايا ذات الطابع السياسي، الأصنام المزوقة بأسماء جديدة لقد كانوا يستطيعون ان يبلغوا ذلك لو ان العقول التي كانت تصدق بالمعجزات الكاذبة لم تعد مرة أخرى تصدق بمعجزات صناديق الانتخابات ،ولو ان الزردة التي كانت تقام في ساحات المشايخ لم تعقبها الزردة التي تقام في الميدان السياسي ،والتي أصبحت الأمة تقدم فيها قربانها من حين الى حين ،لقد كان على الحركة الإصلاحية ان تبقى متعالية على أوحال السياسة و المطامع الانتخابية ،و معارك الأوثان ولكن العلماء آنذاك قد وقعوا في الوحل حيث تلطخت ثيابهم البيضاء و هبطت معهم الفكرة الإصلاحية نحو السراب السياسي [1] ، و الآن بعد ثلث قرن لم يتغير حكمي في القضية : " **إن الظروف السانحة وضعت العلماء أمناء على مصلحة الشعب ،فسلموا الأمانة لغيرهم لأنهم لم يكونوا في مستواها العقلي، و سلموها لمن يضعها تحت أقدامه لتكون سلما يصعد به للمناصب السياسية** " [2].

لم تكن بداية الثلاثينات الفترة الخصبة بالنسبة للإصلاح فحسب بل بالنسبة للحركة الحزبية أيضا ، هذه الأخيرة التي جددت نشاطها وأنشأت صورة جديدة للوطنية تجسدت في مؤسسة "وحدة النواب"[3] ، هذا في الوقت الذي بدأ نجم مصالي الحاج في الظهور، و فكر الزعيم في بعث منظمة شمال إفريقيا ، ونشأت بذلك صورة القومية الجزائرية بجناحيها ،الجناح الكادح الطامع إلى البرجوازية في ذات قيادته المتواطئة مع الحركة اليسارية ،والجناح البرجوازي المتواطئ مع الاستعمار .

[1] مالك بن نبي ،**شروط النهضة** ، مرجع سابق ، ص ص 28 – 31

[2] مالك بن نبي ، **مذكرات شاهد للقرن** ، مرجع سابق ، ص 368

[3] كانت تجمع بين النواب الجزائريين في مجالس العمالات الثلاث من زعمائها (الدكتور بن جلول و الصيدلي فرحات عباس)

والواقع أن الحركة الشعبية في فرنسا تعاطفت مع "نجم إفريقيا الشمالية " في بداية الأمر و هو ما حمل بن نبي على الحكم على الجناح الكادح و قيادته أي النجم و على رأسه مصالي الحاج بالتواطؤ مع الحركة اليسارية لكن النجم فسر الأمر على أنه حزب ناشئ و يحتاج المساعدة للوقوف على قدميه .

أما الجناح الثاني البرجوازي المتواطئ مع الاستعمار – اي النخبة – حاملة الشهادات و المتخرجة من المدارس الفرنسية فكانت تثق فعلا في رسالة فرنسا الحضارية و ترى وسائل الدفاع عن نفسها و عن القضية الجزائرية داخل دائرة تلك الثقافة .

كان بن نبي من أبرز الأعضاء الذين شاركوا في اجتماعات تقرير مصير نجم شمال إفريقيا المزمع بعثه من طرف مصالي الحاج ، لكنه غير صلاته بزعيم الحزب ،بعد حضوره أول مهرجانات الحزب [1] ، وأصبح أكثر اهتمامه بالصراع الذي نشأ في أوساط الطلبة المغاربة ذلك الصراع الذي حاول الاستعمار إذكاءه عن طريق دعم المنشقين الانفصاليين من الطلبة الذين كانوا في أغلبهم من الجزائريين المتمسكين بالبربرية و بعضهم بالمسيحية [2] ، فكان أن وقف ابن نبي ضد الانفصاليين و جابههم بمعارك كلامية منتهزا الفرصة في الدعوة الى الإصلاح و الوحدة المغاربية .

يستخلص ابن نبي من تلك الاتجاهات والحركات الحزبية ككل بأنها ذات هدف واحد وهو الصراع على أن يصبحوا زعماء و أبطال المعارك الانتخابية ،فسلكوا بالشعب ملتويات السياسة بدعوى اختصار الطريق في حين أنهم زادوا في طولها ،تلك هي الحقيقة أمام الجميع كما يقررها مالك بن نبي موضحا أنه :" لولا تدخل مصالي الحاج في الأمر لما وجدت الجزائر نفسها أمام كثير من المشاكلات التي عانتها بعد الاستقلال". و من ناحية أخرى كان مالك بن نبي يتوقع من المثقفين كل مكروه ، فلم يكن يتفق معهم و لا مع مصالي الحاج.

[1] ان المظاهر التي وقف عليها مالك بن نبي في هذا المهرجان من غناء ورقص واختلاط لغرض جمع الأموال هي التي حملت ابن نبي بقطع صلته بالزعيم مصالي الحاج ،إيمانا منه بأنها مظاهر السقوط لا البناء، وكذلك رأى مالك ان في طموح الرجل خطرا على الحزب .

[2] كان ذلك بمثابة النواة لفكرة البربرية أو الأمازيغية التي تبلورت فيما بعد.

وكان رأيه السياسي قائما على مبدأ هو: **"أن أي نظام اجتماعي، لا يقوم إلا على نظام أخلاقي** " فالمظاهرات الصاخبة أعطت لعقول غير مهيئة الفرصة لمعارك وهمية وبطولات تمثيلية .[1]

3- مالك بن نبي و الثورة :

- في مفهوم الثورة :إن الثورة كانت تعني الغضب و الهياج و الوثوب في التراث العربي الإسلامي قبل أن تصبح مصطلحا له محدداته في التطبيقات الاجتماعية المعاصرة ،كما استعملت بمعنى الفتنة و إلى عصر قريب كانت كلمة النهضة تستخدم بمعنى الثورة لأن النهوض يعني الوثوب و الانقضاض و لقد استخدمها هذا الاستخدام جمال الدين الأفغاني و كذلك سعد زغلول [2] ،في ثورة مصر سنة 1919،وعن جدلية الثورة و التغيير يقول مرتضي المطهري :"هناك كلمة لها عناصر تفتقد إليها كلمة التغيير و تحدث على حياة البشر تغييرات ولكن ليس كل تغيير ثورة "،إن الثورة تعني حدوث تغير نتيجة لانتفاضة البشر و تمردهم على وضع معين ،وعندما لا يكون التغيير ثوريا فقد تطرأ بعض التغييرات التدريجية بحيث أن الناس لا يشعرون أنهم يمرون بتغيير رغم أنهم يتغيرون بالفعل ،لكن الثورة عمل يتم عن وعي و هي نوع من التمرد يظهر في الإنسان على وضع معين .

في الأدب السياسي الحديث كلما ذكرت الثورة إلا وقفز الى أذهاننا في الغالب كونها "علم تغيير المجتمع تغييرا جذريا و شاملا للانتقال به من مرحلة تطورية معينة الى أخرى أكثر تقدما ".

أما عن مالك بن نبي فإننا نجده يتساءل في وصيته الأخيرة [3] ، عن معنى الثورة مجيبا أن التعاريف كثيرة وأحسب أن أفضلها ما كان موضحا للجانب العلمي فنقول :"الثورة محاولة لتغيير أوضاع معينة بطريقة مستعجلة

[1] محمد العربي معريش ، **مرجع سابق** ،ص 213

[2] سعد زغلول:(1858 – 1927) زعيم مصري، وقائد ثورة (1919)في مصر وأحد أبرز الزعماء المصريين على مدار التاريخ ،شغل منصب رئيس الوزراء وكذلك رئيس مجلس الشعب .

[3]عن وصيته الأخيرة انظر(مجلة العالم:العدد:244 /1988).

،غير أن قولنا إن الثورة تغيير و أنها مستعجلة غير كاف فيجب أن نقول:" **إنها عملية هادفة و يجب أن تحدد أهدافها ، فالثورة تعني ماهي الأشياء التي يجب أن تتغير؟ و تعني تحديد وسائل التغيير ثم أهداف التغيير.**" [1]

و يستمر مالك موضحا تعريفه للثورة قائلا : " إن الثورة ماهي في جوهرها إلا عملية تغيير، غير أن لهذا التغيير أسلوبه و طبيعته ،فأما الأسلوب فسيتم بالسرعة ليبقى منسجما مع التنسيق الثوري، و أما طبيعة التغيير فإنها تحدد في نطاق الجواب عل السؤال التالي :ما هو الموضوع الذي يجب تغييره ليبقى التغيير متماشيا مع معناه الثوري ؟ [2] .

و مما سبق نستنتج أن مجتمعا ما حين يتجاوز درجة التحمل ، ينفجر عن طريق الثورة كدلالة على وضع النار على البارود كما يقال ،وهكذا تتحرك عجلة المجتمع نحو قدره ،ولكن هل دفع القوة بعد إطلاقها نحو طريقها هو كل شيء ؟

إن تاريخ الثورات في العالم يظهر كم أن مصيرها هش وغير مؤكد بعد انطلاقها[3] ،يؤكد مالك بن نبي على علمية العملية الثورية و يحدد أركانها في ما يلي :

1 – حصول التغيير. 2 – أسلوب التغيير (الكيفية السريعة). 3 – طبيعة التغيير و تحديد الأهداف و المواضيع المراد تغييرها بشكل واضح. 4 – تحديد وسائل التغيير. 5 – اعتماد العقيدة الإسلامية كأرضية للانطلاق . 6 – اعتماد المنهج السليم في الحركة الثورية .

و يعني هذا أن الظاهرة الثورية لم تخضع بعد لعلم معياري مادامت لم تخضع لعناصر الثورة و شروطها وأهدافها، وضابط يضبطها و يراقبها

[1] غازي التوبة، **الفكر الإسلامي المعاصر**، ط3 (بيروت: دار القلم، 1977)، ص 56.

[2] محمد البنعيادي ، **مالك بن نبي ثوريا** ، موقع الشهاب 2013 – 02 –23 ,http://w.w.w.FIKR.com ، 17:45

[3] مالك بن نبي ، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، مرجع سابق ، ص 119

مما يؤدي بالبلاد التي عرفت الثورة إلى أن تجد نفسها – بعد الثورة – في الوضع السابق على الثورة أو أكثر خطورة ، وبالتالي تعود عجلة الثورة إلى الوراء [1] .

لأن نجاح ثورة ما او فشلها حسب رأي مالك بن نبي ،هو بقدر ما تحتفظ بمحتواها أو تضيعه في الطريق ،هذا كله يخضع لقانون ، فالثورة لا ترتجل إنها إطراد طويل ، يحتوي ما قبل الثورة ، و الثورة و ما بعد الثورة و المراحل الثلاث لا تجتمع فيه بمجرد إضافة زمنية ، بل تمثل فيه نموا عضويا وتطورا تاريخيا مستمرا ، وإذا حدث أي خلل في هذا النمو و في هذا التطور فقد تكون هذه النتيجة زهيدة تخيب الآمال .

ويستلهم مالك بن نبي أفكار هذه عن الثورة من الإسلام الذي يرى بأنه كان ثورة كبيرة غيرت وجهة التاريخ البشري ببناءاته الأخلاقية والسياسية والثقافية و الاجتماعية و حتى تستطيع الثورة الحفاظ على شبابها و عطائها و ديمومتها وتحقيق أهدافها بالإضافة الى ما سبق ذكره ،يجب أن نتجنب الثورة بعض الأخطاء التي رصدها مالك بن نبي كتنبيه وتحذير لكل الثوريين الحقيقيين من الغرور الذي قد يصيبهم بعد النجاح الأولي للثورة كتحويل سلطة سياسية من يد لأخرى أو إعادة تنظيم الإدارة او أجهزة العدالة أو تغيير العملة و تعديل النظام الاقتصادي ،لأن هذا كله ليس إلا مظهرا من مظاهر الثورة لا غير ،بل الهدف هو الحفاظ على المنهج المحدد يقول مالك :" **إن لكل ثورة منهجها ،يتضمن المبادئ التي تسير عليها كما يتضمن فحوى القرارات التي ستمليها عليها ظروف الطريق** "[2]، فالثورة كما يرى مالك بن نبي قد تتغير الى "**لا ثورة** " بل قد تصبح "**ضد الثورة** "بطريقة واضحة أو خفية ، و الأمر الذي لا يجوز ان يغيب عن أذهاننا في هذا الصدد هو أن مجتمعا ما بمقتضى طبيعته البشرية ينطوي على خمائر من روح ما ضد الثورة طبقا لمبدأ التناقض تناقضا مستمرا حتى في فترة ثورية ،نستطيع تتبع آثاره في تاريخ كل الثورات بحيث لا يكفي أن تدفع عجلة الثورة في وطن ما، بل يجب أن تتبع حركتها ورقابتها بعد ذلك، ويضرب مالك بن نبي مثالا عل ذلك بربان السفينة الذي لا يكفيه أن يقلع بسفينة في اتجاه معين ،بل يجب عليه أن يراقب السير على طول الطريق من أجل تعديل المسار والاتجاه من حين إلى حين.

[1] – محمد البنعيادي ، **مالك بن نبي ثوريا** ، مرجع سابق

[2] محمد البنعيادي ، **مالك بن نبي ثوريا** ، مرجع سابق

الثورة يجب أن لا تخشى أخطاءها لأن أي ثورة قد تخطيء، بل إن الثورة التي تخشى أخطاءها ليست بثورة ، و لكن الخطر الأكبر كما يقول مالك هو حينما تكتشف الثورة خطأها ثم تلتفت عنه ، وفي هذا الصدد نذكر قول ماركس:(يجب دائما أن نكشف الفضيحة عندما نكتشفها حتى لا تلتهمنا) [1] .

– **مالك بن نبي و ثورة التحرير الجزائرية** : في اول نوفمبر 1954 قامت ثورة مسلحة في الجزائر من اجل تحرير الوطن من سلطة الاحتلال الفرنسية التي دامت أكثر من قرن ،ماذا كان موقف مالك بن نبي ؟ من هذه الثورة ؟ وكيف تعامل مع قادتها ؟ .

اعتبر مالك بن نبي الثورة الجزائرية تجسيدا لأفكاره على أرض الواقع، فيقول في كلمة الإهداء لكتابه في مهب المعركة:"**إلى شهداء الثورة الجزائرية الذين حققوا بدمائهم الأحلام التي تعبر عنها هذه الصفحات** ".

ولكنه بقي موضوعيا إذ لم يجعل ابن نبي من نفسه المنظر الوحيد لثورة أول نوفمبر لأنها أيضا ثمرة جهود جمعية العلماء المسلمين حسب رأيه فيقول :"و في الواقع إذا وضعنا أنفسنا في رؤيه زمنية تعود بنا الى الماضي و تشمل الفترة الواقعة بين سنة1930و هي تقريبا السنة التي أسس فيها العمل الإصلاحي ، و بين سنة 1954وهي سنة انطلاق الثورة فإننا نجد أن تاريخ هذا البلد يسير في نطور تصاعدي ". ويضيف مالك :"إن كل الطاقات الأخلاقية والسياسية وكل الطموحات والضغوطات المتراكمة خلال تلك الفترةهي التي تسنح للبلد أن يتجاوز المرحلة الصعبة من تاريخه و أن يدخل في خضم ثورته التي ستكون بالضبط ذروة هذا التطور التحضيري ،إن رأس المال الثوري الذي كان متوافرا عشية الواحد من نوفمبرتشيرين الثاني من سنة 1954، كان في الأساس ثمرة هذا التطور الذي قامت الحركة الإصلاحية فيه بدور رئيس [2] .

عند اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر كان مالك بن نبي في فرنسا ، و في سنة1955إنعقد مؤتمر بان دونغ ، وفي هذه الأثناء ألف مالك بن نبي كتابه فكرة كومنويلث إسلامي ،غير أن دار النشر "العتبة " رفضت طبع الكتاب وطالبت منه التراجع عن أفكاره ،ما فرض عليه السفر خفية إلى مصر التي كانت دولة مؤسسة لمنظمة

[1] مالك بن نبي ، **بين الرشاد و التيه** ، مرجع سابق ، ص ص 15 – 16

[2] مولود عويمر ،**مالك بن نبي رجل الحضارة** ،مرجع سابق ،ص ص 26 – 27

الدول الأفروآسيوية ،كما أسست أمانة لذلك وكان السادات يرأس الأمانة فاقترح مالك على هذه الأخيرة كتابه فوافقوا على طبعه بالفرنسية ، و بالموازاة مع ذلك يتصل مالك سنة1956 ببعثة جبهة التحرير في القاهرة [1]فيقول مالك في هذا الصدد : " **فإنني بمجرد وصولي الى القاهرة وضعت نفسي تحت تصرف من يتكلم باسم الثورة الجزائرية ،ولم اقتنع بالعرض الشفهي بل كتبت الى المسؤولين هذا الخطاب** [2] .

وكان مالك آنذاك قد قارب الخمسين من عمره حين وضع نفسه تحت تصرف الثورة إما كمؤرخ لأحداثها وإما كممرض ، لكنه لم يتلقى الرد على رسالته ، وعن سبب عدم تلقيه أي رد من قادة الثورة في القاهرة يجيب مالك قائلا: **"ربما اعتقد المسؤولين أن الثورة الجزائرية ليست في حاجة الى تطوعي ،و ربما فكروا أن مؤهلاتي ليست كافية**"[3] . و يضيف تلميذه "عبد الرحمان بن عمارة" في حوار أجرته معه جريدة البلاد الى تلك الأسباب أسباب أخرى و هي الندية في أوساط الفاعلين في الثورة ، وكذا تدخل بعض الأطراف التي كانت ترفض ان تسلط الأضواء على نقاط الظل و خبايا النزاعات الزعماتية في تاريخ الثورة من قبل شخص يحظى بصيت ثقافي و معرفي ذائع ،وعلى هذا الأساس بقيت الرسالة التي بعث بها مالك لقيادة الثورة أو البعثة الخارجية في مصر بلا رد [4] .

لكن حفيد عبان رمضان الدكتور "بلعيد" يشير في كتابه الأخير: "بن بلة ،كافي وبن نبي ضد عبان رمضان الأسباب الخفية للحقد" ،إلى أن الأمين دباغين [5] توجس خيفة من مالك بن نبي حيث كان لا يثق به ،و أن مالك قد قصد القاهرة من أجل الحصول على منصب ضمن الوفد الخارجي للثورة هناك ،كما اتهم عبان رمضان

---

[1] عبد الرحمان بن عمارة، **بن نبي لم يقدح في عبان الإنسان بل انتقد الفكرة و الأيديولوجية** ، (جريدة البلاد: العدد 3730 ،1 مارس 2012)، ص 13

[2] للاطلاع على نص الخطاب انظر كتاب:مالك بن نبي ،**في مهب المعركة** ،ص ص 80 – 81 . أو انظر الملحق رقم: 2

[3] مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، مرجع سابق، ص 81

[4] عبد الرحمان بن عمارة، **بن نبي لم يقدح في عبان الإنسان بل انتقد الفكرة و الأيديولوجية** ، مرجع سابق .

[5] الأمين دباغين :(1917 – 2003) ،كان من بين أعضاء حزب الشعب البارزين حيث مثل النخبة المثقفة في الحزب عين ضمن الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني ،ثم عضوا في المجلس الوطني للثورة في (1956) ثم عضوا بلجنة التنسيق و التنفيذ ووزيرا للشؤون الخارجية في التشكيلة الأولى للحكومة المؤقتة.

مالك بن نبي بالعمالة للنازية بتنقله الى ألمانيا ، و في نفس الإطار إي علاقة مالك بقيادات الثورة فقد حذر" مصطفى الأشرف" [1]، من فكر مالك بن نبي و خاصة فكرته الشهيرة القابلية للاستعمار لأنها في نظره تضفي الشرعية على الاستعمار، لكن المؤرخ "الصادق سلام "يرد على هذه الاتهامات بقوله :"إن كل تلك الاتهامات باطلة ولا أساس لها من الصحة ،و هذه الاتهامات جاءت من قبل أحد المدافعين على عبان رمضان و في ذلك محاولة لتشويه صورة مالك بن نبي لأن مالك بن نبي كان من أشد المعارضين لمؤتمر الصومام" ،واعتبر مالك في كتاباته أن عبان رمضان قد خان المبدأ الذي قامت عليه الثورة الجزائرية ،هذا بالرغم ان مالك لم يكن يعرف عبان رمضان معرفة شخصية ،والتهمة التي وجهها له ليس فيها شيء من الشخصية او الذاتية و لا من معاني الانتقام ، بل مالك انتقد الفكرة و الأيديولوجية ،أما عن تحفظات الأمين دباغين عند وصول بن نبي و بن ساعي الى القاهرة حيث أستقبلا استقبالا حارا من طرف بن بلة و خيضر ،كما أن الدكتور دباغين لم يكن في تلك الفترة رئيسا للوفد بالقاهرة ،و لم يطلب بن نبي أي منصب أبدا من الوفد الخارجي و يضيف الصادق سلام: "بل كتب بن نبي رسالة الى الوفد الخارجي يطمئن فيها قائلا إنني لست مرشحا لأي منصب "[2]، أما عن إتهام مالك بن نبي بالموالات للنازية فان ذلك مجرد أكذوبة بحسب رأي صادق سلام حيث يقول " إتهام مالك بن نبي بالتعامل مع نظام فيشي أكذوبة جاءت ضمن الأجواء الطارئة التي عاشتها فرنسا في (1944 – 1945) و كان هذا الاتهام نتيجة وشاية كاذبة جاء بها عمدة مدينة (DREUX) موريس فيوليت الذي كان قد تواطأ مع الألمان عند احتلالهم المدينة سنة 1940 ولسوء حضه فقد اكتشف مالك بن نبي أمره و هذا ما دفعه لمحاولة الانتقام من مالك بن نبي بأي طريقة ما دفعه بالوشاية عليه و اتهامه باطلا لتبرأة نفسه " [3]. و عن زيارته الى ألمانيا يذكر تلميذه عبد الرحمان بن عمارة أن الألمان آنذاك كانوا قد جندوا كل رجالهم فاضطروا للإفراج عن السجناء الفرنسيين ، لكن مقابل فرنسي آخر يشتغل في ألمانيا فاقترحت صديقة لزوجته أن يذهب مالك للعمل في ألمانيا مقابل الإفراج عن زوجها ، فوافق بن نبي خاصة أنه كان بدون عمل فتنقل إلى ألمانيا ، و عينه العمال

[1] مصطفى الأشرف : من مواليد مارس (1917) بمنطقة العذاورة ،القي عليه القبض في حادثة اختطاف الطائرة (1956)كان من أبرز منظري مؤتمر طرابلس ،كما تبوء منصب وزير التربية بعد الاستقلال.

[2] يذكر الصادق سلام في هذا الشأن أنه سينشر قريبا هذه الرسالة ضمن مجموعة من النصوص الغير معروفة لمالك بن نبي

[3] الصادق سلام ، **مالك بن نبي و ثورة 1954** ، www.binnabi.net ، 2013/03/13، 19:22

الفرنسيون هناك مسؤولا عنهم في الفيطوهات المخصصة لهم من قبل الألمان ، لكن مالك بن نبي رجع الى مدينة (DREUX) في فرنسا سنة 1943 و عندما غادرها الألمان سنة 1944 ودخلها الفرنسيون قامت القوات الفرنسية باعتقال مالك بن نبي بتهمة التعاون مع الألمان وتم سجنه ولكن أطلق سراحه بعد 08 أشهر لأن ملفه كان فارغا ، وفي سبتمبر من نفس السنة ألقي عليه القبض مجددا ، بمناسبة عودة العمال الفرنسيين من ألمانيا لعلهم يقدمون شهادات ضده لكن شهادات العمال كلها كانت في صالح مالك بن نبي ، فتم الإفراج عنه دون محاكمة و تمت تبرئته من تهمة التواطؤ مع الألمان [1] .

نلاحظ أن أغلب الذين هاجموا مالك بن نبي هم من فئة المثقفين و حاملي الشهادات الذين يبدوا أنهم انزعجوا من العبارات التهكمية المستعملة في كتب مالك بن نبي و مقالاته مثل مصطلح "مثيقفون" ، أي الذين ينسبون كل المشاكل الى " الجهل " و لكنهم زادوا في حدة هذه المشاكل بعجبهم و غرورهم وبثرثرتهم ، يقول ابن نبي "أنه يفضل الأميين الذين لازالوا على الفطرة و متأثرين ببقايا الثقافة الإسلامية على حاملي الشهادات الرافضين التخلص من عقدة إنسان ما بعد الموحدين "القابل للاستعمار ضمنيا " رغم مرافعاته اللفظية ضد الاستعمار ، كما أنه استعمل كلمة تهكمية أخرى هي بوليتيك و تعني ممارسة السياسة الغير مجدية من قبل المثقفين الذين يهملون إصلاح ما بالأنفس ويتعدون عن المجهود التربوي (و ليس التعليمي فقط) الذي تتطلبه السياسة العقلية التي دعا إليها ابن خلدون ،واستعمل عبارة تهكمية اخرى هي "زعيميون" أي مصغر لمصطلح "زعيم" وبهذه العبارة يسخر من "مثيقفي الجيل الثاني " من الحركة الوطنية الذين شموا في أنفسهم رائحة الزعامة ،فكان ذلك سببا في خلافات جذرية بين مالك و بين هذه الفئة السياسية التي لا تزال تحقد عليه ، كما شكلت فكرة مالك بن نبي "القابلية للاستعمار" و التي صاغها سنة 1948 نقطة خلاف بينه وبين قادة الثورة الذين رءوا أن الرجل لا يساير أطروحاتهم و خاصة هجوم مصطفى الأشرف و هو من أهم المثقفين في تلك المرحلة ، لكن الصادق سلام يرجع ذلك الهجوم من الأشرف على مالك الى تنافس القطبين في ذلك الوقت (ثقافيا)،ويضيف "لعل مصطفى الأشرف كان أكثر انزعاجا من غيره ، لأنه يكون قد شم في نفسه رائحة الزعامة الفكرية عند ما نشر سلسلة من

[1] عبد الرحمان بن عمارة ، **حوار حول مالك بن نبي** ، www.binnabi.net ، 08:15 2013/03/15

المقالات حول "بطولة الريفيين" في مجلة يسارية اسمها" العصورالحديثة " (LES-TEMPS-MODERNES) إلا أن مدح و مجاملات محرري هذه المجلة لمصطفى الأشرف تزامن مع صدور عدد كبير من المراجعات الإيجابية لكتاب بن نبي "وجهة العالم الإسلامي" ، وقد أثنى على بن نبي الأساتذة و الباحثون الكبار الذين وقعوا هذه المراجعات في مجلات مختصة رفيعة المستوى ، أما الإحباط الثاني الذي أصاب الأشرف فهو نصيحة الرئيس بومدين له ذات مرة بوضع كتاب حول حياة المفكر مالك بن نبي واصفا اياه "بأكبر مفكر في العالم الإسلامي المعاصر" ، وهذه السوابق تسببت في عدم إنصاف الأشرف لمنافس له في الزعامة الفكرية من طراز مالك بن نبي و أما قول الأشرف بأن فكرة "القابلية للاستعمار" تضفي الشرعية على الاستعمار فهو بعيد عن الحقيقة لأن مالك أكثر من هاجم الاستعمار حين وصفه" بالشيطان" و بأنه عرقلة لسير التاريخ و أنه أخطر من النازية [1] .

في عام 1957 ألف مالك بن نبي كتيبا تحت عنوان "النجدة للجزائر ،الشعب الجزائري يباد" وهي صرخة و دعوة للضمير العالمي لأن يقف إلى جانب المطالب الشرعية للجزائريين وعلى رأسها الاستقلال و التحرر من الاحتلال الاستعماري الفرنسي كما تحدث مالك عن الثورة الجزائرية في برنامج صوت العرب الذي كانت تبثه إذاعة القاهرة، حيث كان مكتب الإعلام آنذاك يعد حديثا يوميا ، يبث ليلا من إذاعة صوت العرب تحت عنوان : وفد جبهة التحرير يخاطبكم من القاهرة ، كان هذا الحديث في البداية بالعربية فقط ، ثم أصبح يبث كذلك بالفرنسية في ساعة متأخرة من الليل ، وكان يعد الحديث بالفرنسية كل من كيوان و فرنسيس و حسب الشاهد لم تكن تنج هذه الأحاديث دائما من الرقابة ، كان ذلك مثار احتجاجات متكررة ، تؤدي الى انقطاعات طيلة أسبوع كامل .

[1] الصادق سلام، **مالك بن نبي و ثورة 1954**، مرجع سابق

و في غضون 1957 انظمت عناصر جديدة إلى مكتب الإعلام ، منها مالك بن نبي و عبد القادر بن قاسي و يؤكد محدثنا بخصوص مالك بن نبي (انه كان معنا ولم يكن في نفس الوقت) و بعبارة اخرى إن ما كان يكتبه لا يذاع في معظم الأحيان ،و ذلك بسبب أنه لم يكن يتقيد بالتعليمات و التوجيهات "[1].

لقد بارك بن نبي إنطلاق الثورة التي كان في انتظارها منذ الثلاثينات ، لان أول نوفمبر حسب مالك بن نبي قد أخرج الجزائر من المأزق الذي أدخلها فيه السياسيون من المثقفين ،و كان يرى أن مهندسي الثورة أخذوا هذه المبادرة جراء تخلصهم من "القابلية للاستعمار" ،كما أنه لم يكن ضد أبواب فتح الثورة أمام كل التيارات ، إنما انتقد تنصيب صنف من السياسيين على رأس الثورة ، خاصة بعد مؤتمر الصومام 1956، وانتقد توجهاتهم الغربية و الاشتراكية ، ورأى في مواقفهم ابتعادا عن روح أول نوفمبر ، ناقش أفكاره هذه في ندواته الأسبوعية في القاهرة ، وواصل انتقاداته تلك بعد الاستقلال[2].

[1] محمد عباس ، **مثقفون في ركاب الثورة (في كواليس التاريخ 2)**،(الجزائر : دارهومة للطباعة و النشر و التو زيع ، 2009) ،ص 64 .

[2] مولود عويمر ، **مالك بن نبي رجل الحضارة** ،مرجع سابق ، ص ص 26 – 27 .

الفصل الثالث: مشكلة الاستعمار في فكر مالك بن نبي

المبحث الأول: في مفهوم الاستعمار عند مالك بن نبي

1- تاريخية الاستعمار في فكر مالك بن نبي

2- سيكولوجية الاستعمار

المبحث الثاني : فكرة القابلية للاستعمار

عقد المستشرق العلامة ليوبولد قابس[1] فصلا في كتابه العظيم الإسلام على مفترق الطرق بعنوان " شبح الحروب الصليبية "، قال فيه : " إن اليونانيين والرومان نظروا إلى أنفسهم على أنهم وحدهم المتمدينون أما كل من كان أجنبيا عنهم وعلى الأخص أولئك الذين كانوا يعيشون شرق البحر الأبيض المتوسط ، فقد كان اليونانيون والرومانيون يطلقون عليهم لفظ "البرابرة" ومنذ ذلك الحين والأوروبيون يعتقدون أن تفوقهم العنصري على سائر البشر أمر واقع، ثم إن احتقارهم إلى حد بعيد أو قريب لكل ما ليس أوروبيا من أجناس وشعوب أصبح إحدى الميزات البارزة في المدنية الغربية، هذا هو التصور النفسي، للانفعالات الغائرة في أعماق الروح الأوربية ،الانفعالات التي انبثقت منها تلك النظرة المتعالية والمتكبرة التي ترمي بها أوروبا الأجناس الملونة في أي بقعة من بقاع الكوكب الأرضي، خارج المحيط الأوربي [2] .

المبحث الأول: في مفهوم الاستعمار عند مالك بن نبي

مفهوم الاستعمار:

الاستعمار لغة: اشتقت الكلمة من مادة العمران في شيء من التفاؤل.[3] من ذلك قول ابن منظور: وأعمره المكان، واستعمره فيه، جعله يعمره.

وفي التنزيل قوله تعالى: "**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ". سورة هود – الآية 61.

أي أذن لكم في عمارتها واستخراج قوتكم منها وجعلكم عمارها[4].

[1] ليوبولد قابس : أسلم بعد سياحة دراسية عميقة في الشرق الإسلامي ، و تسمى باسم محمد اسد ، و أصبح من كبار دعاة الفكرة الإسلامية العالمية .

[2] جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده ،**العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى**، ط 3 ، (القاهرة : دار العرب 1993) ، ص23

[3] محمد عوض ، **الاستعمار و المذاهب الاستعمارية** ، ط 3 (مصر : دار المعارف ،1957) ، ص36 .

[4] ابن منضور ، **لسان العرب** ، 4 /601 .

استعمر : استعمارا ، عمره في المكان أي جعله يعمره و الاستعمار مشتق من المصدر عمّر: وهو أن تمتلك دولة بلاد غيرها كلها أو جزءا منها .

الاستعمار اصطلاحا: قيام دولة بفرض حكمها أو سيطرتها السياسية أو الاقتصادية خارج حدودها على شعب دولة أجنبية، وعلى غير رضا أهلها، وتستهدف السيطرة إلى استغلال الإقليم وسكانه[1].

هو مجموعة الأعمال التي من شانها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة أو جماعة منظمة من الناس، على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم، أو على سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان في أن واحد[2]. يعني مصطلح الاستعمار:(colonialisme) وضعا يقوم في ارض يحتلها زمرة من الأجانب سلما أو عنوة فعاشت فيها واهتمت بعمارتها واستغلالها، في كنف البلد الأصلي لتلك الزمرة وحمايته، وعقدت مع سكانها الأصليين علاقات تتسم بالتسلط وإنكار حقوقهم الطبيعية[3].

ويمكن تقسيم الاستعمار إلى ثلاثة أنواع :

أولا – **الاستعمار العسكري الاستيطاني** : وهو أن تقوم دولة باحتلال ارض دولة أخرى بالقوة وتعمل على تهجير أبناء البلد المحتل ،ومن ثم توطين أفراد منها داخل البلاد المستمرة والاستيلاء على أراضيها من قبل المستوطنين بقوة دولتهم الاستعمارية كما حدث في الجزائر وكما يحدث في فلسطين اليوم .

ثانيا– **الاستعمار العسكري:** هو قيام دولة بفرض حكمها أو سيطرتها السياسية أو الاقتصادية خارج حدودها على شعب دولة أجنبية وعلى غير رضا أهلها، بحيث تعتمد أساسا على الاحتلال العسكري.

ثـالثا– **الاستعمار الفكري والسياسي والاقتصادي:** هو قيام دولة قوية بإحكام السيطرة على دولة ضعيفة فتفرض عليها سيطرتها السياسية والاقتصادية مع إبقاء الدولة المستعمرة الضعيفة أمام العالم كأنها دولة مستقلة ،أي

[1] أحمد عطية الله ،**القاموس السياسي** ، ط 4 (القاهرة : دار النهضة العربية ، 1980) ، ص 74–75

[2] محمد عوض، **مرجع سابق** ، ص36

[3] رفيق جويجاني ، **الاستعمار** ، http ://www .arab.ency.com ، 20–03 – 2012، 13:10

تعترف باستقلالها وسيادتها، فلا تستخدم الاستعمار العسكري، بل تستعمر العقول والأدمغة فتجعلها تبعا لها وتكوين جيل من الشباب يسير في ركابهم ويحملون ثقافتهم الغريبة عن واقعهم وتراثهم الثقافي والحضاري وتجعل القرارات السياسية لهذه الدولة بيد الدولة المستعمرة ،وذلك عن طريق الاتفاقيات بينهما بحيث تكون مفيدة للدولة المستعمرة [1].

1- تاريخية الاستعمار عند مالك بن نبي: الاستعمار من الوجهة التاريخية نكسة في التاريخ الإنساني، لأننا إذا بحثنا عنه فسنجد أصوله تعود إلى روما، حيث وضعت المدنية الرومانية طابعها[2]، في العهد الذي كانت فيه الحروب الفينيقية[3] ، بما تتصف به من شدة معاملة تعبر عنها تلك الكلمة المأثورة التي كانت يرددها كاتون في كل مناسبة " **لابد أن تحطم قرطاجة**"، كانت تلك الحروب إرهاصا للحروب الاستعمارية كأنها تنذر بتلك المذبحة التي ستحدث في أمريكا يوم ينزل بأراضيها بيزار[4] . وقد أعقبها العهد الإسلامي الذي كان في الواقع تجربة من نوع جديد في تاريخ العلاقات بين الشعوب، فنحن لا نرى الحكم الإسلامي قد استعمر بما في هذه الكلمة من معنى مادي منحط، بل كان فتحه للبلاد كجنوب فرنسا واسبانيا وإفريقيا الشمالية، لا لاستغلالها ولكن لضمها للحضارة الإسلامية في الشام والعراق وليس لاحد ان ينكر هذه الحقيقة محتجا بأن انعدام التفرقة السياسية، إنما يعود إليه إن شعوبه كانت متوحدة في الدين، فان الواقع التاريخي يشهد وأقباط مصر ويهودها يتشهدون بأن الإسلام لم يكن يعم البلاد كدين بل كحضارة[5].

أ/ ظاهرة التوسع الاستعماري الحديث: شهد القرن التاسع عشر وخاصة الربع الأخير منه وحتى سنة 1914 ظاهرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم ، وهي امتداد أوروبا إلى خارج أوروبا لتبتلع بصفة شبه كلية كل من قارتي إفريقيا وآسيا ومناطق واسعة من قارات العالم الأخرى، وتعود جذور هذه الظاهرة إلى نهاية القرن الخامس

---

[1] حسن موسى محمد العقبي ، **مرجع سابق** ، ص 76

[2] مالك بن نبي ، **شروط النهضة** ، مرجع سابق ، ص 148

[3] الحروب الفينيقية : عرفت بالحروب البونية وهي ثلاثة حروب قامت بين (246ق م إلى 146 ق م) بين روما و قرطاجة

[4] مالك بن نبي ، **في مهب المعركة** ، ترجمة عمر مسقاوي، ط3، (دمشق : دار الفكر 1981)، ص19 .

[5] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مرجع نفسه،ص147

عشر الميلادي في التوسع الذي اشتهر باسم حركة الكشوفات الجغرافية[1]. كان ذلك مع زيادة مصادر الطاقة في أوروبا من بخار وفحم حجري مع عصر التنوير، فهبت ثورة التصنيع بأوروبا بأكملها لتعيد صياغة العلاقة بين الحكام والشعب، والعامل ورب العمل على أسس جديدة فكانت المحاولة الأولى الأوروبية في اتجاهين بعد هذا الانقلاب التصنيعي الأول هو تطوير الآلة وزيادة إمكانية تلبيتها للحاجة للاستغناء عن الإنسان ما أمكن في سوق العمل، والثاني محاولة التمدد بالغزو خارج حدود بلادهم لتوفير المناجم والأسواق ، تدعمت في أوروبا بعد ذلك قيمة الكميات والأرقام، وبدأت الجوانب الروحية والإنسانية تنسحب تدريجيا أمام هذا الغزو المؤلل الذي كشف عن جشع رجل السلطة، ومالك المؤسسات ورؤوس الأموال فانهارت مع هذه الغريزية المادية أطر القيم الاجتماعية، وفقد التوازن الروحي المادي في الشخصية البشرية عندهم، فسادت علاقات أشبه ما تكون بشرعة الغاب لا تقيم وزنا لإنسانية الإنسان[2].

ومن سوء حظ الإنسان أن نسيت أوروبا أو تناست هذه التجربة اليوم وهذه الصورة البشعة التي مارس فيها الاستعمار الأوروبي من خلال أفراده البحث عن الحظ ترقت في الجشع والتسلط لتصبح عنصرية تتنكر لأبسط قواعد حقوق الإنسان وبهذه الصورة أصبح الفرد الأوروبي يحمل جراثيم الكبرياء دائما لأنه تلقاها من الجو الأمومي الذي يتكون فيه منذ الطفولة ويتكون فيه تصوره للعالم والإنسانية، فهو يعتقد على وجه الخصوص أن التاريخ والحضارة يبدآن من أثينا[3] ويمران على روما ثم يختفيان من الوجود لمدة ألف سنة ليظهرا من جديد بباريس في حركة النهضة، أما قبل أثينا و بعد روما ، فليس شيء يذكر في ذهن الفرد المشحون بالكبرياء[4] يقول بن نبي "إن جميع الوسائل قد اتخذت لمحو الحضارة الإسلامية من سجل التاريخ البشري ، من أجل ذلك زور الكتاب الغربيون التاريخ ، حتى ضهر في عيون من أخذ عنهم أن التاريخ البشري ليس تلك السلسلة التي تتصل

[1] جمال قنان ،**التعليم الاهلي في الجزائر** ، مرجع سابق ،ص289.

[2] اسعد السحمراني ،**مالك بن نبي مفكر اصلاحيا** ، (بيروت : دار النفائس ، 1984) ، ص118

[3] اثينا : مدينة يونانية تاريخية وعاصمة اليونان اليوم ، كانت زعيمة الحضارة في بلاد الإغريق القديمة ، ومنبع الحضارة الغربية ،عرفت بفلاسفتها على غرار افلاطون و ارسطو و ابيقور.

[4] اسعد السحمراني ،**مرجع نفسه** ، ص120.

فيها جهود الأجيال وإنما في نظرهم تلك المسافة المختزلة التي تبدأ من الأكروبوليس[1] في أثينا وتنتهي عند قصر شايو بباريس[2] ،أو أكثر من ذلك بقليل ولو أنهم دققوا النظر لوجدوا هوة كبيرة تفصل حضارة أرسطو وحضارة ديكارت، وان تلك الهوة من القرون هي الحضارة الإسلامية غير إن المدنية الحاضرة تخطت الحضارة الإسلامية التي تحمل رسالة الإنسانية لتأخذ من الحضارة الرومانية روحها الاستعمارية ، ومن هنا نرى الاستعمار قد رجع بالإنسانية في التاريخ ألف عام ما قبل الحضارة الإسلامية [3].

وهذا الموقف العنصري فيه تزوير للحقائق وجناية ضد تاريخ الفكرة العامة، وتاريخ العلوم خاصة وخطورة العنصرية هذه المرة وصلت إلى الطليعة، إلى الطبقة المتعلمة التي تلعب الدور التوجيهي في العقل الأوروبي ولكن هذا التزوير ليس مصادفة إنما هو جزء من مخطط الاستعمار في سلب الشعوب قواعد حضارتها وركائز أصالتها، حتى يدعها في فوضى وتخبط بعد أن يعقد لها ما بين أيديها من حقائق، لكي تستمطرهم الرحمة فيما بعد، فيمدّوها بما يريدون من بقايا ثقافية بهدف نقلهم إلى مزيد من التخلف[4].

2- سيكولوجية الاستعمار:

عندما ينزل جيش أجنبي بأرض شعب فان هذا الشعب يكون معرضا ليرى، إما احتلالا مؤقتا في بلاده، وإما عملية ضم تضعه نهائيا تحت سلطة شعب آخر وكلا هذين الاحتمالين له خصائصه بالنسبة للشعب الذي يتعرض لهما.

أ/ الاستعمار يفتح وجهة ثالثة في التاريخ: أما الاحتلال المؤقت فانه لا يؤثر في حياته إلا بصفة عابرة كمجرد حدث يخضعه مؤقتا لحاجات جيش أجنبي يفرض متطلباته من حيث الأمن والتموين في البلد المحتل وذلك طبقا

[1] الأكروبوليس: معبد يوناني قديم يقع في العاصمة اليونانية (اثينا) على قمة تل ،يعد من اشهر المعابد اليونانية القديمة، ويعني مصطلح (الاكروبوليس) باليونانية القديمة المدينة العالية.

[2] قصر شايو: ويضم القصر عدد من المتاحف مع مساحة تقدر ب 22.000م مربع يعد اكبر مركز معماري في العالم

[3] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مرجع سابق، ص148.

[4] أسعد السحمراني ، **مرجع سابق** ، ص 121

لشروط يهيمن عليها قانون عسكري ينتهي نفوذه مع تصفية الوضع الحربي، وأما في حالة الضم فإن الأشياء تتخذ اتجاها آخر يؤثر في حياة الشعب الذي جرت عليه عملية الضم من الداخل، حتى انه يغير أحيانا مصيره في التاريخ بصورة مطلقة .

ومن هذه الاعتبارات العامة، نتصور ما قد يكون الموقف في الجزائر غداة نزول الجيش الفرنسي برأس سيدي فرج ، فالجزائر كانت معرضة للإحتمالين اللذين وصفناهما لولا الاستعمار، فنجد أن مرور قرن من يوم الاحتلال يبين أن الجيش الفرنسي لم ينزل بأرضنا لاحتلال مؤقت ولا لمجرد الضم بالمعنى التقليدي للكلمتين إن الاستعمار أدخل في التاريخ وجهة ثالثة هي الإستعمار ذاته.

إن نزول الجيش الفرنسي برأس سيدي فرج سنة 1830 وإعلان حالة الحرب التي دشنت الحضور الفرنسي بالجزائر كانت تخفي حقيقة تاريخية ابعد من فكرة الفرنسة، بل كانت تهدف إلى خلق مجتمع جديد لا هو بالجزائري ولا بالفرنسي وهذا ما أثبتته الحقيقة التاريخية.

فلو اتخذنا سنة 1830 كنقطة بداية لتاريخ التطور الاجتماعي بفرنسا و الجزائر لرأينا ان التطور لم يسر في البلدين في نفس الإتجاه عندما لم يكن النمو العلمي والصناعي قد اثر في الحياة الاجتماعية ولم يحدد صورتها الجديدة، كان مستوى المعيشة للشعبين متساويا، وربما وجدنا أن الشعب الجزائري يتمتع بيسر مادي أكثر من الشعب الفرنسي، حيث كان الإنتاج الزراعي متوفرا نسبيا في الجزائر أكثر من فرنسا [1].

لكن سرعان ما وضع الاستعمار يده على كل الثمرات التي ينتجها التراب الجزائري التي كانت تتيح العيش الرغيد لكافة الشعب الجزائري ،لأن الاستعمار فسر على أن كل الثمرات التي تنتجها الأرض الجزائرية على أنها ثمار جهده وعبقريته، ومهما يكن فقد كان في استطاعة الشعب الجزائري سنة 1830على الأقل أن يقتفي خطوات الشعب الفرنسي، عبر قرن البخار و الكهرباء بينما نرى في نهاية الأمر أن الشعب الفرنسي يصل وحده إلى عتبة العهد الذري، ونجد الشعب الجزائري في قافلة المتخلفين، وعندما نعبر عن هذا الواقع بلغة النسبية، فإننا نقول : " **إن قرنا من حياة مشتركة لم تخفف من التخلف بين الشعبين بل زادت فيه وفي هذه اللغة تتصور**

[1] مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، مرجع سابق، ص 34

الأشياء خلال القرن الذي مضى كان الشعب الفرنسي انطلق إلى الأمام بينما الشعب الجزائري رجع إلى الوراء" هذا هو الاستعمار المحضر الذي أتى لوضع حد لما يسميه "القرصنة الجزائرية" ليجد الجزائريون أنفسهم بعد مدة وجيزة من الاحتلال مطرودين من الملاحة بقانون احتكار الراية وسار الأمر على هذا المنوال في كل الاتجاهات الأخرى ولا يمكن أن نتصور هذه الحالة الدرامية بطريقة أحسن من الإشارة إلى جانبها المضحك، فهناك قصة طريفة ترددها الألسن في مدينة تبسة، فقد دعي جزائري كان يطلب وظيفة في الإدارة الخاصة بالشؤون الأهلية للمثول أمام الحاكم الفرنسي كي يختبره، وبعد أن خرج الجزائري من مكتبة سجل الحاكم هذه الملاحظة: "فكر خطير، إنه يعرف الحساب إلى العشرة ".

يمكننا فعلا أن نعتبر الوضع الاستعماري في البلد، كعملية حجر على موارده كلها لحساب المستعمر وحده ، أو إن الاستعمار ينصب نفسه مثلما ينصب العرف أو السلطة الشرعية شخصا يقوم بمصالح القاصر حتى يبلغ رشده وليس مفهوم الحماية في العرف الدولي الخاص في عهد الاستعمار إلا امتداد لمفهوم "الحضانة" في العرف الشخصي، رغم ما يحمل هذا الامتداد من تعسف نحو حقوق الشعوب المستمرة، على أن الشيء الذي تعارف عليه الناس هو انه إذا حدث في تصرف من تسند إليه حضانة القاصر، أيّ أمر يخل بمصلحة هذا القاصر فإن المجتمع يتدخل كي يلغي حضانة لا تفي بشروطها، خاصة إذا استهدف الحاضن إبقاء القاصر في حالة قصور بوسائل غير شريفة، بتزييف إدراكه وفكره وبتلويث طبيعته[1].

ولكن مهارة الاستعمار في إخفاء وإنكار الوقائع لا يفوقها شيء كما تدل على ذلك وقائع مشهورة كاختطاف الملكة "رنا فالو"[2] ملكة مدغشقر أو كما تدل أعمال لصوصية أخرى يفسرها الاستعمار على أنها عقود ومعاهدات كميثاق "الجزيراس" أو عقد قصر الباردو الذي وضع تونس تحت الحماية الفرنسية .

إنه يعرف كيف يضفي القابا رنانة على عمليات الاستغلال والقرصنة، ولا يكتفي الاستعمار فقط باختلاس مصالح القاصر الذي وضعه سوء حضه تحت حمايته بل يختلس ذاته بالإقرار بأنه قاصر إلى الأبد، وغير قابل

[1] مالك بن نبي ، **في مهب المعركة** ، مرجع سابق ، ص ص 35-41

[2] الملكة التي اختطفها الجنرال غاليني كي يبرر بوجودها بين يديه سكوتها المحتم قبول الحماية الفرنسية على الجزيرة الكبيرة

للتطور وبذلك يفقد مفهوم الحضانة معناه الشرعي والأخلاقي، هذا الوضع هو الصورة الحقيقية لموقف الاستعمار إزاء مصالح الشعوب المستعمرة المعنوية و المادية، بل قد يذهب الاستعمار أبعد من ذلك في الشذوذ، فهو لا يستهدف تحطيم القاصر ماديا فقط، بتطبيق ما يتطلب هذا التحطيم من اختلاسات حقوق، وسلب أملاك وفرض مخالفات مشتركة وضرائب من كل نوع، ومن تنمية البطالة في البلاد، بل إن هدفه ابعد من ذلك فهو يريد تحطيم كل إرادة أو شبه إرادة تدفع القاصر إلى التقدم أو الحضارة ببرنامج يتضمن كل ما يتطلبه هذا التحطيم المعنوي من تلويث أخلاقي يحط من قيمة الفرد الشخصية، ومن كفاءته ومن جهده في المسابقة الاجتماعية، فكلما وضع الاستعمار الترتيبات اللازمة لإفقار المستعمر ماديا، فإنه يتبعها بالترتيبات الخاصة، بتلويثه الأخلاقي، ليزيد الإفتقار والتلوث معا في إتساع الهوة التي يجعلها أمام القاصر حتى لا يستطيع بلوغ رشده نهائيا.

وهكذا ندرك لماذا يفضل الاستعمار إضفاء شيء من الغموض حول مواقفه إزاء قضية تحرير الشعوب المستعمرة حتى إذا اضطرته الظروف الدولية للحديث في مثل هذا الموضوع فانه يفضل أن يتحدث عن مراحل التحرر اللازمة دون أن يحدد طبيعة هذه المراحل ولا مدتها هذا بالنسبة إلى المستوى الدولي.

أما بالنسبة إلى علاقة الحامي بالقاصر مباشرة، فان الأشياء تكون على جانب أكثر من الوضوح، فكل مطالبة من قبل القاصر للمستعمر كي يعترف برشده يعتبر خروجا عن الطاعة وصاحبه يرتكب في نظر الاستعمار، أو في أقواله جريمة التعصب والعنصرية والحقد على الأجنبي، لتضعه تحت رحمة قانون قمع يطبق بصورة رسمية في محاكمات مزعومة ،أو عن طريق التنفيذ الخاص، حيث تطبق القانون إما يد حمراء أو يد بيضاء.

حقا إن فوضى الاستعمار تبلبل المفاهيم وتزيف الواقع، وتذبذب الكلام ولكن الذروة في هذا كله نبلغها عندما يحاول الاستعمار تعقيد الأشياء التي سلبها قواعدها، وصيرها شواذا لا تتصل بقاعدة ،إننا نبلغ الذروة عندما نرى الاستعمار يحاول إدخال هذا الشذوذ تحت حكم قواعد يضعها هو، وهكذا تمر هذه الأيام بمحاولة من هذا النوع وبالأحرى تمر بمحاولات لربط هذا الوضع الشاذ بقواعد يطلق عليها منوني [1] الموقف الاستعماري وعندما تتصل هذه المحاولات بالمستوى الفكري، فإنها تدهشنا لأنها تكشف لنا إلى أي حد تبلغ السلطات الاستعمارية في تعذيب

[1] منوني استاذ مدغشقري، كتب أطروحة عن الاستعمار واخذ مالك من افكاره .

المفاهيم الشرعية، وتدليسها كي تفتعل منها القواعد اللازمة للكائنات الشاذة التي ولدها الاستعمار مثل " السيادة المشتركة " [1]، فهذا المفهوم الجديد هو احد تلك الكائنات التي تكونت في ذلك المناخ الخصب من الشذوذ الذي ولد الاستعمار فيه وولّد ،فمن طرائف الطبيعة ما يحكي عن ذلك الطير الذي يبيض بيضاته في عش غيره من الطيور ،بعد أن يلقي ما يوجد من بيض في ذلك العش على الأرض فيكون صاحب العش مضطرا هكذا على قبول ما يفرخ في عشه من غير صلبه .

فالمستعمرلا يسلب أشياء الشعب المستعمر فقط بل يستولي أيضا على نفسه، وهذا الاختلاس كما لو قال الطير المختلس: العش المشترك [2] ، يتلخص عمل الاستعمار في أمرين مهمين حسب مالك بن نبي وهما:

أولا: مدارس تخرج مجموعات بشرية قابلة للسيطرة الأجنبية.

ثانيا: تلويث أخلاقي للشعوب المغلوبة مع إفقار ثقافي واقتصادي.

وإذا ما أفلت أحد من المثقفين منى براثن المخطط الاستعماري، وامتاز بعقل مستنير وتوجيه سليم في المجال الثقافي والسياسي، وكان منضبطا في مسلكه قادرا على التأثير بالناس، وتحريكهم باتجاه الأهداف السليمة من خلال بساطته وثقافته، فإن المستعمر يحاربه أولا بالإغراء أو الإغواء لكي يحوله إلى عميل له، يروج له بضائعه وأفكاره، وإذا فشل في ذلك فإنه ينتقل إلى أسلوب ثاني وهو تأليب الشعب عليه، وإثارة الإشاعات حوله عبر أبواق الاستعمار المأجورة [3] .

انه التخريب الذي يمارسه الاستعمار ضد أفكارنا أو صراع الأفكار، ذلك العام الخفي الذي يديره الاستعمار بذكاء لكن في جنح الظلام، وهكذا يصبح للصراع الفكري ظروفه الخاصة بالنسبة لمن يجد نفسه متورطا فيه في بلاد مستعمرة كالجزائر أي في بلاد كانت تجهل أن معركة أفكار كانت تدور في إرجائها، فيأبى هذا الاستعمار

[1] السيادة المشتركة: صنع هذا المصطلح ،الغريب يوم كانت المعركة التحريرية تبلغ ذروتها بمراكش.

[2] مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، مرجع سابق، ص ص41، 47

[3] اسعد السحمراني ،**مالك بن نبي مفكر إصلاحيا** ، مرجع سابق،ص124

أن يعزل من دخل المعركة حتى ليجد نفسه في وضع الفدائي الذي يخوض المعركة على حسابه الخاص دون أي قاعدة تموله وتسلح كفاحه.

ربما تلخصت هذه السياسة الاستعمارية في ذهن أحد الساسة الغربيين عندما صرح قائلا: "**إن سياستنا لا تخطئ لأنها علم** "فبقدر ما نتصور إن العلم لا يخطئ، فان هذا السياسي يكون محقا في كلامه، انه تركيب بالغ الدقة والاستعمار يتقن تركيبه بدقة صانع الساعات العبقري، فهو يكون لها جهازا صالحا لتحويل أي فكرة تظهر في البلاد المستعمرة " **إن كلمة استعمار هي أخطر سلاح يستخدمه الاستعمار واحكم فخ ينصبه للجماهير** "[1]، وما من خائن يدسه الاستعمار في الجبهة التي تكافح فيها الشعوب المستعمرة ، إلا و كانت كلمة استعمار هي التي تفتح له الأبواب المغلقة في عواطف الجماهير .

إن الاستعمار شيطان بحيث يحسب حسابا لكل أعماله وأقواله، حتى لا ينفك الاتصال بين مصالح مركب الأفراد، وبين انفعالات الشعب أي بين شهوات البطون، المؤثرة وبين الأوضاع في خطة الاستعمار الاستراتيجية، التي تقضي في حالة التطبيق:

أولا: أن يضرب الاستعمار كل قوة مناهضة له تحت أي راية تجمعت.

ثانيا: أن يحول بين في كل الظروف بينها وبين أن تتجمع تحت راية أكثر فعالية.

" **انه يحول بين الفكر والعمل والسياسة حتى يبقى الأول غير مثمر والثاني أعمى**".

وهو من اجل هذا، يطبق طريقة التجميد، التي تطبق في جبهة القتال لتجميد القوات عند نقطة معينة، أو الطريقة التي تطبق في بعض الألعاب الإسبانية إنهم يلوحون بقطعة قماش احمر أمام ثور هائج في حلبة الصراع، فيزداد هيجانه بذلك وبدل أن يهجم على المصارع يستمر في الهجوم على المنديل الأحمر الذي يلوح به حتى تنهك قواه، كذلك يفعل المستعمر فهو يلوح في مناسبات معينة بشيء يستفز به الشعب المستعمر حتى يثير غضبه

[1] عمر مسقاوي ، **مقاربات حول فكر مالك بن نبي** ، مرجع سابق ، ص 137 .

ويغرقه في حالة شبيهة بالحالة التنويمية حتى يفقد شعوره ويصبح عاجزا عن إدراك مواقفه، وعن الحكم عليه حكما صحيحا، فيوجه ضرباته وإمكانياته توجيها أعمى ويسرف من قواه دون أن يصيب بضربة صادقة المصارع يمكننا أن نصف الاستعمار بالبطل في الألعاب الاسبانية في المجال السياسي ويمضي الشعب الباسل في هذا النوع الدرامي، كأنما تضحياته ذاته من النفس والنفيس جمدته وقضت عليه بالبقاء فيما هو فيه.

وهكذا نصل إلى استنتاج جد غريب في السيكولوجية السياسية، وهو أن السياسة العاطفية لا تجد مبرراتها فيه كسبها ولكن في خسارتها، فكلما انقطعت أنفاس الثور ونزف دمه في حلبة الصراع، يزداد هجومه على المنديل الأحمر، والاستعمار يعلم إن هذه المحركات هي ليست من مواهب ضمير، ولكن من خصائص أمعاء لذلك يستمر المستعمر في تحريك المنديل كي لا يترك فرصة للشعب المستعمر يتدارك فيها ويفكر في أمره، وإن ينظر إلى مشكلاته بمنطق الفعالية أي أن يضعها طبقا للأسس السياسية العلمية [1].

الصراع الفكري هل لهذه الكلمة معنى في البلاد المستعمرة ؟،وهذه البلاد على العموم تجهل قيمة الفكرة في مصير المجتمعات كما تجهل دقة الخطط التي ترسمها من اجل التحكم في مصير الشعوب المتخلفة عن طريق أفكارها، وبعبارة أخرى إن الشعوب المستعمرة تعيش الصراع الفكري وتسجل نتائجه السلبية في حياتها أو ميزانيتها وفي أخلاقها دون أن تعلم عن حقيقته شيء وتترك المعركة في وجوه نشاطها نتائجها المتنوعة، دون أن تشعر تلك البلاد أن معركة مرت بإرجائها فالأمر كما بيننا، إن الأشياء تمر علينا دون أن تصل إلى شعورنا لأننا نمر على سطح الأشياء دون أن نصل إلى مكنونها ويمكننا أن نصف حالة قد حدثت فعلا عندما ظهرت الطبعة الفرنسية من كتابي "شروط النهضة " بالجزائر وضع الاستعمار أصبعه على الزر الخفي فانطلق التيار المضاد بثلاثة ردود أفعال: فقد صدر رد الفعل الأول في جريدة جمعية العلماء المسلمين في مقالتين يصف صاحبهما الكتاب بأنه في مجمله مقتبس من مقالات نشرتها جريدة باريسية كبرى [2]، هي لسان حال الحكومة الاستعمارية تقريبا، بإمضاء مراسلها في القاهرة، ثم أتى رد الفعل الثاني في جريدة حزب وطني في مقالتين أيضا يتظاهر صاحبهما بنقد نزيه للكتاب فأورد نقده تحت عنوان " خطوة مخطئة واحتيال "، ووصف الجناح الشيوعي الكتاب

[1] مالك بن نبي ،**الصراع الفكري في البلاد المستعمرة** ، (دمشق : دار الفكر 1399هـ-1979) ، ص 62

[2] هي جريدة " العالم " أو le monde

في جريدته المركزية بأن الكتاب ليس موجها للجزائريين وبأنه كتاب يستحق الرضا من الاستعمار، ويطرح مالك التساؤلات التالية في هذا الشأن، بالنسبة لمقال العلماء كيف عرف صاحب المقال أن كتابي ينسب لجريدة باريسية مع علمنا أنه لا يقرأ تلك الجريدة ؟ لقد حول الاستعمار المعركة التي كانت بينه وبين كاتب يدافع عن قضية إلى معركة بين الكاتب وبين هيئات وطنية كان بالإمكان أن تكون في صفه لولا صراع الأفكار وهذه الخطة التي تحول طبيعة المعركة لصالح الاستعمار تطبق بنجاح في ميدان كفاح الجماهير،كما تطبق في ميدان كفاح الفرد، فحينما تكون الأحداث والظروف وحدة كفاح شاملة ضد الاستعمار، نرى هذا الأخير يشرع في خلق وحدات كفاح جزئية حتى يحدث الخلاف و التنافس بين القوى التي تقاومه وهذه الخطة تحقق للاستعمار هدفين: أولا التحطيط من المستوى الروحي أو الإيديولوجي الذي كانت تدور المعركة ضده، وثانيا تشتيت القوى الموجودة في المعركة.

فإما النتيجة الأولى فإنها تنساق بطبيعة الحال، فالمعركة إذا ما فقدت طابعها كوحدة شاملة فإنها تفقد بذلك من معنوياتها وشيئا من قداستها في نظر الجماهير ولأن قوى الإستعمار تعرف جيدا أن" **أكبر لحظات التاريخ هي دوما اللحظات التي تتكون فيها وحدة كفاح شاملة ضد الطبيعة أو ضد البشر**" ، وبمجرد ما تنقسم وحدة الكفاح الشاملة إلى وحدات كفاح جزئية حتى يحدث الانحطاط والهبوط في المستوى الروحي فإن القوى المكافحة تتبدد وهذه هي النتيجة الثانية[1].

ويضرب مالك بن نبي مثالا بواقعة صفين[2] التي فصمت برأيه الوحدة الشاملة التي بناها الرسول صلى الله عليه و سلم بأمر من ربه فأحطت بذلك من مستوى المعركة التي بدأت يوم بدر، وهذا التخطيط أو الهبوط الإيديولوجي لم يلبث أن آتى نتائجه المشؤومة في الميدان السياسي وهكذا تتجدد المشكلة، فالاستعمار يدبر مكائده عن معرفة تامة بالنفسية المسلمة، فهو يعرف النقص الذي يمنع عقولنا من أن تضع بين الوقائع الارتباط اللازم الذي يجعلنا نضعها تحت قاعدة موحدة ونستخلص منها حقيقة عامة، بل يطغي على عقولنا التفكير "الذري" الذي يعتبر

[1] مالك بن نبي ،**الصراع الفكري في البلاد المستعمرة** ، مرجع سابق ، ص 63

[2] **موقعة صفين** :هي المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان سنة 37 هـ, بعد موقعة الجمل بسنة تقريبا.

الوقائع والأحداث مجزأة منفصلة فردية، دون أي رباط عضوي بينها، كأنماهي في مجموعها لا تكوّن وحدة معينة أي حلقة من التاريخ، وفصلا من فصوله، وإنما تكون في النظرية الذرية كوما من الأحداث والوقائع جمعتها الصدفة وعلى سبيل المثال فان الجزائري المعاصر لنا يذكر ،دون لبس أو شك كيف ولد سنة 1936 المؤتمر الجزائري المشهور وكيف قتل في مهده وقد كان يمثل أهم مرحلة في تطور الشعب الجزائري السياسي، بعد الحرب العالمية الأولى، كما كان يمثل بالنسبة للإستعمار أخطر الظروف التي عرفها في سياسته الجزائرية منذ 1830، لقد كان المؤتمر يحمل في روحه ، و في النزاعات التي و رثها عن الكفاح الطويل الذي سبقه ، ما يؤهله ليكون في توجيه الحياة السياسية في الجزائر العنصر الفعال ، فقد قام ليكون في البلاد جهازا سياسيا فوق الأحزاب ، يجعل الإدارة الاستعمارية وجها لوجه مع الشعب الجزائري ذاته، لا مع القادة السياسيين فشعر الاستعمار أنه سيفقد وسائل التأثير، والرقابة على سياسة البلد، إذ ما خرجت من تصرف القادة، بوضع هذا التصرف تحت نضر الشعب، و إذا به يلوح بالمنديل الأحمر فيغتال مفتي الجزائر، حتى تكون جثته مبررا للإدارة الاستعمارية في إصدار الأوامر الصارمة ثم يلقي من ناحية أخرى بحفنات من النقود في ضمائر بعض القادة، فيذهب المؤتمر بعد ذلك قتيلا ، و يصبح هباءا خلال شهر واحد ، ما كافح من اجله الشعب الجزائري ربع قرن[1]

ولا شك ان التاريخ السياسي الحديث، في اي بلد مسلم سجل فصلا كهذا، أعني أن الإستعمار يشعل نفس الأوضاع النفسية ، فهو يثير الغضب الأعمى عند الجماهير و يغذي شهوات القادة ، و هكذا تستطيع المختبرات المختصة أن تصرف كل إمكانياتنا الفكرية، و المادية إلى معارك وهمية، نسمع فيها قعقعة السلاح، ودوي الحرب ولكننا في الحقيقة نصارع أشباحا تحركها أمام أبصارنا المسحورة يد خفية ماهرة .

و تبين من خلال بعض المقارنات الحديثة، أن عهد المعارك الوهمية ضد الأشباح لم ينقضي بعد في عالمنا الإسلامي ، كما رأينا ذلك سنة 1948 حينما خسرنا معركة وهمية ضد شبح إسمه إسرائيل ، كان يحركه أمام

[1] مالك بن نبي ،**الصراع الفكري في البلاد المستعمرة** ، مرجع سابق ، ص 64

أبصارنا المسحورة ذلك الحاوي الماهر المستر تشرشل [1]، و تلميذه الشاطر ترومان [2]، **أو بكلمة مختصرة إننا لا زلنا مستعدين لنصرف من الوقت و المال و الجهد و الفكر دون جدوى**[3] .

[1] السير ونستون ليونارد سبنسر تشرشل (1874-1965) ولد في إنكلترا ، كان رجل دولة قوي وجندي و مؤلف و خطيب مفوه ، أحد أهم الزعماء في بريطانيا .

[2] هاري ترومان : (1884- 1972) الرئيس المريكي الثالث و الثلاثون ، صاحب الأمر في إطلاق قنبلتي هيروشيما و ناكازاكي خلال الحرب العالمية الثانية .

[3] مالك بن نبي ،**الصراع الفكري في البلاد المستعمرة** ، مرجع سابق ، ص ص 64-67

المبحث الثاني: فكرة القابلية للاستعمار

عرفنا في ما سبق كيف يؤثر المعامل الاستعماري لتضييق نشاط الحياة في البلاد المستعمرة، حتى تكون مصبوبة في قالب ضيق، يهيئه الاستعمار في كل جزئية من جزئياته، خوفا من أن تتيح الحياة المطلقة لمواهب الإنسان أن تأخذ مجراها الطبيعي إلى النبوغ والعبقرية، فهو يرينا كيف يؤثر الاستعمار على الفرد من الخارج ليخلق منه النموذج للكائن المغلوب على أمره، و الذي يسميه المستعمر في لغته الأهلي. [1]

ولكن قدَّم المفكر الجزائري مالك بن نبي في كتابه « شروط النهضة » 1948 مقاربة متميزة للظاهرة الكولونيالية مقاربة، ظلت متميزة حتى بالمقارنة مع المفكرين الذين جاءوا بعده بعقود ليتناولو هذه الظاهرة. لقد كان مالك بن نبي أعمقَ رؤية، عندما قال إن لقيام الاستعمار ظروفا ذاتية وموضوعية.

فعلى مستوى الظروف الموضوعية تحدث مالك بن نبي عن **المُعامِل الاستعماري** الذي يخدع الضعفاء، ويخلق في نفوسهم رهبة ووهماً ويشُلُّهم عن مواجهته بكل قوة، أما على مستوى الظروف الذاتية للشعوب المستعمَرة فتحدث مالك بن نبي عما سماه **مُعامِل القابلية للاستعمار**، وهو معامل ينبعث من داخل الفرد الذي يقبل على نفسه السيرَ في تلك الحدود الضيقة التي رسمها الإستعمار، وحدد له فيها حركاتِهِ وأفكارَه وحياتَه .

لذلك يرى مالك بن نبي أن الاستعداد النفسي من لدن الشعوب المستعمَرة للخضوع للاستعمار عامل قوي لاستدامة بقاء الإستعمار، مستشهدا بقولة مأثورة لأحد المصلحين حين قال : " **أخرِجوا الاستعمار من نفوسِكم يخرجْ من أرضِكم**"[2] .

أ/ في مفهوم مصطلح القابلية : لقد أضاع العالم الإسلامي أكثر من قرن في معالجة مرض أسماه الاستعمار، بينما نرى أن المرض الحقيقي لم يكن الاستعمار القادم إلينا من خارج استعدادنا لاستقباله ، بل هو في مكنونات ذلك الاستعداد، و الدليل على ذلك بسيط يقدمه لنا الواقع المؤلم اليوم وهو أن الاستعمار قد غادر هذه المساحة

[1] وهو الذي يعرفه مالك بقوله : إن الأهلي في نضر الاستعمار هو كل رجل غير أوروبي فهو اهلي ، بتعبير اللغة الفرنسية indigène

[2] الحسن الرويجل ، **الاستبداد و القابلية للاستعمار** /http://eplume.wordpress.com ، 18/07/2011 ، 14:46

من الأوطان، ولكن هل نحن نشعر أن الأوضاع الاجتماعية أو الخلقية أو الثقافية أو الإنسانية قد تغيرت بطريقة جوهرية ؟ إن مرض القابلية للاستعمار و المتفشي في عالمنا الإسلامي ليس جديدا ولا غريبا بل هو ضاهر بّين في ضعفنا، و لكن يمكن أن المشكل يكمن في المصطلح ذاته و سنعطي مثالا على ذلك، لقد جاءت المقدمات التي تعلن من بعيد القرون، قدوم الإستعمار واحتلاله للأوطان الإسلامية، فقد جاءت من غير مصدر واحد، بل من مصادر كثيرة، فمثلا نجد ابن خلدون يذكر في مقدمته، وفي عبارات عامة عن التاريخ، وهو يكتبها قرنا بعد سقوط بغداد و قرنا قبل سقوط غرناطة، يقول هذه الكلمات الغريبة و كأنما هو يلمح إلى ما سوف يأتي وهو يتأمل الرقعة الإسلامية من شرقها إلى غربها: " و كأني بالمشرق ينزل به ما نزل بالمغرب على نسبة أملاكه " ثم يضيف " و كأنما لسان الكون ينادي بالتقلص والأفول فاستجاب" . هذه الفقرة من عبارة بن خلدون إذا وضعناها في سياقها التاريخي أي وسط قرنين، قرن مضى لسقوط بغداد و قرن آت لسقوط غرناطة ، سنجد أن ابن خلدون كان ينذرنا بلغة ذلك الزمن من التقلص و الأفول لكن دون ذكر لكلمة "استعمار" ، إذ كان المصطلح غير موجود في ذلك الزمان فالمصطلح لم تكونه بعد الظروف التاريخية، فلو قلنا لابن خلدون في ذلك الزمان استعمار ما كان ليفهم الكلمة بمعناها المعاصر إذ المصطلح جديد عليه، وكذلك نجد كلمة القابلية للاستعمار فالمصطلح لم يكن مألوفا عندما طرح مالك فكرته الشهيرة القابلية للاستعمار، ما ولّد ردّة فعل عنيفة من طرف الكثير من معاصريه .

كان في أوائل القرن السابع عشر سفير لملك إسبانيا " كارلوس الخامس " كان سفيرا في المملكة المراكشية ، كان يكتب تقريرا دبلوماسيا حسب مصطلحات العصر لملكه يقول " مولاي ، الأمور تجري هنا في مراكش، كأنما الله أراد ان يهيء لك السبل "، طبعا هو ايضا يفقد هذا المصطلح الذي صنعناه وهو الاستعمار، لكن لماذا صنعنا مصطلح القابلية للاستعمار؟ لأن التاريخ صنع مصطلحا قبلنا أطلقه على أوضاع معينة أسماه الاستعمار **فكان من واجب المسلمين ان ينتبهوا إلى أن الاستعمار هو مجرد بذرة حقيرة صغيرة ما كان لها أن تنبت و تأتي أكلها لولم تهيأ لها التربة الخصبة في عقولنا و نفوسنا** [1] .

[1] مالك بن نبي، **مجالس دمشق**، ترجمة :عمرمسقاوي ، ط1، (دمشق: دار الفكر، 2005)، ص ص 53، 54

يؤكد مالك بن نبي على أن مشكلتنا نحن في العالم الإسلامي أننا لم ندرس الاستعمار دراسة علمية ، كما درسنا هو حتى أصبح يتصرف في بعض مواقفنا الوطنية وحتى الدينية من حيث نشعر أو لا نشعر ،"**إن الاستعمار لا يتصرف في طاقاتنا الاجتماعية إلا لأنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة ، و أدرك منها موطن الضعف ، فسخرنا لما يريد ، كصواريخ موجهة يصيب بها من يشاء ، فنحن لا نتصور إلى أي حد يحتال لكي يجعل منا أبواقا يتحدث فيها واقلاما يكتب بها ، إنه يسخرنا و أقلامنا لأغراضه يسخرنا له بعلمه و بجهلنا**"[1].

لقد أخذ مالك يدرس الاستعمار كواقع موجود أمامه، وقام بتقسيمه إلى قسمين، أطلق على الأول اسم المعامل الاستعماري، وأطلق على الثاني اسم معامل القابلية للاستعمار.

يقصد مالك بمصطلح "المعامل" ما يفرضه الاستعمار على حياة الفرد من عامل سلبي ، يسميه بالمصطلح الرياضي اسم المعامل، والمعامل الاستعماري يقصد به وجود الاستعمار خارج النفس البشرية كواقع ظاهر للعيان، يعمل على تحطيم الفرد المستعمر بوسائل ظاهرة ، وذلك بوضع العراقيل أمام المستعمر، فهو" تهديم في جوهر الفرد المستعمر ومحو عبقريته ، بالإنتقاص من قيمته، وتحطيم قواه الكامنة فيه، وذلك عن طريق الحط من قيمته بطرق فنيه ، كأنه معامل جبري وضع أمام قيمة كل فرد ، بقصد التنقيص من قيمته الإيجابية [2] ، حيث يحرف منهجياً معادلة الفرد المستعمر، باستخدام أنواع من العراقيل متعددة، يصادفها الفرد في طريقه ، لتضييق نشاط الحياة في البلاد المستعمرة حتى تكون مصبوبة في قالب ضيق يهيئه الاستعمار في كل جزئياته، خوفاً من أن تتيح الحياة المطلقة لمواهب الإنسان أن تأخذ مجراها الطبيعي إلى النبوغ والعبقرية، فهذا من الناحية الجدلية، خارجي بكيفية ما، لأنه يرينا كيف يؤثر الاستعمار على الفرد من الخارج ليخلق منه الكائن المغلوب على أمره .

وهذا المعامل يؤثر في حياة الفرد في جميع أطوارها، يؤثر فيه وهو طفل إذ لا يمده المجتمع بما يقوي جسده وينمي فكره، أو يهيء له مدرسة أو توجيهاً، ولسوف يؤول صاغراً إلى ماسح أحذية، أو سائل ، يتخلى عن كل

[1] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مرجع سابق، ص 155

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مرجع نفسه، ص 14

عزة وكرامة بإراقة ماء وجهه، أما إذا دخل مدرسة وتعلم ثم تخرج من الجامعة، كم يلاقي ذلك الفتى المسلم في سبيل الحصول على وظيفة حقيرة إذا بلغ مبلغ الرجال، فإن كل الأعمال التي تقوم عليها حياته الاجتماعية لا تنالها يداه إلا بشق الأنفس [1]

أما المعامل الثاني فهو معامل القابلية للاستعمار : والمقصود به الهزيمة النفسية التي يصاب بها المغزو، ليصبح قابلاً للاستعمار وهو معامل داخلي نفسي، وهو المفهوم الأشهر لمالك و يقول في ذلك : " **إنه معامل القابلية للاستعمار، وهو المعامل المقابل للمعامل الاستعماري إنه يمثل الهزيمة النفسية التي يصاب بها المغزو ليصبح قابلا للاستعمار، و تبعاته بل مدافعا عنه ، وهو معامل داخلي نفسي ، يجعل الفرد يستبطن مفاهيم المستعمر عنه ، و يقبل بالحدود التي رسمها المستعمر لشخصيته، و يقبل بالمصطلحات التي تقلل من شأنه ، و يأخذ في ترديدها ، حتى يصبح لها تأثيرا نفسيا على ذاتيته، ليس ذلك فحسب، بل نراه يدافع عنها، و يكافح ضد إزالتها**" .

إن الفكرة البنابية ترى أن مشكلة العالم الإسلامي هي مشكلة داخلية بغض النضر عن المشكلات و الضغوط و المؤامرات الخارجية، أي أنه حتى وإن استبعدنا وجود و توحش الاستعمار للدول العربية الإسلامية فإن العطب و الخلل الداخلي هو كاف وحده بتأخير المسلمين، و تخلف بلادهم يقول مالك بن نبي في كتابه الصراع الفكري في البلاد المستعمرة " **إن الاستعمار قد جاء إلى العالم الإسلامي نتيجة مرض اساسي عندنا هو القابلية للاستعمار ، وهو نتيجة الصراع الفكري الذي خطط له الاستعمار، و أحسن إحكام الخطة، لقد سلط الاستعمار الأضواء على المشكلات الهامشية بينما ترك في الظلام كل رؤية منهجية سليمة ، تفتح الطريق أمام حركة التاريخ** " [2].

فالمعامل الاستعماري عند مالك بن نبي هو عامل خارجي يفرض على الكائن المغلوب على أمره، والذي يطلق عليه المستعمر اسم " الأهلي " نموذجا محددا من الحياة والفكر والحركة، وحين يكتمل خلق هذا النموذج يظهر

[1] حسن موسى محمد العقبي ، **مرجع سابق** ، ص80

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مرجع سابق، ص 152

من باطن الفرد معامل " القابلية للاستعمار "، و يضيف مالك بن نبي " إن اول مظاهر فاعلية هذا المعامل هو قبول ضحية الاستعمار اسم الأهلي ، و يستغرب مالك أشد الاستغراب حينما يرى مثقفين جزائريين يلقبون أنفسهم بهذا الاسم فيقول ففي هذه الحقبة الطويلة من الزمن كان على الإنسان أن يحتقر نفسه وان يتحلى بلقب انديجين كي يتناغم مع وضع استعماري لا شفقة فيه، والمثقف في الجيل السابق كان يطالع جريدة " صوت الأنديجين"[1] أو بالأحرى " صوت المحتقرين"، و إذا تعين عليه ان يكتب شيئا فموضوعه يتحدد في ذهنه بقابلية للاستعمار، مثلما نشر أحد المثقفين حوالي عام 1925 كتابا عنوانه "يا الله " وأردف هذا العنوان بعنوان آخر يفسره " أو كيف يأمر الأوروبي الأنديجين حتى يطيعه " [2] ، فقبول الاسم حسب رأيه معناه أننا قد أخذنا أنفسنا بالمقياس الذي تقيسنا به إدارة الشؤون الاستعمارية .

إن مالك يركز على هذا المعامل كثيرا ، و يعتبره هو الانتكاسة النفسية للذات المغلوبة أمام الذات الغالبة ، حتى تشعر بأن كل ما يقوله ويصفه ويضعه المستعمر هو الصواب و لذلك يرى مالك أنه لكي نتخلص من الاستعمار الجاثم على قلوبنا علينا أولا ان نتخلص من القابلية له فيقول " **إن القضية عندنا منوطة اولا ، بتخلصنا مما يشغله الاستعمار في نفوسنا من استعداد لخدمته من حيث نشعر أو لا نشعر ، وما دام له سلطة خفية على توجيه الطاقة الاجتماعية عندنا ، و تشتيتها على ايدينا ، فلا رجاء في استقلال ، ولا امل في حرية ، مهما كانت الأوضاع السياسية** " [3].

حينما يبرز مالك مشكلة إنسان ما بعد الموحدين فإن هذا يعكس انتقاده للذين يريدون الإصلاح عن طريق معالجة الأعراض بدل الرجوع إلى العلة الأولى، فهم ينظرون إلى المشكلة على أساس أنها مشكلة جهل أو مشكلة فقر أو مشكلة مرض، ويرون الحلول في وضع العلم مقابل الجهل، والغنى في مقابل الفقر، والصحة في مقابل المرض، دون وضع إطار عام للمشكلة وفق سنن عامة متماسكة بينما القضية حسبما يراها مالك ليست

[1] صحيفة صوت الأهالي la voix indigène لصاحبها ربيع زناتي ، ضلت تدافع بلا كلل من 1929إلى 1942 عن سياسة الإدماج و عن قيم المدرسة اللائكية الجمهورية .

[2] مالك بن نبي ، **بين الرشاد و التيه** ، مرجع سابق ، ص ص 44،45

[3] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مرجع سابق، ص 153

قضية أدوات ولا إمكانات. إنها في أنفسنا، ولذلك نجده يرى أن مشكلة الإنسان تواجهنا حيثما اتجهنا. وهو يبحث نفس الحقيقة حتى يبتكر مصطلحاً آخر ، معامل القابلية للاستعمار، صحيح أن الإنسان الأوروبي مصاب بجرثومة المعامل الاستعماري حيث إنه لا يرى غير الأوروبي كإنسان، بل يراه كفرد من أبناء المستعمرات، ولكن الاستعمار ليس سبب كل ما حل بنا من نكبات، بل هو نتيجة لتركيب شخصيتنا قبل وصول الاستعمار فالمسلم كان مصاباً بجرثومة معامل القابلية للاستعمار قبل وصول المستعمر، والمصاب بمعامل القابلية للاستعمار يطالب بحقه وينسى واجبه، مع أن الحقوق على المجتمع تأتي نتيجة لتأدية الواجبات، فالقرآن الكريم يرجع البلاء إلى النفس لا إلى الغير، قال تعالى: (**أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم)** (سورة آل عمران 165). و قوله تعالى **(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)** (سورة الشورى 30) [1] .

القرآن يقلب تصورا الناس بفكرة ظالمي أنفسهم إن القرآن يهتم بالظلم الذي يلحقه الإنسان بنفسه أكثر من اهتمام القرآن بالظلم الذي يلحق الإنسان من الآخرين فهذا ما كان سيدنا عمر يفهمه جيدا وذلك حين كتب الى المجاهدين قائلا لهم :" وأنا أخوف عليكم من ذنوبكم أكثر من قوة أعدائكم عليكم" .

إن القرآن لما أطلق فكرة ظلم النفس وظالمي أنفسهم و **(ما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)** وقد قال لأهل أحد حين أصابهم القرح وقالوا : أنى هذا فقال الله لهم :" قل هو من عند انفسكم " ، ولم يقل لهم إن ما أصابكم من قوة أعدائكم وحذقهم أو تسلطهم وإنما قال لهم من خطئكم هذا قانون الله الذي يؤكده كثير من المفكرين حين يبدؤون حديثهم ويختتمونه بهذه الفكرة القرآنية بشعور منهم أوبدون شعور، وهذا تقدم في العالم الإسلامي والعرب وكل مستضعفي الأرض والرسول (ص) يؤكد هذا في الحديث القدسي حين يقول :" **يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا**

[1] الحسن الرويجل ، **الاستبداد و القابلية للإستعمار ،** مرجع سابق

نفسه" ، هذا قانون الله وقول خاتم الأنبياء والمبشر بآيات الآفاق والأنفس في تحقيق علم الله في الإنسان بالتخلص من الفساد في الأرض ، وإن كنا نحن لانزال نلوم كل أحد ما عدا أنفسنا [1] .

صحيح أن المستعمر يريد منا بطالة يستغلها بثمن بخس، ويريد جهلاً يستغله، ويريد انحطاطاً في الأخلاق حتى يجد منا وسيلة لمحاربة الفضيلة، ويريد منا أفراداً يغمرهم الذوق القبيح، ولكنه لم يكن له أن ينجح في مساعيه لولا وجود القابلية لدينا للاستجابة له. فالاستعمار كالمفتاح، والقابلية للاستعمار هي العقل الذي يناسب المفتاح، والاستعمار لا يستطيع عمل شيء إلا بوجود أمة مصابة بالقابلية للاستعمار، والإنسان المصاب بالقابلية للاستعمار لم يصنع الاستعمار، بل وجده متمثلاً في إنسان ما بعد الموحدين وحين تحتل القوات الغازية بلاداً لا يكون سكانها مصابين بمعامل القابلية للاستعمار فإن هذا يكون احتلالاً لا استعماراً، مثال ذلك احتلال ألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية، فقد بقي الألماني ممتلكاً لصفاته التي كانت لديه قبل الاحتلال، ولذلك لم يمض على ألمانيا عشر سنوات بعد تهديمها إلا وقد عادت حضارتها إلى ما كانت عليه، فعالم الأفكار إذا بقي سليماً فعلاً أمكنه إعادة عالم الأشياء حتى بعد زواله بينما عالم الأشياء لا يستطيع بناء عالم الأفكار ، و على العكس من ذلك يرى مالك ان دولة مثل اليمن و التي لم تفقد استقلالها يوما لم تفد شيئا من ذلك الاستقلال، فمالك يرى أن المشكلة الاستعمارية مشكلة نفسية بالأساس ، لذلك نجده يحث الأفراد و الدول العمل على تصفية الاستعمار من النفس الإنسانية اولا فيقول " **فتصفية الاستعمار في الأرض تشترط تصفيته في الإنسان بل يجب أن تتقدمها**" [2].

و يضيف مالك في كتابه وجه العالم الإسلامي قائلا : " إن هناك حركة تاريخية ينبغي أن لا تغيب عن نواظرنا ، و إلا غابت جواهر الأشياء ، فلم ترى غير هذه الظواهر، هذه الحركة لا تبدأ بالاستعمار، بل بالقابلية له لأنها هي التي تدعوه " ، وفي هذا رد صريح على الذين يحاولون إلصاق الفكرة بعلم النفس أو الفلسفة ، بدل وضعها في سياقها الصحيح وهو " التاريخ " ، فالقابلية للاستعمار ليست حقيق إثنية نفسية في عمقها ، بل هي مرحلة

[1] جودت سعيد، **مالك بن نبي و القابلية للاستعمار** http:www.jawdatsaid.net ، 2013/04/20، 14:23

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مرجع سابق، ص 153

تاريخية يمر بها المجتمع ، ومن هنا فإدراكنا للمشكلة وفهمها ووضعها في إطارها الصحيح مهم بالنسبة للعالمين العربي و الإسلامي في طريقه إلى النهضة [1] .

لقد تعرض الأستاذ مالك بن نبي بسبب فكرته القابلية للاستعمار إلى حملة عنيفة خاصة في الجزائر ، كانت هذه الحملة رد فعل عاطفي أكثر منه مناقشة علمية للفكرة ، و يعتقد محمد الهادي الحسني [2]" أن صواب الفكرة هو الذي انتج تلك الحملة ، لأن مالك حمل الأمة مسؤولية ترديها ، و لم يحمل الآخر تلك المسؤولية ، ويذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ مولود قاسم [3]– رحمه الله – حدثه أنه كان من الخاطئين في هجومه على الأستاذ مالك بن نبي بسبب هذه الفكرة ، و انه أصبح من المقتنعين بها ، و قد صاغ هذا الاقتناع في عبارته الشهيرة " المركوبية " و التي كان قد استعملها اول مرة في ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر في بجاية سنة 1985 كما أشار الأستاذ مولود أن هذا المرض مستفحل في قيادة المسلمين الثقافية و السياسية أكثر من الجماهير.

كما يعقب محمد الميلي [4]على نظرية بن نبي القابلية للاستعمار بقوله " إن فكر الفيلسوف الجزائري ، كان مرشحا لأن يؤدي دورا معتبرا في مرحلة ما بعد الاستقلال ، لكن نظريته هذه لم تفهم كما يجب ، فالاتجاه الذي كان سائدا هو الاتجاه الذي حمل كل المسؤولية للاستعمار " .[5]

---

[1] عمر مسقاوي ، **مقاربات حول فكر مالك بن نبي** ، مرجع سابق ، ص 198

[2] محمد الهادي الحسني أستاذ بالمعهد العالي لأصول الدين بالجزائر

[3] **مولود قاسم** : من مواليد قرية بلعيان من بلدية أقبو (بجاية) التحق بحزب الشعب ثم في 1947، طلبه سعد دحلب أثناء مفاوضات إيفيان وكلفه بإعداد رد على المفاوض الفرنسي جوكس الذي كان يصرّ على أن الصحراء لا علاقة لها بالجزائر. الاستقلال شغل مولود قاسم عدة مناصب أثبت في كل منها ولاءه لهذا الوطن وحقق في كل موقع نجاحات باهرة .

[4]**محمد الميلي** : هو الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي من مواليد قرية أورمامن الموجودة بجبال الميلية (بناحية السطارة) في الشرق الجزائري، ولد بتاريخ 26 ماي 1895 م بدأ تعليمه بأولاد مبارك بالميلية تحت رعاية الشيخ أحمد بن الطاهر مزهود حتى أتم حفظ القرآن ثم انتقل إلى مدينة ميلة وكانت آنذاك حاضرة علمية كبيرة فواصل تعليمه بها بجامع سيدي عزوز على يد الشيخ المعلم الميلي بن معنصر ولم يتجاوز عندها السن الثانية عشرة. يقول عن نفسه أنه ينحدر من أولاد مبارك بن حباس من الاثبج، العرب الهلاليين وهم من القبائل العربية القليلة في نواحي جيجل. افكاره مميزة وهي ضد الشعوذة والخرافات. عانى من مرض السكري عام 1933 وتوفي عام 1945م.

[5] أسعد السحمراني ، **مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا**، مرجع سابق ، ص 23

الخاتمة

لم ينشغل مالك بن نبي طوال حياته إلا بقضية الأمة الإسلامية ، فانكب على تاريخها يدرسه ، و على حاضرها يلاحظه و يتأمله وعلى مستقبلها يرسم معالمه ، و لقد خرج من الدرس العميق لذلك التاريخ ، و الرصد الدقيق لهذا الحاضر بتشخيص جملة من الأمراض الحضارية التي أقعدت الأمة وانتزعت منها فاعليتها و أفقدتها السيادة ، و صيرتها ذيلا بعدما كانت رأسا و من تلك الأمراض نجد ، القابلية للاستعمار و التكديس و الشيئية و اللآفعالية و ذهان السهولة و الأفكار الميتة و القاتلة و غيرها كثير ، و كان كلما اكتشف مرضا نبه إليه وحذر من أضراره ووضح آثاره و وصف له العلاج المناسب و الدواء الشافي ، وما هذه الأدوية إلا تلك الكتب القيمة التي سلكها في عنوان " مشكلات الحضارة " ، فقد وضع للمسلمين شروط النهضة ووضح لهم الوجهة و نبههم إلى مشكلة الثقافة و فتح أعينهم على الصراع الفكري في البلاد المستعمرة واقترح عليهم فكرة كومنويلث إسلامي و نصحهم بالتعاون الآفرو آسيوي و بين لهم مكانة المسلم ورسالته ، و كان قد استفتح بالذي هو خير الظاهرة القرآنية ، و هي كنز المسلمين الذي لا ينفذ ، و دواؤهم الشافي لما في الصدور ، و مغير ما بأنفسهم ، و معيدهم سيرتهم الأولى.

- لقد نشأ بن نبي في أسرة محافظة كانت بالنسبة إليه مدرسته الأولى ، و عاش حياة فقر و حرمان ، و عاصر أحداثا هامة سواء في وطنه الجزائر أو في العالم (الاستعمار الفرنسي في الجزائر و الحرب التحريرية و الحربين العالميتين و فترة الاستقلال) فكان لتلك التجارب و الأحداث الدور البارز في تكوين مداركه لذلك كان مقامه منها مقام الشاهد بالبصر و الفكر.
- لقد سمحت له الفترة الطويلة التي قضاها في فرنسا(1956/1930) و كذا تنقلاته العديدة إلى مختلف الدول الغربية بالتعرف عن كثب على تلك الحضارة و بالتالي الوقوف على جوانب القوة و الضعف فيها و الاستفادة من ذلك في تكوين فكره وطرح أرائه.
- يرى مالك أن أهمية التاريخ تكمن في أنه يقدم لنا دروسا من الماضي جديرة بالنظر و الاعتبار فعلى هدي التاريخ يصنع الحاضر و يبنى المستقبل ، لكن الأهم في نظره هو الإنسان صانع ذلك التاريخ ، فالتاريخ كما يراه ليس ما تصنعه الصدف ولا مكائد الاستعمار إنما هو ما تصنعه الشعوب ذاتها في أوطانها.

- التاريخ متجدد في نظره فهو يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يؤدي واجباته كاملة ، و ينتهي عند الإنسان المتحلل الذي لم يعد يقوم بدوره كما يجب أن يكون ، و ينتهي التاريخ حتما ليتجدد في نقطة جديدة و تلك هي الدورة الخالدة وسنة التاريخ التي تخضع لها كل الحضارات.
- أتخذ مالك بن نبي اتجاها مغايرا لكل التوجهات التي شكلت الحركة الوطنية الجزائرية ، فعرف هذا التوجه بالتوجه الحضاري لأنه نظر إلى الحركة الوطنية نظرة حضارية سواء في سيرها أو في اتجاهها أو في أزماتها أو في البحث عن الحلول الناجعة للخروج بها إلى النور، و ثبت على هذا الخط حتى بعد الاستقلال.
- آمن مالك بن نبي بالثورة كعامل مهم في تغيير وجهة التاريخ البشري، و لكنه يحذر من الأخطاء التي قد تحيد بالثورة عن المسار الصحيح فتخطيء الثورة بذلك هدفها لتتحول إلى لا ثورة بل قد تصبح ضد الثورة بطريقة واضحة أو خفية.
- ظاهرة الاستعمار في فكر مالك بن نبي هي نتيجة معاملين اساسيين هما :

معامل الاستعمار وهو مرض أصاب الدول المستعمرة، و معامل القابلية للاستعمار وهو مرض أقعد الشعوب المستعمرة .

الملاحق

ملحق رقم 01

وثيقة: شهادة من أجل مليون من الشهداء / مالك بن نبي

كنا في انتظار المفاوضات التي ستضع كلمة الختام في تلك الصفحة الرائعة والأليمة التي كتبها الشعب الجزائري في التاريخ بدمه الزكي .

وإذا بالصحافة توقظنا ذات صبيحة لتخبرنا بأن المفاوضات قد انتهت بمدينة "إيفيان" وكأننا مررنا بمنطقة ظلام أخفت مؤقتا عن الأنظار بعض الحقائق التي لم يكن الاستعمار يرغب في أن يعلمها الشعب الجزائري .

ولكن هذا الشعب سيدعى على أي حال لتقرير مصيره، وهو يعلم بأي ثمن فادح قد دفع لاكتساب هذا الحق ، ولو كان الموت هو المرجع الوحيد لتقدير هذا الثمن فلا شك أن شهادة المقبرة الهائلة التي تجمعت فيها رفات مليون من الشهداء، لكافية لتقديره، ولإلزام كل جزائري بأن يقوم بواجبه كشاهد حتى لا يذهب سدى هذا الثمن الفادح ، وربما شعرت بهذا الالتزام أكثر من غيري لأني عندما نزلت القاهرة سنة 1956 لأضع قلمي وشخصي في خدمة الثورة، أبت الأقدار إلا أن تضعني منها موضع الشاهد لأسباب سأعلنها يوم يحاسب الشعب الجزائري كل فرد من الذين كانوا بالقاهرة –هذه الفترة– عن أعماله.

وعليه فمن واجبي أن أقوم بدور الشاهد بكل إدراك لمسؤوليتي في هذا الدور، وإنني أشعر بهذا الواجب بصورة خاصة في الوقت الذي سيقوم فيه الشعب الجزائري بآخر وأخطر عمله الثوري، إذ هو العمل الذي سيحقق كل نتائج ثورته، أو يعرضها للتلف، إذا ما –لا قدر الله– لم يكن لديه من المعلومات ما يجعله يتخذ الاحتياطات اللازمة أثناء الاستفتاء وخلال ، الانتخابات التي تتبعه ، ولو أردت أن أعبّر عن شعوري بكل وضوح للزم أن أكتب كتابا لأصف وضعا قد يكفي أن نقول عنه أنه فاجأنا بتفاصيله الغريبة من حين إلى آخر، عندما نرى مثلا القاضي لخضري وهو من هو يتكلم للشعب الجزائري من صوت العرب؟ أو نرى عبد الرحمن اليعلاوي يتولى في دمشق الإشراف على حسابات الثورة !... إلخ إلخ ! إلخ...

وهذا الوضع هو الشيء الذي يجب اليوم على الشعب الجزائري أن يعرف حقيقته حتى لا يضع بناءه السياسي والاجتماعي بعد الاستقلال على أرض تغوص فيها الأقدام في الخيانة والمكر، واللامسؤولية، ومن حقه أن يعرفه قبل أية انتخابات مزعومة يستعد لها كل زعيم للانتصار على غريمه للاستيلاء على مصير الشعب الذي سيبقى هكذا في أيد تتقاذفه من الحكيم بن جلول إلى مصالي الحاج، ومن هذا إلى فرحات عباس وفرانسيس، ومنهما إلى بن خدة وبوالصوف، ومنهما إلى زعيم آخر، كل يلعب ويعبث كيفما شاء بمقدرات الشعب ومعنوياته على الطريقة التي يريدها الاستعمار ويؤيدها علنا أو خفية ، يجب أن ينتهي هذا الوضع المخزي، ولن ينتهي أبدا على يد أي زعيم يرغب في إبقاء هذا الوضع لحسابه وإنما سينتهي على يد الشعب نفسه على شرط أن يعرف الحقيقة التي اتفق إجماع الزعماء على إخفائها ، ولهذا نقترح عقد مؤتمر شعبي عاجل بالمقبرة التي تضم جثمان مصطفى بن بولعيد وأن يشكل هذا المؤتمر على الفور لجانا تختص كل واحدة منها بالتحقيق في نقطة من النقاط الآتية وهي ملزمة بتقديم تقريرها في وقت معين قبل إجراء أي انتخابات في الوطن 1–

التحقيق في الظروف المريبة التي تكونت فيها بالعاصمة (الجزائر) منذ شهر أفريل 1955 قيادة منفصلة عن قيادة الثورة بجبل الأوراس وتؤكد انفصالها بلقبها المستعار (ZAA) أي القيادة المستقلة لمنطقة العاصمة. ومن المعلوم أن هذا السلوك يخالف تماما مبدأ "وحدة القيادة" الذي يجب التمسك به في الحروب العادية وفي الحروب الثورية على وجه الخصوص، حيث يؤدي كل ازدواج في القيادة إلى تبديد الطاقات الثورية حتى على فرض أن تصدر كل قيادة نفس التوجيهات التي تصدرها الأخرى بينما رأينا قيادة العاصمة تتخذ قرارات تخالف تماما خطة القيادة "بالأوراس"، مثل الدعوة إلى مؤتمر الصومام في 20 أغسطس 1956 وتأسيس مجلس التنسيق والتنفيذ CCEالذي عبّر تأسيسه عن قلب النظام الثوري رأسا على عقب، حيث كانت نتيجته الأولى تقرير أولوية الجانب السياسي على الجانب العسكري في (CCE)الذي عبر تأسيسه عن قلب نظام قيادة الثورة وتوجهها، أو بعبارة أخرى وضع مصير بن بولعيد وإخوانه المجاهدين تحت سلطة السيد فرحات عباس وفرانسيس وبن خدة إلخ ... حتى خرجت الثورة من يد الأبطال الذين أسسوا جيش التحرير (ALN) وأصبحت بأيدي أولئك السياسيين الذين كونوا نقابة لرعاية مصالحهم أطلقوا عليها اسم "جبهة التحرير (FLN) "لإغراء الشعب بالألفاظ.

ومن تتبع بإمعان تاريخ هذه الفترة قد لاحظ بدون أي شك التغيرات العميقة التي حدثت في جهاز الثورة كله حتى يستطيع المؤرخ الخبير أن يعبر عن الوضع الجديد بأنه كان حركة ضد الثورة توجهها من بعيد أيد خفية من "باريس" و"العاصمة"، حركة مقنّعة تفاجئنا أحيانا بتفاصيلها الغريبة مثل التي ذكرنا والتي لم نذكرها عندما ينصّب على وجه المثال رجل كاليزيد الذي أذعرني جهله (يوم اكتشفت ذلك في مناسبة معينة) في منصب وزير استعلامات !؟ فهذا الوضع الغريب هو الذي يزحف الآن إلى حلبة الانتخابات المقبلة ليصبح الوضع الشرعي في الجزائر المستقلة .

2- تحقيق في الظروف المريبة التي وجد فيها حتفهم أولئك الرجال الذين قادوا الثورة في خطواتها الأولى "مصطفى بن بولعيد"، "عباس لغرور"، "يوسف زيغود"، "بن مهيدي" "عميروش"، "الكولونيل محمد الباهي"، "عبد الحي" إلخ.....

وربما يكشف التحقيق عن صلة مقتل هؤلاء الرجال بأولئك الذين نصبوا أنفسهم قيادة مستقلة بالعاصمة في شهر أبريل 1955، والذين كانوا يهدفون بكل وضوح إلى الاستيلاء على مقاليد الثورة كما يبدو ذلك أيضا في اختطاف بن بلة .

3- تحقيق عن تصرف القيادة التي كونها مؤتمر الصومام من وجهتين :

أ/ أن القيادة الفرنسية استطاعت أن تنشئ خط موريس المكهرب بكل هدوء دون أن تقوم القيادة الجزائرية الجديدة بأي مجهود يبطل هذا المشروع أو يعطله على الأقل .

ب/ وعلى العكس نرى القيادة الجزائرية تعطل في هذه الفترة بالذات تموين الجيش في الداخل بالسلاح والذخيرة، بل تبطله في الوقت الذي كان يجب فيه تنشيطه نظرا لبناء "خط موريس ."

ومن الواقع نرى النشاط الثوري كله يخمد منذ مؤتمر الصومام ونرى الوحدات المقاتلة التي كانت تقف في وجه الاستعمار في الداخل تسحب بالتدريج على الحدود شرقا وغربا كأنما إرادة خفية تنشئ بذلك موقفا يتيح للقوات الاستعمارية أن تسترجع الأنفاس التي فقدتها خلال معارك 1954-1955، حتى يمكن أن نقرر للتاريخ أن آخر معركة تذكر هي التي خاضتها

القوات الثورية بجبل "أرقو" في خريف 1956. وبعدها سيصبح جيش التحرير الظافر الذي كان قوة الشعب الضاربة في معاركه الخالدة مجرد قوة استعراض يستخدمها الزعماء لدعايتهم في المهرجانات الصحافية على الحدود .

4- تحقيق عن الظروف المريبة التي انضم فيها بعض القواد الجزائريين العاملين بالجيش الفرنسي إلى جيش التحرير، ولماذا وقع انضمام بعضهم مثل المدعو "الكومندان إيدير" عن طريق قيادة العاصمة عوضا أن يكون عن طريق قيادة جبل "أوراس"، بينما كان هذا الضابط يعمل في وحدة فرنسية تقيم بمدينة "خنشلة ."

ومما يلاحظ أن هؤلاء الضباط تناولوا مناصب مرموقة في جيش التحرير، وهي المناصب التي جردوا منها أصحابها الذين استحقوها لخدمتهم في صفوف الثورة منذ اليوم الأول، بل نرى أصحابها قد قتلوا في مؤامرات اغتيال شنيعة، مثل مصطفى الأكحل الذي اغتاله جهارا السيد بوالصوف بالقرب من مدينة الكاف التونسية، وبعضهم جرد من منصبه وترك وشأنه بلا زاد ولا راحلة في شوارع تونس أو الرباط .

5- تحقيق عن اغتيال المرحوم "عميرة علاوة" في مقر الحكومة الجزائرية المؤقتة "بالقاهرة" لأنه اكتشف أثناء مهمة توجه فيها إلى "بيروت" اتصالات مريبة تخص السيد فرحات عباس .

6- تحقيق عن تصرف الحكومة الجزائرية المؤقتة مع الطلبة الجزائريين في الخارج لوضعهم تحت تصرف جهاز نقابة جبهة التحرير بحيث فقد(FLN) معينة لمصالح حتى أن الطالب الجزائري فقد شخصيته وأصبح آلة يوجهها السيد كريم الطالب كل استعداد للقيام بواجبه، وقيد فعلا نشاطه بصورة لم يكن يعرفها حتى أيام الاستعمار

7- تحقيق عن تصرف الحكومة الجزائرية المؤقتة في أموال الثورة من وجهتين:

أ/ من الوجهة الفنية لعقد المقارنة بين الميزانية التي خصصتها هذه الحكومة للجيش والميزانية التي تخصصها للجهاز السياسي.

ب/ ومن الوجهة الأخلاقية للكشف عن التكاليف التي كانت هذه الحكومة تخصصها لأعضائها في السنوات الأخيرة

8-تحقيق عن كيفية تشكيل مجلس الثورة، وهل هو في صورته الراهنة يحقق تمثيلا كافيا للشعب الجزائري ولكافة مناطق الوطن تمثيلا حقيقيا.

9- تحقيق عن الدوافع التي دفعت السيد بن خدة إلى الدخول في مناقشات ديبلوماسية بمدينة الرباط من أجل ربط الشعب الجزائري بفكرة "المغرب الكبير" دون مراجعة الشعب في الأمر أولا. والمعلوم أن حكومة ثورية مؤقتة ليس لها إلا أن تواجه مشكلات الثورة العاجلة.

ملخص : و ملخص شهادتي هو أنه يجب علينا أن لا نترك الشعب يخوض معركة انتخابية في الظلام الكثيف الذي يخفي على بصره الحقيقة المؤلمة التي أحاطت بثورته، والتي يحاول الزعماء –كل على شاكلته– إخفاءها إلى الأبد، والتي تتجلى في ذلك الواقع الذي كشفته لنا الأيام، وهو أن أيام الحداد والبؤس التي عاشها الشعب خلال الثورة كانت أسعد أيام زعمائه،

أولئك الذين صرفوا دماءه في ولائمهم حيث تسكب الشامبانيا والويسكي كما يتصرف أمراء العرب في بترول بلادهم لتشييد قصور ألف ليلة وليلة .

ويجب أن نضيف إلى هذا أنه لم تصعد من فم عالم أو مثقف جزائري أثناء هذه المأساة المحزمة أية صرخة استنكار لإيقاظ الشعب لواجبه، بل كان كل واحد حريصا على أن يأخذ مقعدا في وليمة الزعماء، أو ينتظر دوره بحيث يجب على كل جزائري صاحب ضمير أن يبلغ الشعب هذه الشهادة حتى يكون على بيّنة من الأخطار التي تهدد الحقوق والحريات المقدسة التي مات من أجلها مليون من أبنائه الشهداء وليكون على بصيرة من الأطماع الحقيرة التي تزحف نحو ثمرة ثورته لتجنيها من يده .

مالك بن نبي / بدون تاريخ

- حسب المضمون يرجح أنها حررت بين تاريخ وقف اطلاق النار واستفتاء 3 جويلية 1962 .

النسخة الخطية الأصلية لهذه الشهادة حصل عليها بواسطة الباحث الجزائري المقيم بباريس الدكتور صادق سلام "الرّسالة" لم تنشر سوى مرة واحدة ضمن ملاحق مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة "شاهد على اغتيال الثورة" (ط2،ص317-322)

ملحق رقم : 02

القاهرة في ١ سبتمبر ١٩٥٦
إلى السادة ممثلي جبهة التحرير الجزائري
بالقاهرة

إنني حضرت إلى القاهرة للقيام بواجبين :

أحدهما يخص مهمتي ككاتب يريد نشر كتابه «الفكرة الأفريقية ــ الآسيوية»، وقد يدلكم عنوانه عن صلته بالقضية الجزائرية سواء اعتبرناها من الناحية الداخلية (كتوجيهات تخص الكفاح) أو من الناحية الخارجية (كنشر هذه القضية في المجال الدولي) .

وبخصوص هذا الواجب فقد قمت به بالقدر المستطاع ، حيث أنني وضعت كتابي في أيدي من سيعنى بنشره ، حتى أنني أعتبر نفسي متحرراً في المستقبل من مسؤولية هذا النشر .

وأما الواجب الثاني الذي حضرت من أجله إلى القاهرة ، فهو يتعلق بشخصي كجزائري ساهم في الكفاح ضد الاستعمار منذ ربع قرن ، ويأتي الآن كي يواصل هذا الكفاح تحت راية الثورة الجزائرية .

وأعتقد أنني إذا وجهت داخل الجزائر كممرض عسكري في جبهة القتال ــ أستطيع في نفس الوقت أن أقوم بكتابة تاريخ الثورة الجزائرية على طريق المشاهدة تقريبا .

كما أعتقد أنه يفيد أن أوجه بهذه المناسبة خطاباً مفتوحاً إلى رئيس الوزراء الفرنسي [1] ، حتى يعلم ما هي الأسباب الإنسانية التي تدفع بكاتب جزائري في المعركة .

وتقبلوا تحياتي

مالك بن نبي

المصدر : مالك بن نبي ، في مهب المعركة ،ص ص 80-81

ملحق رقم:03

مقال مالك بن نبي في مجلة (الثورة الإفريقية: 30أكتوبر – 05 نوفمبر، العدد 30، 1967)

بمناسبة الاحتفال بعيد الثورة المقال كتب بالفرنسية بعنوان La flamme du souvenir

شعلة الذكرى يتجدد وقدها حين نحتفل بيومها في كل عام ، فالنار و الضوء كانا دائما شعار رسالة في المنعطفات الكبرى للإنسانية ، موسى إذ آنس جذوة نار اتخذ نحوها سبيله و حيدا في ليل الوثنية مطلقا صرخة

ومن بعده بقرون و أجيال كان باسكال يردد أمام رفاقه : نار نار فرح فرح ، دموع الفرح ، و في أعلى المشهد الإنساني ، نرى ذلك المسافر الذي يسري في ليل الشتاء الجليدي ، يصادف من بعيد نارا فيستحثه المسير فرحا إلى ضوء يجد عنده منزل ضيافة ، منزلا تحت سقفه إخوة في الإنسانية .

كذلك في الجزائر كان كل جزائري يسير منفردا في بيدودة ليل الاستعمار يبحث في ظلمته عن ضياء ، فجأة .. آنس من بعيد نارا تمزق حجب الظلمة ، كان ذلك هو الأول من نوفمبر عام 1954.

هكذا نحن مرة اخرى في الذكرى السنوية لتلك اللحظة المباركة ، فالجزائريون في ظل سمائهم المضيئة سوف يتلاقون مع إخوة السلاح ، لكن في فضاء ذلك الضياء تمر رسالة تحمل إلينا ذكرى الأموات ، و في الوقت نفسه نداء للأحياء ، ففي تلك اللحظة المهيبة دعوة لنأخذ من ذكرى الذين رحلوا أفقا يتجه إليه قدر الأحياء .

لقد تسلق جيل الثورة صعب المناكب قدما إلى التحرير ، و كان ذلك مسلكا صعبا و متعرجا ، لكن و نحن في ذكرى أولئك الذين نحتفل بهم اليوم نجد فيهم مرتكزات إقلاع ، فأيديهم المجرحة و الممسكة بقوة و تصميم في كل منعطف ، و أرجلهم المدماة قد انطبعت بوضوح على حرث مرتقاهم نحو العلاء صعدا إلى قمم الأوراس و جرجرة حيث اطلقوا نداء الثورة ، هكذا وفر لهم الاستعمار سلما لقمة اللحظة العليا في التضحية ، و هكذا فإن رهان جيل ما بعد الثورة نحو المستقبل رهان ذلول ، لكن غالبا ما يكون الاستعمار قد سحب معه سلمه الشيطاني ، لذا فلكي نرتفع إلى مستوى الأعمال الكبيرة في ضل الاستقلال ، فذلك يقتضيننا مدارج إليها جديدة ، مدارج من ذلك النشيد الكبير الذي صدح في روح الشعب الجزائري في ليلة الأول من نوفمبر ، و الذي وضع خطاه في طريق التحرير كي يجد فيه جيل ما بعد الثورة البواعث التي سمحت له بالانتصار على تلك اللحظة الرهيبة في ثقلها و التي تحملها إلينا الأنباء ، فإن الوفاء لذكرى اولئك الذين لم يعودوا بيننا أن نستلهم قوتهم الصاعدة ، كما نرتفع إلى مستوى الواجبات في مرحلة جديدة .

المصدر: مالك بن نبي، **مجالس دمشق**، (دمشق: دار الفكر، 2005)، ص ص 19–20

ملحق رقم: 04

مقال مالك بن نبي في مجلة (الثورة الإفريقية: 30أكتوبر – 05 نوفمبر، العدد 30، 1967)

بمناسبة الاحتفال بعيد الثورة المقال كتب بالفرنسية بعنوان La flamme du souvenir

شعلة الذكرى يتجدد وقدها حين نحتفل بيومها في كل عام ، فالنار و الضوء كانا دائما شعار رسالة في المنعطفات الكبرى للإنسانية ، موسى إذ آنس جذوة نار اتخذ نحوها سبيله و حيدا في ليل الوثنية مطلقا صرخة

ومن بعده بقرون و أجيال كان باسكال يردد أمام رفاقه : نار نار فرح فرح ، دموع الفرح ، و في أعلى المشهد الإنساني ، نرى ذلك المسافر الذي يسري في ليل الشتاء الجليدي ، يصادف من بعيد نارا فيستحثه المسير فرحا إلى ضوء يجد عنده منزل ضيافة ، منزلا تحت سقفه إخوة في الإنسانية .

كذلك في الجزائر كان كل جزائري يسير منفردا في بيدودة ليل الاستعمار يبحث في ظلمته عن ضياء ، فجأة .. آنس من بعيد نارا تمزق حجب الظلمة ، كان ذلك هو الأول من نوفمبر عام 1954.

هكذا نحن مرة اخرى في الذكرى السنوية لتلك اللحظة المباركة ، فالجزائريون في ظل سمائهم المضيئة سوف يتلاقون مع إخوة السلاح ، لكن في فضاء ذلك الضياء تمر رسالة تحمل إلينا ذكرى الأموات ، و في الوقت نفسه نداء للأحياء ، ففي تلك اللحظة المهيبة دعوة لنأخذ من ذكرى الذين رحلوا أفقا يتجه إليه قدر الأحياء .

لقد تسلق جيل الثورة صعب المناكب قدما إلى التحرير ، و كان ذلك مسلكا صعبا و متعرجا ، لكن و نحن في ذكرى أولئك الذين نحتفل بهم اليوم نجد فيهم مرتكزات إقلاع ، فأيديهم المجرحة و الممسكة بقوة و تصميم في كل منعطف ، و أرجلهم المدماة قد انطبعت بوضوح على حرث مرتقاهم نحو العلاء صعدا إلى قمم الأوراس و جرجرة حيث اطلقوا نداء الثورة ، هكذا وفر لهم الاستعمار سلما لقمة اللحظة العليا في التضحية ، و هكذا فإن رهان جيل ما بعد الثورة نحو المستقبل رهان ذلول ، لكن غالبا ما يكون الاستعمار قد سحب معه سلمه الشيطاني ، لذا فلكي نرتفع إلى مستوى الأعمال الكبيرة في ضل الاستقلال ، فذلك يقتضيننا مدارج إليها جديدة ، مدارج من ذلك النشيد الكبير الذي صدح في روح الشعب الجزائري في ليلة الأول من نوفمبر ، و الذي وضع خطاه في طريق التحرير كي يجد فيه جيل ما بعد الثورة البواعث التي سمحت له بالانتصار على تلك اللحظة الرهيبة في ثقلها و التي تحملها إلينا الأنباء ، فإن الوفاء لذكرى اولئك الذين لم يعودوا بيننا أن نستلهم قوتهم الصاعدة ، كما نرتفع إلى مستوى الواجبات في مرحلة جديدة .

المصدر: مالك بن نبي، **مجالس دمشق**، (دمشق: دار الفكر، 2005)، ص ص 19-20

ملحق رقم:05

مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري (جوان 1936)

أولا: إلغاء سائر القوانين الاستثنائية التي لا تنطبق إلا على المسلمين

ثانيا : إلحاق الجزائر بفرنسا أساسا ، و إلغاء الولاية العامة الجزائرية ، و مجلس النيابات المالية ، و نضام البلديات المختلطة .

ثالثا: المحافظة على الشخصية الإسلامية، مع إصلاح هيئة المحاكم الشرعية بصفة حقيقية لروح القانون الإسلامي، و تحرير هذا القانون.

– فصل الدين عن الدولة بصفة تامة ، و تنفيذ هذا القانون حسب مفهومه و منطوقه

إرجاع سائر المعاهد الدينية إلى الجماعة الإسلامية لتتصرف فيها بواسطة جمعيات دينية مؤسسة تأسيسا صحيحا .

إرجاع أموال الأوقاف لجماعة المسلمين ليمكن بواسطتها القيام بأمور المساجد و المعاهد الدينية و الذين يقومون بها.

إلغاء كل ما أتخذ ضد اللغة العربية من وسائل استثنائية ، و إلغاء اعتبارها لغة اجنبية .

الحرية التامة في تعليم اللغة العربية ، و حرية القول للصحافة العربية .

رابعا : الإصلاحات الاجتماعية : – التعليم الإجباري للبنين و البنات – الشروع بسرعة في بناء المدارس الكافية لتعميم التعليم الإجباري – جعل التعليم مشتركا بين المسلمين و الأوروبيين – الزيادة في معاهد الصحة من مستشفيات و مستوصفات ، و في معاهد الإغاثة : كالمطاعم الشعبية ، إنشاء خزينة خاصة للعاملين من العمال .

خامسا : الإصلاحات الاقتصادية بتساوي الأجر إذا تساوى العمل – تساوي الرتبة إذا تساوت الكفاءة ، توزيع إعانات الميزانية الجزائرية للفلاحة و الصناعة و التجارة و الاحتراف على الجميع ، و على مقتضى الاحتياج دون تمييز بين الأجناس – تكوين جمعيات تعاونية فلاحية ، و مراكز لتعليم الفلاحين – الإقلاع عن انتزاع ملكية الأراضي – توزيع الأراضي الشاسعة البور على صغار الفلاحين و العمال– إلغاء قانون الغابات.

سادسا: مطالب سياسية – إعلان العفو السياسي العمومي – توحيد هيأة الناخبين في سائر الانتخابات – إعطاء الحق لكل ناخب في ترشيح نفسه للنيابة في مجلس الأمة.

المصدر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ص 261، 262

ملحق رقم :06

صورة نادرة لعائلة مالك بن نبي

مالك بن نبي- الطفل-

المصدر : جريدة الشروق اليومي، العدد 3969، الجزائر 2013/03/19

ملحق رقم :07

من اليمين إلى اليسار عبد السلام الهراس– مالك بن نبي– الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي – كمال الحناوي مدير– وكالة الشرق الأوسط للأخبار عبد الوارث الدسوقي مدير جريدة الشعب .

المصدر : www.ikhwanwiki.com 02/05/2013–15:29

ملحق رقم:08

الأستاذ مالك بن نبي رفقة – جودت سعيد – بالقرب من منزل جودت سعيد بقاسيون – دمشق: 1972

المصدر : www.ikhwanwiki.com15:42-2013/05/02

ملحق رقم: 09

الأستاذ مالك بن نبي في الجزائر

ملحق رقم :10

مالك بن نبي مع ماوتسي تونغ

المصدر : LE PARCOURS MAGHREBINS, NUMEROS : 12. p79

ملحق رقم : 11

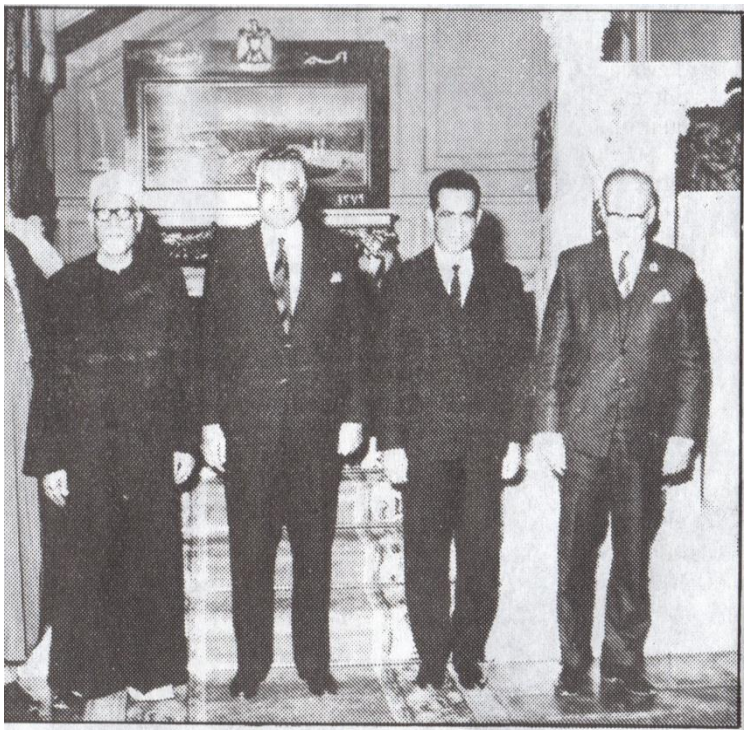

Bennabi avec Nasser et El-Azhari

ابن الشيخ البوعبدلي – سي المهدي – مالك بن نبي – الرئيس جمال عبد الناصر .

المصدر : LE PARCOURS MAGHREBINS , NUMEROS : 12 , p 76

قائمة المصادر

و المراجع

قائـمة المـصادر و الـمـراجع:

القرآن الكريم

المعاجم و القواميس :

- المنجد الإعدادي، ط2 (لبنان: معاجم دار الشرق 1977).

- أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط 4 (القاهرة: دار النهضة العربية، 1980)

1 / المصادر:

1. ابن نبي ، مالك : **فكرة كومنولث إسلامي،** (القاهرة: مكتبة عمار 1971) .
2. ابن نبي ، مالك: **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،** (دمشق : دار الفكر 1399هـ-1979) .
3. ابن نبي ، مالك: **الظاهرة القرآنية** ، ترجمة عبد الصبور شاهين ،(دمشق : دار الفكر 1981) .
4. ابن نبي ، مالك: **إنتاج المستشرقين واثره في الفكر الإسلامي الحديث،**(القاهرة : مكتبة عمار 1970) .
5. ابن نبي ، مالك: **بين الرشاد و التيه** ، ترجمة عمر مسقاوي، (دمشق : دار الفكر 1406هـ-1986) .
6. ابن نبي ، مالك: **تأملات،** ترجمة عمرمسقاوي ،(دمشق : دار الفكر 1406هـ-1986) .
7. ابن نبي ، مالك: **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين،** (دمشق :دار الفكر1398هـ-1978م) .
8. ابن نبي ، مالك: **شروط النهضة** ، ترجمة عبد الصبور شاهين،(دمشق : دار الفكر 1407هـ_1987) .
9. ابن نبي ، مالك: **فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ،**(دمشق: دار الفكر 1979).
10. ابن نبي ، مالك: **مجالس دمشق** ، ترجمة :عمرمسقاوي ، ط1، (دمشق : دار الفكر2005)
11. ابن نبي ، مالك: **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، ترجمة محمد عبد العظيم علي ط1،(تونس : دار الحكمة للنشر والتوزيع1405هـ-1985) .

12. ابن نبي ، مالك: **ميلاد مجتمع** ، شبكة العلاقات الاجتماعية ،(لبنان : دار الإنشاء للطباعة و النشر 1974) .

13. ابن نبي ، مالك: **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين ، (دمشق: دار الفكر1406هـ-1986) .

14. ابن نبي ، مالك: **مذكرات شاهد للقرن** ، ط2 ، ترجمة عبد الصبور شاهين(دمشق: دار الفكر1404هـ-1984)

15. ابن نبي مالك : **مشكلة الثقافة** ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، ط4،(دمشق: دار الفكر ،1984) .

16. ابن نبي مالك: **آفاق جزائرية** ، ترجمة الطيب الشريف، (الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية 1964).

2- قائمة المراجع:

أ / قائمة الكتب باللغة العربية :

17. الأفغاني جمال الدين، عبده محمد : **العروة الوثقى**،(بيروت : دار الكتاب العربي 1400هـ_ 1985م) .

18. الابراهيمي، احمد طالب : **آثار الامام محمد البشير الابراهيمي** ، ج 1، (بيروت : دار الغرب الاسلامي ، 1997) .

19. أندري جوليان، شارل : **إفريقيا الشمالية تسير** ، ترجمة محمد مزالي و آخرون ، ط2، (الجزائر : ش- و -ن -ت ، 1976) .

20. بن ابراهيم العقون، عبد الرحمن : **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920- 1936)** ، ج1 ،(الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984) .

21. البهي ، محمد : **الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالإستعمارالغربي** ، (القاهرة : مكتبة وهبة 1405هـ- 1985م) .

22. البهي، محمد: **الدين و الحضارة الإنسانية**، (القاهرة: دار الفكر1994) .

23. بوحوش ، عمار : **التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962**، (بيروت : دار الغرب الإسلامي1997) .

24. توينبي ، أرنولد : **مختصر دراسة التاريخ**، ترجمة محمد شبل، (القاهرة : لجنة النشرو التأليف و الترجمة ب، ت)

25. التيمومي، الهادي : **مفهوم التاريخ و تاريخ المفهوم**، (الجمهورية التونسية : دار محمد علي للنشر2003م) .

26. حسين، يوسف : **نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث** ، (الجزائر: دار التنويرللنشر و التوزيع 2004) .

27. الزبيري ، محمد العربي : **تاريخ الجزائر المعاصر**، (دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999م) .

28. السحمراني ، أسعد : **مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا**،(بيروت : دار النفائس 1984)

29. سعد الله ، ابو القاسم : **الحركة الوطنية الجزائرية ج1،ج2،ج3** ،(بيروت : دار الغرب الإسلامي 1992) .

30. سعد الله، ابو القاسم : **ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، ج4،(بيروت : دار الغرب الاسلامي 1996) .

31. سعد الله، ابو القاسم : **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج2-ج7 (بيروت : دار الغرب الإسلامي ،1998) .

32. صاري الجيلالي ، قداش محفوظ : **المقاومة السياسية(1900 – 1954) الطريق الإصلاحي والطريق الثوري** ، ترجمة عبد القادر بن حراث ، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1987) .

33. عباس ، محمد ، **مثقفون في ركاب الثورة في كواليس التاريخ** ، (الجزائر : دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع 2009) .

34. عباس، فرحات: **ليل الاستعمار**، تعريب أبو بكر رحال، (المغرب: مطبعة المحمدية، 2002) .

35. عبد النور ، خيثر ، مزيان سعدي ، أحمد بوقجاني : **منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830 – 1954)** ، (الجزائر : سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954)

36. عثمان، حسن: **منهج البحث التاريخي** ، ط8 ، (القاهرة : دار المعارف ، 2000)

37. العقاد ، صالح : **المغرب العربي (الجزائر، تونس ، المغرب)**، ط3 ، (القاهرة :المكتبة الأنجلو مصرية ، 1969).

38. عويمر، مولود: **مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته و عطاؤه الفكري** ، (تيزي وزو : دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، 2007م) .

39. فوكو ياما ، فرنسيس: **نهاية التاريخ و خاتم البشر**، ترجمة حسين احمد امين،(القاهرة : مركز الأهرام للترجمة و النشر1993م) .

40. قطب، سيد: **في التاريخ فكرة و منهاج**، (بيروت: دار الشروق 1981) .

41. قنان ، جمال : **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار**، (الجزائر : منشورات وزارة المجاهدين 2009) .

42. لحرش، موسى : **استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي**، (الجزائر : جامعة باجي مختار عنابة 2006م) .

43. لوغوف ، جاك : **التاريخ الجديد** ، ترجمة و تقديم : محمد طاهر المنصوري ، (بيروت : المنضمة العربية للترجمة ، 2007) .

44. المدني، أحمد توفيق: **هذه هي الجزائر**، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية 1957).

45. مسعودان، نور الدين: **مالك بن نبي (حياة و آثار شهادات و مواقف)** ، (الجزائر : دار النون للطباعة ولنشر و التوزيع، بدون تاريخ) .

46. مسعودان، نور الدين: **مالك بن نبي بقلم معاصريه،** (الجزائر: دار النون للطباعة و النشر و التوزيع، بدون تاريخ).

47. مسقاوي ، عمر كامل : نضرات في الفكر الإسلامي ومالك بن نبي ، (دمشق : دار الفكر 1983) .

48. مسقاوي ، عمر كامل : **مقاربات حول فكر مالك بن نبي** ، (دمشق : دار الفكر ، 2008) .

49. مهران ، محمد بيومي: **التاريخ و التأريخ،** (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2005).

50. الهراس ، عبد السلام : **من ذكرياتي مع مالك بن نبي** ، (الجزائر : منشورات بونة للبحوث و الدراسات 1431هـ-2010م) .

ب/ قائمة الكتب باللغة الأجنبية:

1. Charles robert Agéron, **histoire de l'Algérie contemporaine**, paris:p v f, 1979 .

2. Charles robert Agéron, **les algériens musulmans et la France : 1871-1919,** t2, p.u.f.

3. Mahfoud Kaddache**, la vie politique à Alger de 1919 / 1939**, (S.N.E.D, Alger, 1970).

4. Mahfoud kaddache**, Histoire du Nationalisme Algérienne questions National et politique Algérienne 1919- 1951**. CNED. Alger 1980.

5. Pierre Bourdieu, **sociologie de lalgerie** , Ed,p.u.f.paris,1980 .

6. ALI MERAD, **LES REFORMISTES MUSULMANS EN ALGERIE DE 1925à1940,ED**, MOUTION ET CO LA HAYE , PARIS1967

3- الملتقيات :

1. أعمال الملتقى الدولي الأول23-24-25شعبان 1424هـ19/18- 20 أكتوبر2003- الجزائر، حول : " مالك بن نبي فكره و اعماله" .

2. ملتقى حول جرائم الاحتلال الفرنسي، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2010

3. أيام الملتقى الدولي 12-13-14ديسمبر2012 جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان حول " مالك بن نبي و استشراف المستقبل من شروط النهضة إلى شروط الميلاد الجديد" .

4- الرسائل و الأطروحات الجامعية :

1. سليمان قريري ، **تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940 – 1954** ، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر باتنة (2010 – 2011) .

2. أسعد الهلالي ، **الشيخ محمد خير الدين و جهوده الإصلاحية في الجزائر (1902-1993)**، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر ، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة 2006 .

3. عبد المجيد بن عدة ، **مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي** ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، معهد العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 1993 .

4. الأخضر شريط ، **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي** ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، معهد الفلسفة ، جامعة الجزائر(1988-1989) .

5. حسن موسى محمد العقبي ، **مالك بن نبي و موقفه من القضايا الفكرية المعاصرة**، رسالة ماجستير في العقيدة و المذاهب المعاصرة ، الجامعة الإسلامية غزة ، 2005 .

5- المقالات :

1. محمد الهادي الحسني ، مالك بن نبي (لمحات من حياته و قبسات من فكره) ، **مجلة الموافقات** ، العدد 03 ، الجزائر .

2. العابد ميهوب ، مفهوم التنمية في فكر مالك بن نبي ، **مجلة علوم الإنسان و المجتمع** : جامعة زيان عاشور الجلفة ، العدد 02، جوان 2012 .

3. بوترعه بلال ، الحركة التاريخية ، **جريدة الجديد الثقافي** ، العدد : 223 ، 04 أوت 2012 ، الجزائر.

4- علي الشنوفي ، حفظ الشعائر وتغيير المناكر دعامة من أهم دعائم حركات التحرير في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى ، **مجلة الثقافة** : العدد 79 ، الجزائر ، جانفي – فيفري 1984 ، ص 13

6- المجلات و الدوريات:

1. جريدة الشروق اليومي، العدد 3969، الجزائر 2013/03/19
2. جريدة المحقق ، السلسلة الثانية ، العدد 58 (27 أفريل 2007) .
3. صحيفة البصائر، عدد 22، 1936 .
4. مجلة الأصالة ، عدد 75، 1989
5. مجلة الثقافة . العدد 79 ، الجزائر ، جانفي – فيفري 1984 .
6. مجلة الشبان المسلمين، ماي 1981.
7. مجلة الفيصل، عدد196، 1998
8. مجلة علوم الإنسان و المجتمع ، جامعة زيان عاشور الجلفة ، العدد 02، جوان 2012 .

7- مواقع الإلكترونية :

- www.binbadis.net
- http://www.youtube.com
- http://www.fikr.com
- http ://www .arab.ency.com
- http://eplume.wordpress.com
- http:www.jawdatsaid.net
- http://www.binnabi.net

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :

الصفحة

- **المقدمة**..... أ- و

الفصل الأول : مالك بن نبي حياته و عصره.

المبحث الأول: حياته.....**2**

1 - ظروف مولده ونشأته 2

2- ظروف التعلم.....5

3- مساره المهني و عطاؤه الفكري 18

المبحث الثاني: عصره.....**27**

1- الواقع الثقافي و العلمي.....27

2- الحياة السياسية.....37

3- التحولات الاجتماعية.....57

الفصل الثاني : فكرة التاريخ عند مالك بن نبي

المبحث الأول: مفهوم التاريخ في فكر مالك بن نبي.....**64**

1- مالك بن نبي و التاريخ.....66

2- تفسير مالك بن نبي لحركة التاريخ.....81

3- نظرته للمصادر التاريخية.....84

المبحث الثاني: محطات تاريخية في فكر مالك بن نبي.....**87**

1- مالك بن نبي و الاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية.....87

2- مالك بن نبي و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....89

3- مالك بن نبي و الثورة 94

<u>الفصل الثالث:</u> **مشكلة الاستعمار في فكر مالك بن نبي**

المبحث الأول: في مفهوم الاستعمار عند مالك بن نبي 104

1- تاريخية الاستعمار في فكر مالك بن نبي..... 106

2- سيكولوجية الاستعمار.....108

المبحث الثاني : فكرة القابلية للاستعمار 118

الخاتمة 127

الملاحق

بيبليوغرافية المصادر و المراجع

فهرس الموضوعات